

مستدرف

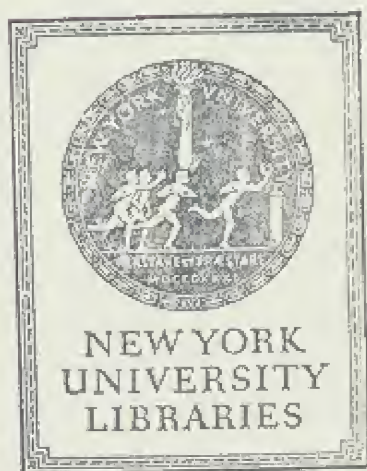
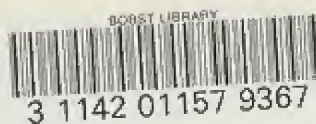
في تاريخ
عيسى
ع سر — عمر
ذكريات وتاريخ

وصف شامل لما في بلاد مصر وتهامة
من المدن والقرى والجبال الشاهقة وما فيها
من مناظر خلابة فائقة وحياة أهلها الاجتماعية
وعاداتهم وتاريخها الاقتصادي والسياسي .

(حق الطبع محفوظ)

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

دار العهد الجديد للطباعة
بالقاهرة



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

DATE DUE





NP

2667

504

dp

Ra'ī, Muhammad Umar
عمر رشيد

في ربوع
عسيرة
عسر — عر
ذكريات وتاريخ

/Fi rubu' 'Asyr/

وصف شامل لما في بلاد عسر ونهامه
من المدن والقرى والجبال الشاهقة وما فيها
من مناظر خلابة فاتنة وحياة أهلها الاجتماعية
وناداتهم وتاريخها الاقتصادي والسياسي.

(حق الطبع محفوظ)

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

دار العهد الجديد للطباعة
بالقاهرة

N. Y. U. LIBRARIES

Near East

DS

247

A65

R3

C-1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهـ حـ داء

الحـ

معقل العربيه ومناط امالها وحامي صمي الجزيرة العربيه
ومن له اليد الطولى في سبيل وحدتها

ملك المملكة العربيه السعوديه

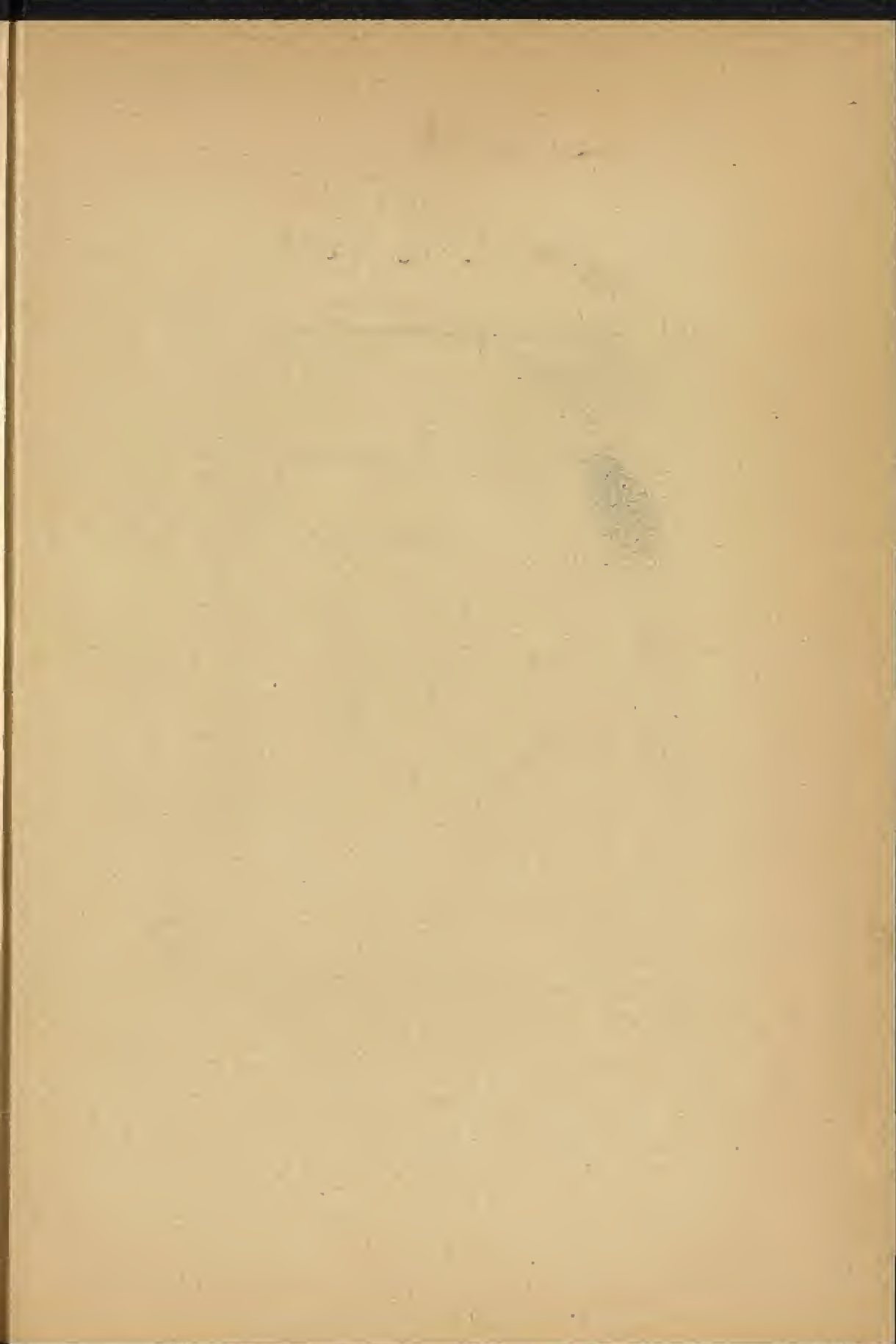
سميتمه محمد بن عبد الله الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود

أقدم كتابي هذا

راجياً من الله تعالى أن تستكمل الجزيرة العربيه في عهده
المبارك الميمون من العزه والمنعة والوحده والمجد ما يصبو
إليه كل محب لها غيور عليها وأن يديم جلالته والاشرة
السعوديه الكريميه يحيى للإسلام وقائراً وسودداً
للعروبته وفخياراً

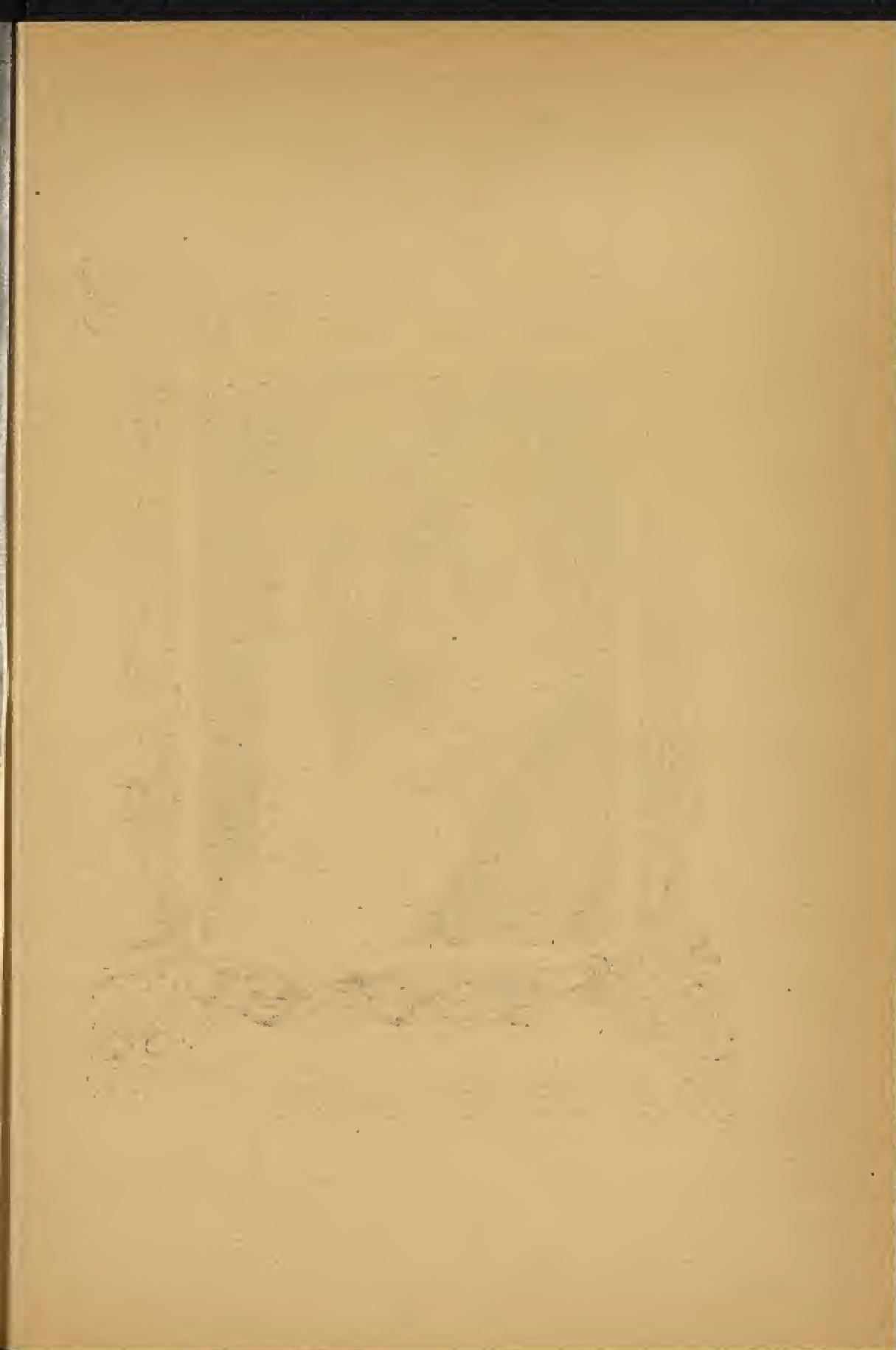


جمهورية مصر العربية
الحمد لله الملك
محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود





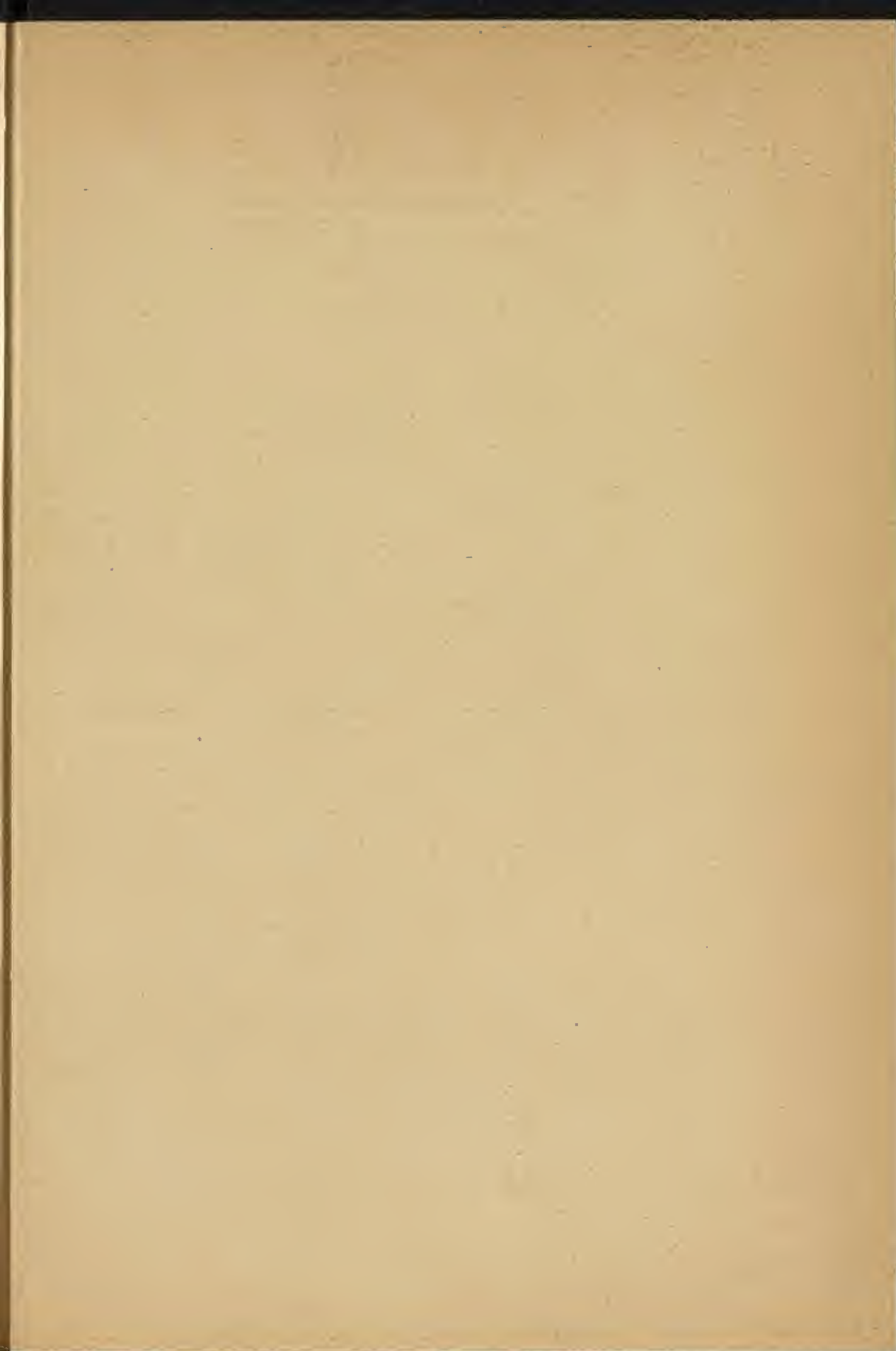
محمد بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وزير الشؤون العامة



الحسين

دِيَارًا إِذَا شَمَّتْ مِنَ الْغَيْثِ نَفْحَةً
تَضَوُّعٌ مِنْهَا طَيِّبُ النَّبْتِ بِالْعِطْرِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لم يحل في خاطري عند ما كنت أسجل ما يقع عليه بصري أو يعبه سمعي في تجوالى بلاد عسير وما إليها، إلا أن يكون رسالة خاصة وإنتاجاً للاستهلاك فيما بينى وبين صديقي السيد محمد شطي الذي رغب في أن أحدثه عما أسمع وأرى في رحاى هذه ، ولكن بعد أن انتقلت موظفاً بدار البعثات الغلية السعودية بمصر ساقط الصدوف بعض الأصدقاء إلى الاطلاع على ما كتبت من ذلك فرغب إلى في إلحاح وتشجيع أن أطبعه وأنشره معتقداً أن فيه شيئاً بما لعله يروق القارىء ، ويفيد أبناء الوطن ومن له عناية بمثل هذه الشؤون . فان بلاد عسير وما جاورها تكاد تكون مجهلاً من مجاهل الجزيرة العربية قل من يعرف أخبارها وأحوال أهلها حتى من أبناء الجزيرة أنفسهم ، فاستجبت لما طلب . وما ان بدأت في تهيته واعداده للطبع ، حتى ظهر كتاب في بلاد عسير ، للرحوم الأستاذ فؤاد حمزة ، فكذت أصرف العزم عما استجبت إليه ، وقلت في نفسي : أى أثر سيكون للذبالة بعد أن أشرقت الشمس ، وأنى يدرك الضالع شأو الضليع ، لا سيما بعد أن قرأت مقدمة الكتاب ووعيت ما ذكره فيها من وسائل وأسباب تهيات له لم تكن تنهياً لغيره ، أو تنسفى في ظروف غير ظروفه كما قال !

غير أنى بعد أن تصفحت جملة ما كتب ، تراءى لى أن فيما سجلت وهيات فوائد ومعلومات مكنتى منها طول مكثى بعسير واختلاطى بأهله وتجوالى في منازلهم بما لم يتسع له وقت المشار إليه لما كان مضطرباً من مهمة سياسية خطيرة وقضايا تاحت لى مشاركتى لهم في عاداتهم وتقاليدهم ومشاهدتها أن أصور حياتهم الاجتماعية وتقاليدهم القبلية تصويراً يكاد يدينها من القارىء . حتى

(ب)

لكأنه يشهدا ، فأثرت المضي فيما اعتزمت من طبعه ونشره لاسيما وقد عثرت
في أثناء مطالعائي لبعض المؤلفات والرسائل التي تعرضت لذكر عسير وحوادثها
وأخبار أهلها على بعض أخطاء وأوهام رغبت في تصحيحها على الوجه الذي
يبين لي أنه الصواب مما سيطلع عليه القارئ الكريم في محله من هذا الكتاب .
فإن صح ما رأيته بعض الأصدقاء وكان حقاً ما تراه لي فهو الغاية والهدف
فيما فعلت .

وقد رأيت استكمالاً للغاية التي توخاها بعض الأصدقاء أن الحق
بفصول هذه الرحلة ، تاريخ عسير السياسي في غضون خمسين ومائة سنة ،
فإنني لم أصادف فيما وصل إليهِ على كتاباً مستقلاً في تاريخ عسير وكل
ما اطلعت عليه نبذ في غاية الاختصار لا تعطى فكرة واضحة عما جرى من
الاحداث في تلك الجهات ، وشجئني على ذلك أوراق عثرت عليها عند بعض
الأفاضل من العائلة الحفظية من سكان قرية رجال سجل فيها كاتبها بعض
حوادث عسير ، وكيفية نشوء الإمارة فيهم ، وما جرى من أحداث وتحولات
من أوائل القرن الثالث عشر الهجري حتى نهايته ، وما كنت استمع إليه في
أثناء السمر والاجتماع بمن تعرفت بهم من أهالي تلك الجهات بمن شهدوا
حوادثها الأخيرة وغمرتهم وقائعها من قصص وأخبار ، وتوخياً للحقيقة
وتوفية للبحث رجعت إلى جملة من المؤلفات والرسائل التي تعرضت للكتابة
عن حوادث عسير وأحوالها وتيسر لي الوقوف عليها ، مما سيراه القارئ
الكريم موضعاً في موضعه من هذا الكتاب ، ومع ذلك فرجائي إلى من
لديه يقين يخالف ما قصصت أن يصححه مشكوراً . والله من وراء القصد ،
وهو ولي التوفيق .

محمد بن عبد الله بن فرح

الْقِسْمَةُ الْأُولَى

الحمد لله

على طريقة أهالي عسير

من العادات المتبعة بين رجال عسير والتي كان من نتائجها انتشار حوادثهم وأخبارهم بينهم انتشاراً عاماً . أن الواحد منهم إذا ما لقي الآخر في طريقه استوقفه ثم قص عليه باعث خروجه من موطنه ، إن كان مما لا يحرص على كتمانها ، وساق له الحديث عما لاقى في طريقه ، وعن استضافته ، وما هو نوع الطعام الذي قدم له ، وما شهده وغير ذلك مما يعينهم كحال المطر والزرع ، وما شاكلهما .

ولهم في بداية الحديث عبارة تقليدية يقولها المتحدث ثم يبتدىء فيقص قصته كما ذكرت .

وما أنا ذا أبتدىء حديثي عن عسير وما إليها بما يبتدىء به رجال عسير فأقول :

[أمّا إنجن^(١) يا محفوظ فنبشرك مادّولة^(٢) في بلادنا مستورين

وهذه علومنا وأخبارنا وزايدها عنك^(٣)]

والسلام عليك أيها القارىء ورحمة الله وبركاته

(١) نحن (٢) لاخلاف او لا بأس علينا (٣) عافيتك .

دوافع وبواعث

منذ أكثر من ثلاثين سنة وأنا لا أزال يافعاً بعد : كان أول ما قرع سمعي عن بلاد عسير ، حوادث انتفاضها على حكومة الترك ، واتفاق آل عايض أعيان أهل المرأة مع السيد محمد الأدريس المتغلب على منطقة الساحل وتهامة عسير ومحاصرتهم جميعاً للوالي التركي سليمان شفيق كالي المقيم في أبها ، حوالي تسعة أشهر ، وصدور الأوامر السلطانية من استانبول إلى أمير مكة إذ ذاك الشريف الحسين بن علي بالتجهز والسير لشد أزر المحاصرين ومعارتهم في فك الحصار عن أبها وقع الفتنة . وقد كان يعرض في تلافيف الأخبار وحواشيها ، عن هذه الحوادث ، كثير من الأقوال الخلابة عن خصوبة تلك الجهات ، وجمال منظرها الطبيعي ، وما عليه أهلها من سذاجة النظرة ، وحاسن الخلق ، مما لا حافض على أبجمل الصور عنها ، وعلفت نفسي بشاهدتها والسياسة فيها ، ولكن مع الأسف فقد عقب ذلك أن انفجرت براكين الشر في العالم الانساني ودخلت الحكومة التركية العثمانية في حرب مع دول البلقان وتلاها نشوب الحرب العالمية الأولى^(١) وابتلى الناس من أثرها بشقى المصائب والحن ودار دولاب الزمان بالكثير من «المقالب» فانهارت دول ونشأت حكومات وكان من مقتضى هذه الأحداث ان اضطرب حبل الأمن وتوالت الفتن والقلاقل في الحجاز وبلاد عسير ، فحمد ما في النفس وتغيرت معه أوضاع حياتي الخاصة بما ألهاني عن هذه الرغبة وصرفني عنها .

ولما أن استتب الأمر للحكومة السعودية وعم الأمن والاستقرار كل ما شمله نفوذها من الأقاليم عاد ارتياد أهل الحجاز لجهات عسير وتحدثهم عنها بما كان يحرك ما نحمد من شوق يدفعني إلى زيارتها والسياسة فيها .

(١) الحرب العالمية هي التي نشبت بين الألمان وحلفائهم وبين الإنكليز وحلفائهم عام ١٩١٤ م الموافق عام ١٣٣٢ هـ وانتهت بهزيمة الألمان وحلفائهم عام ١٩١٨ م الموافق عام ١٣٣٦ هـ

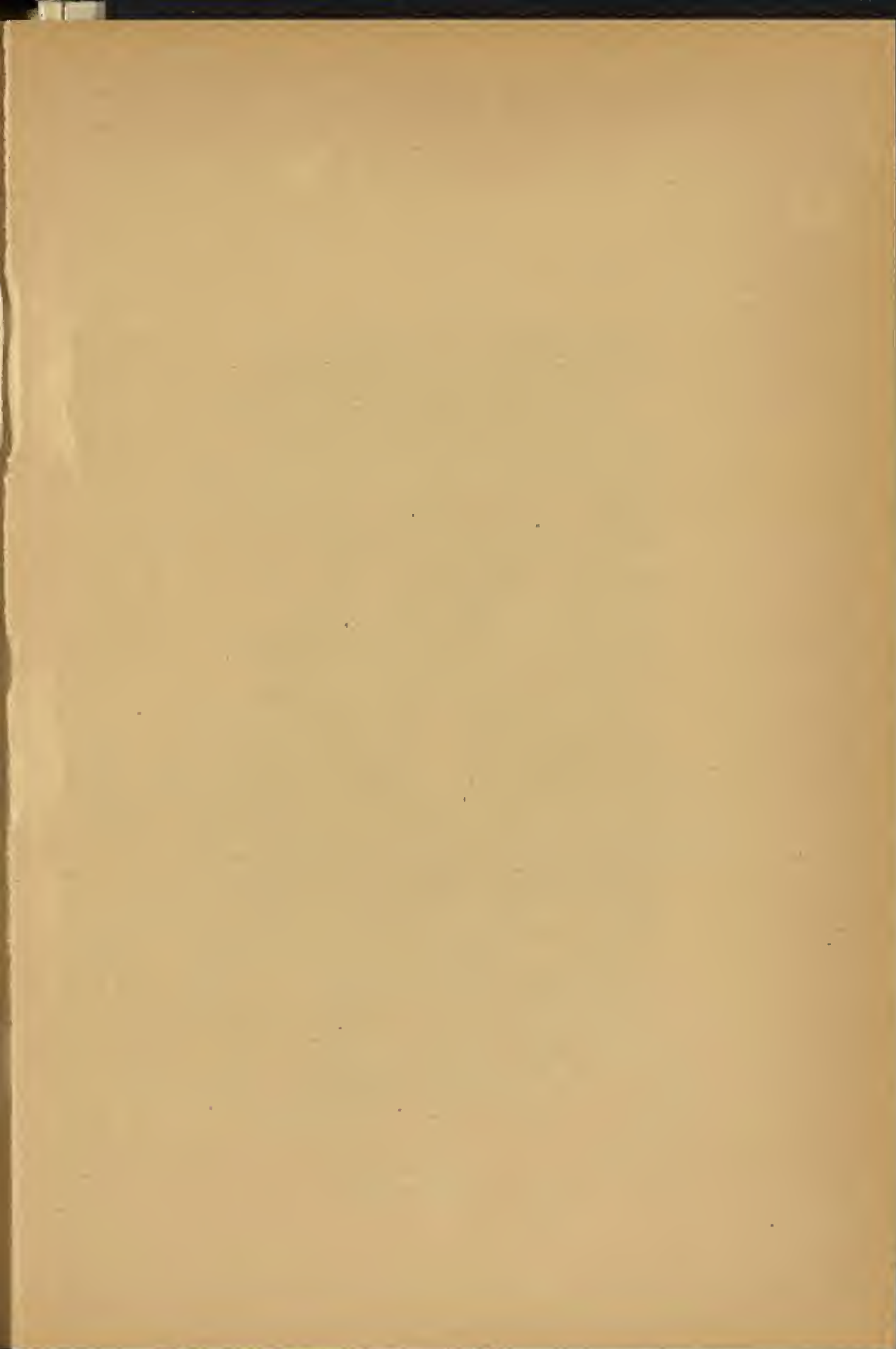
ففي فجر سنة ١٣٤٨ أثار رحلة إلى أرض الهند وشبه جزيرة الملايا قضيت فيها حوالي سبعة أشهر عدت بعدها إلى مكة ، رغب إلى بعض من أعرف من الصحاب أن أرافقه في سفره إلى بعض جبال الحجاز الأدنى للطائف وسرعان ما وافقته وأبرمنا الأمر وابتدأنا الرحلة من الطائف إلى منازل بني سعد فوادي ميسان من منازل قبيلة ناصرة ، أملا أن يستمر بنا السير في جبال السراة وأن أستطيع استدراج صاحبي إلى أن نصل إلى جبل عسير ومنه تنحدر إلى تهامة ثم نعود إلى مكة عن طريق الساحل . غير أن هذا الأمل لم يقترب بالتوفيق فرأيت الاكتفاء برغبة رفيق وقضينا في التجوال نحو شهر ثم عدنا أدراجنا إلى الطائف .

بعد ذلك طوحت بي دواع خاصة إلى التردد على استانبول تهيأ لي به التجوال في ممالك الشرق الأدنى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق والأناضول . وفي عام ١٣٥٩ على أثر عودتي من مصر إلى مكة عن طريق فلسطين فشرق الأردن فالعراق فالكويت فنجد ، بسبب إعلان إيطاليا الحرب ضد الانجليز وتعاكس صفاء المواصلات في البحر الأحمر ، في جلسة من الجلسات التي كنا نقضي بها فراغ الوقت مع الأخ الصديق السيد محمد شطا المفتش الأول بمديرية المعارف العامة ، جرى ذكر اعتزام المديرية المشار إليها إنشاء أربع مدارس في مقاطعة عسير غير مدرستهم ، وصدور الأوامر العليا بالأسراع في تنفيذ ما اعتزمته المديرية فتحرك مني ماسكن من الشوق إلى زيارة عسير وسبق لساني بذكر ما في النفس من الرغبة في مشاهدة تلك الجهات فما كان من الصديق — رعاه الله وأبقاه — الا أن أشار على بأن أطلب الخدمة في إحدى المدارس المذكورة ، مردفاً ذلك ببيان فياض وزخرف من المحسنات والمرجحات فقد سبق أن زار تلك الجهة في جولة تفتيشية على مدرسة أبها وجيزان .

انصرفت من ذلك المجلس ونار الشوق في نفسي تلتهب والفكرة تعتلج في مخيالي جزرا ومدأ ، فالطرق في عسير عسيرة ، والحياة فيها حياة انزواء وانقطاع



الصدیق الکرم الشیخ محمد شطا



لأنحرافها عن خط الحضارة في العالم، وقد تخطيت الشباب وطعنت في الكهولة فلم يعد في الطوق احتمال المشاق والمتاعب، ولم تسبق لي ممارسة مهنة التعليم، ولا أملاك أية وثيقة تدل على مؤهلاتي، بل لم أدرس أى علم من العلوم دراسة منهجية، وكل ما لدى من بضاعة لم يكن إلا تلقفاً من مجالسة أهل العلم والمعرفة، ودراسة شخصية فيما اتصل إليه يدي من كتاب بالاطلاع والتبصر. ومثل هذا لا يؤهلني لأن أفهم نفسي بين رجال التعليم، ولأن أجرو فأطلب ذلك رسمياً من مديرية المعارف، لكن داء الشوق إلى مشاهدة تلك الربوع قديم من من، ومغريات صديق ودعايته كانت ساحرة فائقة، والحرب القائمة^(١) متوقع طولها واستمرارها إلى أمد غير قصير، وحياة مثلي في أثنائها بمكة حياة ركود لا فرق بين أمسها وغدها، ولا تخرج عن أكل وشرب ونوم. وأكل وشرب ونوم، فالسبل إلى خارج البلاد تكاد تكون مقطوعة، والتقلب للكسب والاتجار أمسى عزيزاً على من كان في مثل حالى رقة. ولحظ الصديق العزيز ذلك منى وآنس تهبى الإقدام على طلب ما أشار به. وبدون سابق إنذار قدم باسمي طلباً إلى مديرية المعارف في وظيفة مدير مدرسة رجال ألمع. قدم الطالب وهو المفتش الأول للمعارف والعضو العامل في هيئة إدارتها والمديرية متطلعة إلى من يسد الفراغ لإنهاء تشكيل هذه المدارس وإبرازها لحيز العمل والوجود، فقد طال الإعلان عنها ولم يتقدم أحد بالطالب لأن الحياة في تلك الجهات خشنة قل من يقدم على احتمالها من أرباب المؤهلات ومن لا يعدمون عملاً في العواصم والخواضر الزاخرة بمطالب الحياة على اختلاف أنواعها. فصول الموافقة على قبول طلبي والحال ما ذكرت سيكون أيسر من عرش بلقيس على من عنده علم من الكتاب.

(١) هي الحرب العالمية الثانية التي نشبت بين الألمان وحلفائهم وبين الأنكليز وحلفائهم عام ١٣٥٨ هـ الموافق عام ١٩٣٩ وانهت بهزيمة الألمان وحلفائهم هزيمة منكرة عام ١٩٤٥ م الموافق عام ١٣٦٤ هـ.

تقدمت مديرية المعارف بموافقتها على تعييني إلى المناصب العالية حسب
(الروتين) الحكومي المتبع فأقرته ، وأصبحت في أمر واقع تمهيات لي معه
أمنية لم تكن لتنتها لولا سعي هذا المناضل ويده وعونه .

وما هذا بأول إحسان نالني منه فله عندي من سوابق المعروف والبر ما لا
عيب فيه سوى تأكيد عجزى عن استملاحة مكاناته عليه .

وواحسرتاه كأن الأقدار لم تشأ أن تمنحني هذه الأمانة في هناءة وصفاء
فأى متعة ستكون في هذه الرحلة بعد تحطى زمن الشباب وضعف القوة
والاحتمال ، في بلاد لا وسائل للتقل فيها إلا البعير والمار .

وكيف تصفو النفس الاستمتاع وهى ملتاعة لمنازقة هذا الأخ الكريم
والصديق الحميم ، ورحم الله أبا العلاء المعرى إذ يقول :

كلفنا بالعراق ونحن شرح فلم نلهم به إلا كهولا
وشارفنا فراق أبي علي فكان أعز داهية نزولا

الاستعداد للرحلة

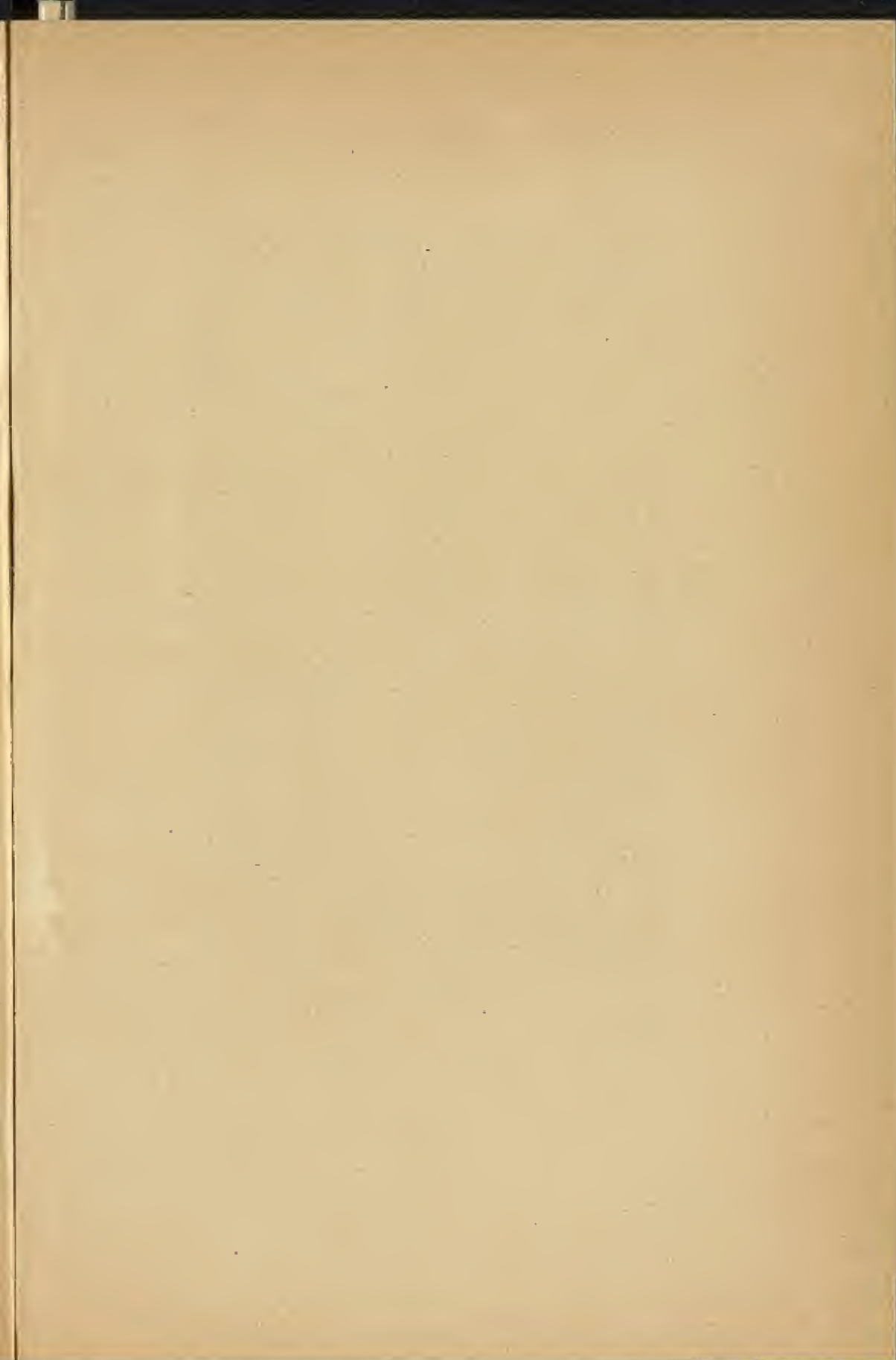
حصص الأمر وحزب . وأخذت مديرية المعارف تستحث للسفر .
ولى صديق فاضل هو الأستاذ عيسى فيهم . رأيت من سداد الرأي أن أستميله
لمرافقتي ، وما زلت أغزل في صوفه وأحوك حتى وافق على المصاحبة . وتقدم
فطالب وظيفة أستاذ مدرس بالمدرسة ، وكان أهلا لذلك فأجيب طلبه ، كما
أنى استملت بعض من آلف وأعزف ، وهو الأخ محمد الحربي بأن يطلب
وظيفة مراسل المدرسة ففعل وقبل .

وبهذا الذي صنعت خفت عني آلام الوحدة المتوقعة بالبعد عن كل من
آنس به من الرفاق والأصحاب إلى بلد سوف تكون الرسائل فيما بيني وبينهم
غدوها شهر ورواحها شهر (١) .

(١) كان البريد بين مكة وأبها إلى ما بعد وصولنا عسير بستة شهور يسير على الجمال =



الصدیق الغریب الأستاذ عیسیٰ نعیم



كان المقرر أن نبارح مكة في يوم الخميس ٦ من ذى القعدة سنة ١٣٥٩ عن طريق الساحل في سيارة خاصة أعدت لنقل موظفي بعض المدارس الأخرى في تلك المنطقة ، ولكن ذلك لم يكن مقدوراً ، فقد عرض مارجحت به العدول عن السفر فيها بعد أن حزمنا أمتعتنا وطاف من طاف بالبيت مودعاً ووقفنا بجوار السيارة للركوب .

ولا أطيل بذكر تفاصيل هذه المنقلة ، كما يقولون فقد حصل عقباها ، ما حمدنا معه الواقع وتيسر لنا الركوب في سيارة أخرى هيأتها وزارة المالية لنقل بعض موظفي الصحة في تلك الجهات توصلنا إلى أبها عن طريق وادي يشه وهو طريق أقل خطورة ومتاعب من طريق الساحل . وتهايت الأسباب . فلنسافر .

وفي يوم الاثنين العاشر من ذى القعدة سنة ١٣٥٩ بعد أن صلينا الظهر وأعدنا طواف الوداع بالبيت العتيق ، ركبنا السيارة وبعد حوالي نصف الساعة وصلنا الشرائع فتنازلنا في إحدى مقاهيها الشاي ، ثم استأنفنا المسير مارين بالزعماء فالسيل وفي حوالي الساعة الواحدة مساء وصلنا الطائف (١) .

== إلا أنه تقرر بعد ذلك أن تسير سيارة بريد كل خمسة عشر يوماً مرة وقد أمسى الآن في كل أسبوع مرة .

(١) الطائف من مدن الحجاز الشريفة ومعظم سكانه من ثقيف في العصر الجاهل والإسلامي حتى عصرنا الحاضر إلا أنه في العصور المتأخرة كثر في سكانها الخاضعة منه خاصة بعض الطوائف غير العربية من المسلمين وبالأخص السليمانية والسنود وتأصلوا فيه واندمجوا في أهله . وهو جيد المناخ والفواكه . يرتفع عن سطح البحر بألف وستمائة مترافياً أعلى . وكان في القديم ولا يزال حتى اليوم مصيفاً للأهل مكة وينسب لمعاوية قوله : أعجبنا الناس عيشاً عبيدي أو قال مولاى سعد ، وكان على أمواله في الحجاز ويتربح في جدة ويتقيظ في الطائف ويشتو بمكة ولذلك وصف محمد بن عبد الله التميمي زينب بنت يوسف أخت الحجاج بالنعمة والرفاهية فقال :
تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وجاء في ياقوت ص ١٠٦ ج ١ ، الطائف بعد الألف همزة في صورة الياء . ثم فاء

في الطائف

كانت الليلة شتائية شديدة البرد فقررنا المبيت بالطائف ومقارنتها صباحا

== وهو في الاقليم الثاني وعرضها ٢١ درجة وأنها سميت طائفاً بحائطها المبنى حولها المصدق بها ، ثم ذكر كلاماً كثيراً من أغربه قوله : وهي مع هذا الاسم الفخم بليدة صغيرة على طرف واد وهي محلتان أحدهما على هذا الجانب يقال لها طائف ثقيف ، والأخرى على هذا الجانب يقال لها الوهط والوادي بين ذلك تجري فيه مياه المدايح التي يدبغ فيها الأديم يصرع الطير وانحتها إذا مرت بها ويوتها لاطئة حرجة وفي أكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل ، فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان وأما زيبها فيضرب المثل بحسنة .

أما كروم الطائف وأغابها فعلى ما قال ياقوت إلى اليوم ليس لها مثيل في بلد من البلدان وبالأخص عتب وادي القمم أحد ضواحي الطائف وتوابعه ، لكن المستغرب ما وصف به الطائف بأنه بليدة صغيرة وأنها محلتان يقال لأحدهما الوهط والأخرى طائف ثقيف لأن الوضع الطبيعي المشاهد للمنطقة يبعد تصور حصول ما ذكر فإن الوهط المعروف الآن قرية في أعلى منحدر وادي وج ذات بساتين ومزارع تسقى من عين خاصة بها تبعد عن الطائف من الجهة الغربية بحوالى ساعة على الدابة ويفصلها عنه وادي المشناة بمزارعه ومساكنه وبساتينه وما بعده من حزون وجبال على أن قبائل هذه الجهة تطلق اسم الطائف على الناحية جميعها ، أما المدينة فيقولون عنها السوق ، والطائف الآن يقوم على نهض من الأرض فسيح الرقعة واقع شمال وغرب مسيل السيل من وادي وج المنحدر من جبال الشفا . وما فيها من شعاب وأودية يقال أنها حوالى ستة وثلاثين وادياً كلها تصق مياهها إلى وادي وج ، وهو معمور بالدور الفخمة والمساكن الجميلة وله الضواحي البهيجة - بما فيها من البساتين والأشجار المثمرة - كالسلامة والمثناة وحوايه وشبراو وجنبره والحويّة وغيرها وقد كانت المدينة إلى عهد قريب مسورة فأزيل عنها السور واتصلت بها معظم الضواحي المذكورة وعمرانه في ازدياد ، إلا أنه في العهود القريبة بسبب فلة الأمطار شحّت المياه فيه كثيراً والحكومة جادة في تلافى ذلك بالعزم على إقامة بعض السدود وأحجار البعض الآخر الذي لحته الخراب بطول الزمن فاذا تم ذلك وتم ما تعزمه أيضاً من تعبيد الطريق إليه من مكة فيسكون الطائف مستقبل زاهر ويصبح من أجمل مدن الحجاز لطيب هوائه وجودة ثماره ومناخه ، ولعل ذلك يكون قريباً .

وذهب رفيتنا الدكتور عبد العليم الآتاسى طبيب أبها وزميله مأمور الصحة المتجول ليضيا الليلة بإدارة صحة الطائف ، وأنفت أن أستضيف بعض من أعرف من أهالى الطائف وهى خلو من النزل والفنادق كسائر مدن الحجاز حينئذ ، فاتفقت ورفقتانى أن نأرى إلى إحدى مقاهيها ونمضى بها الليلة كيفما اتفق ، واختارنا سائق السيارة قهوة بن صادق ، وماكدنا نأخذ مضاجعنا فيها حتى انتهالت علينا جيوش من البق تنسل من كل حـسب وصوب تنازعنا الراحة لتعيش بدمائنا .

أمضيناها ليلة ناهية لم تذق أجفاننا فيها لذة النعـص ولم تفر أيدينا من الهرش حتى الصباح ، ولما تشقق نور الفجر تبادرنا إلى تهيئة طعام للإفطار ، ووافقنا الدكتور ، وبعد أن تناولنا ما تيسر مما أحضرناه من طعام حزمنا أمتعتنا وماكنا أخرجنه من السيارة لترتفق به وتابعنا المسير فلما أن خرجنا من باب شهرا أحد أبواب سور الطائف وقف السائق لإشراف مأمور الشرطة على أوراقه حسب المعتاد ، فاتهر المأمور الصبحى هذه الفرصة وانسل من السيارة إلى حيث لا نعلم .

ظلمنا منتظرين رجوعه زهاء الساعة . فكانت وقفة مضنة ثقيلة لم يرد عنها فى الثقل إلا سحتته الباردة أثناء رجوعه واعتذاره لنا بأنه ذهب إلى السوق ليشتري بعض أنواع الخضار ليهدمه هدية لأمر تربة حيث يقصد الإقامة .

سرنا بعد رجوعه وكانت الشمس قد ارتفعت وتجاوز الوقت الساعة الرابعة وكان اتجاهنا فى المسير شرقا فى طريق كثير الالتواء والصخور الناتئة حتى حاذينا أسفل وادى دلييه ،^(١) فانشعب عنا الطريق خطين وخشى السائق

(١) وادى لييه على مقربة من الطائف فيه عدة بساتين على الآبار يزرع فيها الرمان بكثرة ورماته على ما أعلم من أجود رمان الحجاز بل أجود رمان العالم لا يقاربه فى الجودة إلا رمان الجبل الأخضر بعمان من بلاد العرب ورمان باقليم بستان =

الضلال إذ لم يسبق له ارتياد هذه الجهة ، فتوقف عن السير ولكن تبين أنهما يتصلان أسفل الوادى فىرنا ، ولاحظت أن سيرنا دائماً فى هبوط حتى وصلنا (تربة^(١)) حوالى الساعة العاشرة بعد العصر ونزلنا ضيوفاً على أميرها رشيد الحمود العبيلان ، وهو ربة نحيف الجسم بشوش الوجه .

فى تربة

بعد أن تشينا على مائدة الأمير جلسنا للسمر وجاء بعض من يتناده مع الأمير من سكان تربة وقضينا فيه وقتاً غير طويل ، ثم قنا ونام البعض منا فى مجلس الأمانة والبعض فى السيارة واخترت أنا غرفة المأمور الصحى التى هيأها متماماً له لأن غايته فى السفر معنا كانت إلى تربة فقط .
وتربة واقعة على رهوة تعلو بساكن النخيل المصطنعة أمامها من الشرق على حافة الوادى .

ويقدر النخيل الممتد على وادى تربة كما ذكر لنا أميرها بحوالى خمسين ألف نخلة^(٢) وشرب أهل تربة من آبار عذبة المياه واعتمدوا فى سنبها النخيل عليها وعلى ما يسيل به الوادى فى موسم المطر .

== من أرض فارس ، وهو معروف بهذا الاسم من العهد الجاهل قال غيلان بن سبهم :
جلينا الخيل من اكناف ورج ولاية نحوكم بالداوعينا
ياقوت ص ٢٤٨ ج ٧ .

(١) جاء فى معجم ياقوت ج ٢ ص ٣٧٤ قال أحمد بن محمد الحمداى : تربة ورنه ويشه هذه ثلاثة أودية ضخام مسيرة كل واحد منها عشرون يوماً أسفلها فى نجد واعلاها فى السراء ، ويقول صاحب كتاب فى بلاد عسير : أن طول وادى تربة نحو ١٢٠ كيلو متراً وهى مسافة لا تتفق وما ذكره ياقوت .

(٢) يقول صاحب كتاب الرحلة اليمنية ص ٧٤ وص ١٢٠ أن النخيل الذى على وادى تربة وفى قراه أكثر من مائتى ألف نخلة ، وأن فى بساكنها - من غير النخيل - يزرع الموز والليمون والنارج والعنب وبعض الفواكه الأخرى ويزرع فيها البر والذرة والشعير ، وكافة أنواع الخضار ، ومنظر هذا الوادى من أحسن ==

ولتربة سوق دائمة وافية برغائب أهلها وما يحتاجه سكان البادية التي
حوطا والسوق عبارة عن بضع عشر دكا كين تحيط برحبة فسيحة يعرض
فيها ما يباع بالمزايدة من مواش وغيرها من العروض الأخرى (١).
وفي جانب من السوق مدخل خاص يجلس فيه باعة اللحوم وطريقة تم
في بيعها هو أن يقطع الحروف أو التيس أجزاء أهلها نصف الثمن .



« منظر لبعض بيوت تربة »

وأحال أن مناخ تربة أقرب إلى شدة الحرارة في الصيف فالدلة التي بتناها
بها كانت دافئة لم تخرج فيها إلى سميكة الدثار رغم أننا في أوائل الشتاء .
وبيوتها من التين لا يحدو معظمها الطابقيين ولا مراحيض بها بتاناً .
وهي متقاربة البناء وأزقتها ضيقة كثيرة الالتواء والتعارج .

== المناظر وبه كثير من شجر الأثل وغيره وأن بالوادي نهراً جارياً دائماً كبيراً جداً
« أظنه يعني عين ماء » والنخلة في هذا الوادي تزن ثمرتها ثمانية قناطير على الأقل .

(١) ذكر لنا الأمير أثناء الحديث معه أن في تربة بضعة من التجار من غير
أهلها أثروا ثراء فاحشاً وتملكوا الكثير من نخلها فأنهم يتحينون حاجة أرباب
النخيل والزراع فيدعونهم أشياء من العروض نسيت بأرباح فاحشة يجمع المزارع ==

وسكان القرية لا يتجاوزون الألفين على أكثر تقدير معظمهم من قبيلة
البيقوم^(١).

حادث تاريخي

وقد أصبح اسم تربة أكثر شهرة ودوراً على الألسنة أبان توتر العلاقات
بين شرفاء مكة وأمراء نجد ، فانها والخرمه كانتا ملحقتين بامارة مكة وكان آل
سعود يطمحون في الاستيلاء عليهما ويدعون أنهما نجدتان فجبل كحضن على
مقربة من تربة ومن رأى حضنا فقد أنجد^(٢). وفي أبان الثورة العربية حصلت

== عن تسديدها فيكرر العملية نفسها حتى يعظم الدين ويعجز عجزاً تاماً عن تسديده
فيستخذون على ما لديه من ملك في تسديد ما أمسى لهم من ديون وهي طريقة
بالغة الضرر تفسد على الناس أحوالهم .

(١) يقول صاحب كتاب « قلب جزيرة العرب » ص ١٣١ : أن البيقوم أصلهم
من الأزد إلا أن قسماً منهم اختلط بعتيبة وجارها فيها هي عليه ، وقد أكد ذلك في
كتابه « في بلاد عسير » ص ٢٦ وذكر أنهم إلى عتيبة أميل وأقرب وقسمهم إلى
خمس بدائد - المرزوق - الموركة - الكلبة - الرواجح - الفواصل .

وجاء في كتاب صحيح الأخبار ج ٤ ص ٢١٧ و ٢١٨ عند الكلام على حضن
قول المؤلف : والذي أعلمه أنه جبل لبني هلال ابن عامر وبعد رحيلهم من نجد
أستولت عليه قبائل البيقوم وقد ذكرنا في غير هذا المكان أن سبب تسميتهم بالبيقوم
لأن مزعم من باقم وهم بطن من الأزد من بني عمرو بن حوالة . . .

(٢) مما قاله ياقوت في معجته ج ٣ ص ٢٩٥ عن حضن عدة أقوال منها : حضن
بالتحريك وهو في اللغة العاج وهو جبل بأعلى نجد وهو أول حدود نجد وفي المثل
« أنجد من رأى حضناً » . . .

وقال صاحب كتاب الرحلة النجانية ص ٧٥ : وبيننا نحن سائرون إذ رأينا جبل
حضن المشهور في التواريخ العربية ، وهو يبعد عن الطريق العمومي من جهة اليمن بسة
آلاف متر تقريباً : مساحة هذا الجبل من الشرق إلى الغرب عشرة كيلو متراً ومن
الشمال إلى الجنوب خمسة عشر كيلو متراً وفي سطحه مياه كثيرة وأشجار عظيمة ،
وهي ملك لقبائل البيقوم وعندنا ينشب الحرب بينهم وبين عتيبة أو سبيع
أو ابن الحارث يقيمون بهذا الجبل لأنه حصين ويتركون مواشيهم وإبلهم ترعى
في سطحه حتى تنتهي الحرب فهو بمثابة حصن لهم .

مشادة بين أمير الحرمه الشريف خالد بن اوى وبين الشريف عبد الله بن الحسين فقد كان المذكور من جملة رؤساء الجند في جيش الشريف عبد الله الذى كان يعسكر إذ ذاك حول المدينة المنورة، ورغم أنه كان من الشرفاء العبادة أبناء عم الشريف الأقرين لم يتجاوز عمالهقه من اهانة وتوصل إلى ترك المعسكر، ولحق بالحرمه واتصل بالسعوديين وأخذ يناوى أبناء عمه وقطع ما كان يصل الى الحجاز من تلك الجهات من الميرة والزكاة .

وقد شجعه ترحيب السعوديين به على الايغال فى العداء والتمرد وكانت الدعوة الحديثة التى قامت فى نجد - أحياء لماسلف من الدعوة الدينية الإصلاحية التى ظهرت فيه فى القرن الثانى عشر الهجرى - قد تفشت فى معظم قبائل تلك الجهة، وكنت المدبسة^(١) منهم مما زادت معه الأمور سوءا بالنسبة لشرفاء مكة ونفوذهم، فاعتزموا الضرب على يد الأمير خالد وقطع دابر ما أوجده من الافساد عليهم، وكان قد تم لهم الاستيلاء على المدينة المنورة وحيازة ما فيها من أسلحة وعتاد للجيش التركى الذى صابر وثبت فى الدفاع عن المدينة طول أيام الحرب العامة إلى أن عقدت الهدنة بين الحكومة العثمانية وحكومات الخلفاء وكان من جملة شروطها التخلّى عن سائر البلاد العربية وتركها لأهلها .

سار الأمير عبد الله بما لديه من جموع البدو وقول الحكومة التركية ومعظم ما استولوا عليه من المدافع والرشاشات والعتاد الحربى متجهاً صوب الحرمه . وقلد جيشه هذا على ما أنذ كر بحوالى عشرة آلاف جندى ولا يخلو هذا التقدير من المبالغة فيه .

(١) جاء فى كتاب «فى بلاد عسير» ص ٣٤ : عاد خالد من عند الأشراف الى ديرة فوجد الخلاف على أشده بين أنصار الفشتين من جماعته غير أنه رأى الكفة راجحة بجانب أهل نجد فترأس الحركة الجديدة وانضم إليها وجاهر بها ثم سافر إلى الرياض وأعلن خضوعه وولاه الخ .

وفي أثناء طريقه إلى الخرمة أشار عليه بعض المائفين حوله من قبائل تلك
الجهة أن يعرج على تربة أو لا وبعد قتال طفيف لم يتجاوز بضع ساعات استولى
على تربة . وما كاذ يستقر بميشه في تربة حتى دهم في إحدى الليالي بهجوم من
بعض العشائر الضاربة حولها وشرادهم من النجديين كانت أنت لاستطلاع خبر
هذه الحملة التي سيرها الشرفاء .

كان الأمير عبد الله عظيم الاغترار بميشه ومعدات الحربية فلم يتخذ من
الحيطة والحذر ما كان يجب عليه أن يتخذه بما تعد عليه ضعفاً في القيادة .

وكانت ليلة الهجوم مظلمة حالكة^(١) والجيش ورؤساؤه في منتهى النفرة
فالحقه من الدعر والطلع ما جعله يضرب بعضه البعض وأخذت المدافع
والرشاشات تصد ما أمامها بلا رشد ولا تمييز وفر الأمير وبعض من معه
من رؤساء الجند إلى الطائف . ولم تشرق شمس اليوم التالي للهجوم حتى لم يبق
من ذلك الجيش العرمم سوى جثث القتلى وأسلاهم .

من هذه الموقعة تضعضعت قوة الشرفاء المعنوية والحربية وتناقص
تقوؤهم من تلك الجهات تماماً وازدادت آمال النجديين ونشطوا في منارشة
حكومة الشرفاء إلى أن تم لهم ما تم من الاستيلاء على الحجاز جميعه بعد بضع
سنوات من الحادثة^(٢) .

وفي أثناء وجودنا بتربة أشار لنا بعض أهلها إلى مكان تلك الواقعة وذكر
أن عظام الموتى وجماجمهم لا زالت باقية يشهد بها من يمر بتلك الجهة .

(١) كان الهجوم في العشر الأواخر من شهر شعبان سنة ١٣٣٧ وبالتحديد
في ليلة الخامس والعشرين منه .

(٢) بسط الأستاذ نؤاد بك حمزة في كتابه « في بلاد عسير » واقعة تربة بسطاً
وأثيراً دقيقاً معدداً ما سببها من وقائع ومناوشات بين أنصار الدعوة السلفية
الجديدة وبين قري الشرفاء التي كانت تقصد تأديبهم وإعادة التقوؤ لإيهم فمن شاء
ذلك رجع إليه في الفصل الرابع تحت عنوان تربة والخرمة صفحة ٣٠ وما بعدها .

وفي صباح يوم الأربعاء ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٥٩ بعد أن تنار لنا طعام الإفطار على مائدة الأمير وكان « حناني » وهو طعام أشبه بالتطائف إلا أنها كانت في حجم الريال مستاة بعسل النحل بدلاً من النطر . ودعنا مضيئنا شاكرين حسن عنايته وسرنا متجهين إلى وادي ييشه وبعد سير نصف ساعة في أرض منبسطة اتصلنا بالطريق العام المتجه رأساً من الطائف إلى ييشه ومازلنا سائرين إلى أن وصلنا حافة وادي تربة ومسيل السيل إليها فتوقف السائق قليلاً ريثما طم ما أحدثته السيول من أحاديث لا يتسنى معها السير في الوادي .

وبعد أن قطعنا الوادي كان سيرنا في أرض رخوة منبسطة حوالى ربع ساعة اتصلنا بعدها بالحرة وسرنا فيها حوالى ساعة ثم قمنا في نهايتها على غدير ماء ينصب من سلسلة جبال تلو شعياً يسمى « كراء » (١).

والحرة أرض صلبة منبثة على سطحها حجارة سوداء منخفضة مختلفة الحجم يتخللها نبت عشب جيد المرحى واحم الضأن الذى ينشأ ويرعى في الحرار (٢) مفضل عند أهل مكة على غيره من لحوم الضأن الأخرى .

(١) وادي كراء معروف قديماً بهذا الاسم فقد ذكره ياقوت فقال كراء بالفتح والماء ولا أعرفه في اللغة ثنية ببيش وقيل ثنية بالطائف وقيل واد يدنح سبله في تربة . والصحيح ما ذكره ياقوت هو الأخير من الأقوال وقد أكد ذلك العلامة الشيخ محمد بن بليهد في كتابه صحيح الأخبار ص ٨٨ و ٨٩ ج ٣ وقال : إنه قد بعث في هذا العهد وغرس فيه نخيل مشرعة ، في الماء . ولم تشهد النخيل حين مرورنا وأحال أن ذلك جرى أسفل الوادي بعيداً عن الغدير والطريق على أنه كان قديماً معروفاً بزرع النخل فقد قال الدكتور في معجم ما استعجم ص ٨٧٥ : والضباب أمرات متعالية قريب من الطائف ولهم واد يقال له كراء وهو واد رغيب في علباء دار بنى هلال يفلق الحرة دونه منها أربعة أميان ووراءه مثلبا وهو كثير النخيل جدا ليس بينه وبين الطائف إلا ليلتان بطوذة حاج العين وأنه لبني زهير من الضباب .

(٢) الحرار على ما قاله علماء طبقات الأرض « الجولجيا » مغذوفات بركانية أو سوانل بركانية تجددت ولا يعلم بالضبط كيفية تكونها « قلب جزيرة العرب » =

الى وادى رنيه

بعد أن تزودنا بحاجتنا من ماء الندير مررنا في أرض جرداء وربي صخرية لا نبات عليها « ولعلها قسم من الحرة » مررنا أثناءها بمنخفض من الأرض كثير شجر الشوك من السَّاسِمِ وَالسَّمرِ يطلق عليه أهل تلك الجهة « روضة بن غنام » وحسبك بأثمار الشوك أن تسمى روضة .

وفي الساعة الثامنة والنصف بعد الظهر وصلنا (وادى رنية)^(١) ونزلنا

== والحرار كثيرة في الجزيرة العربية معظمها على ما ذكره ياقوت في الجبل الشمالية الغربية منها ، وقد ذكر منها جملة وعرفها وذكر أسماء بعضها وجاء في معجمه ص ٣٥٩ ج ٢ حرة عسوس : العسوس اسم الذئب يعسوس بالليل أى يطوف وهى حرة معروفة قال الغامدى :

بين الرقاق وبين حرة عسوس طاف الخيال وصحبتى بالأوعس

فلعل هذه الحرة هى حرة عسوس فان ديار غامد قريبة منها .

ووجدت في مصور جغرافى ملحق بكتاب العرب تأليف ب. مورتز الألمانى رسم حرة سماها حرة نويث *Harrat Nouaif* جاء موقعها بين وادى تربة ووادى رنيه شرق جبال الحجاز .

وفي مطالعتى أخيراً لكتاب « في بلاد عسير » وجدته في صفحة ٤٤ عند وصفه الطريق نسبها إلى قبيلة سبيع فقال (والمسافر من الحزمة لا يبطأ أرض حرة سبيع المشهورة) (١) قال صاحب كتاب الرحلة اليمنية ص ٧٣ : ونزلنا أعلى وادى « رنيه »

وهو المرحلة العاشرة من أبها ، وهذه الديار لقبائل غامد أهل المشرق يعنى بدو قبيلة غامد « وقبيلة غامد متفرقة بعضهم قاطن بهذه الديار والقسم الأعظم منهم قاطن بجبل الحجاز وبعضهم قاطن تهامة التى لغامد في الجهة الغربية من جبل الحجاز أما وادى رنيه المذكور فان الجهة التى لغامد فيها خالية من النخل وفي أسفل الوادى قرى لقبائل سبيع المشهورة بقرى رنيه وهذا الوادى مائة ألف نخلة وقرى مبنية باللبن من طبقة إلى طبقتين فيها أسواق دائماً . وقال صاحب كتاب « في بلاد عسير » يتألف وادى رنيه من مجموعة من الشعبان تنشأ في بلاد غامد في السراة الحجازية وهو أحد الأودية الستة التى ذكرناها في الفصل الأول ويتجه من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى وكان يظن أنه ينتهى في وادى الدواسر والواقع أنه ينتهى في ==

تحت ظل دوحه من شجر الأثل وتناولنا طعام الغداء وشربنا الشاي ثم صلينا العصر والظهر ، وسرنا وبعد ساعتين تقريباً وفي نحو الساعة الحادية عشر والنصف وصلنا « قرية الروشن » إحدى قرى وادى بيشة^(١) ونزلنا ضيوفاً على أميرها .

عرق الدواسر ، ولا يتصل بالوادي نفسه . وتقوم على اطراف الوادى المزارع وحدائق النخل والتفاح والقرى إلى مسافات بعيدة ، ثم عدد قرى وادى رنية ومياهه وذكر أن أول العمران هو (الأملح) ثم سمي حوالى ثلاث عشرة قرية إلى أن قال : ومعيشة أهل رنية بسيطة هادئة وهم زراع بالطبع وأهم زراعتهم النخيل والحبوب وهم - بعد - أهل ماشية وجمال وعندهم ذوق فى صناعة النسيج الصوفى الخاص بالأخرجة والخصيات ص ٤٨ - ٤٩

(١) قال ياقوت فى معجمه ج ٢ ص ٣٣٤ : وعن أبى زياد خير ديار بنى سلول بيشة وهو وادى يصب سبله من الحجاز حجاز الطائف ثم ينصب فى نجد حتى ينتهى فى بلاد حنظل وفى بيشة بطون من الناس كثيرة من حنظل وهلال وسواء بن عامر ابن صعب بن سلول وحنظل والضباب وقريش ، وهم بنو هاشم لهم المعمل نذكره فى موضعه ، وبيشة من عمل مكة مما يلى اليمن من مكة على خمسة مراحل وبها من النخيل والفسيل الشيء الكثير ، وفى وادى بيشة موضع مشجر كثير الأسد « لا أظن بها من الأسد شيئاً » قال السمرى .

وابنة ليلي بالغريين سلبت على ودونى طخفة ورجامها
فان التي أهدت على ناءى دارها سلاماً لمردود عليها سلامها
عديدا الحصى والأثل من بطن بيشة وطرفاتها ما دام فيها حمامها

وذكر صاحب كتاب الرحلة اليمنية ص ٦٩ و ٧٠ ما خلاصته : أن وادى بيشة واد عظيم تمده (٢٥) وادياً من الأودية الأخرى وكلها ينصب ماؤها من جبل الحجاز وأن ما يزرع فى وادى بيشة من الحبوب ، البر والذرة والشعير وأنواع الخضار ، وأن الليمون رخيص فيه للغاية فالمانعة حبة بقرش ولأهله عناية تامة زائدة بالنخل وغرسه وانه يبلغ نصف مليون نخلة من أجود أنواع النخل ، وأن أنواع الرطب فيه تزيد على الخمسين نوعاً وأن البلح رخيص فيه للغاية فالنطار منه لا يساوى =

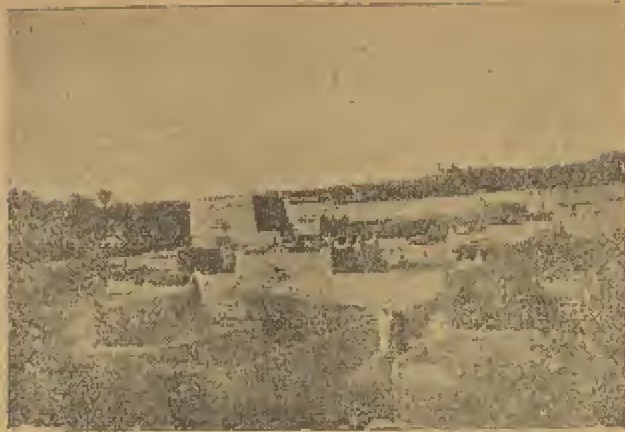
وكانت مقابلتنا له وهو جالس في فناء دار الإمارة على مصطبة من اللبن وحوله خورأاد ، مرافقوه ، وذلك بجلسه في عصر كل يوم وبعد أن حينئذنا وحيانا دخل بنا إلى غرفة الاستقبال أريجاس الإمارة ، وكانت غرفة مستطيلة في طبقة أرضية من دار كبيرة ، والأمير مديد القامة أسمر اللون يختلف عن زميله أمير تربة من حيث الثقافة فهو كثير التحدث عن أثره في ضبط منطقة إمارته وحسن إدارته لها وما شاكل ذلك

قرية الروشن

وقرية الروشن هي مقر إمارة القبائل الضاربة على وادي بيشة ، وفيها يقوم سوق يوم الأربعاء غير أن السوق الأهم يقوم يوم الخميس في قرية أخرى لا تبعد من الروشن بأكثر من ربع ساعة على القدم تسمى « نمران » . وفي القرية من المؤسسات الحكومية غير الإمارة محكمة شرعية ومأمور للمالية ومركز للبرق اللاسلكي يقيم فيه موظف خاص للبريد ، وبها مدرسة أولية طلبتها نحو ستين طالباً وفيها مستودع للبنزين وما يلزم السيارات من غير ذلك .

وهي ذات أهمية في المواصلات والاتصال بأجزاء المملكة السعودية . وبيوتها من اللبن لا تعدو الطابقتين غالباً ، بل أكثرها من طابق واحد حولها كثير من بساطين النخيل وغيره من الثمار .

== غير خمسة عشر قرشا (هذه أسعار لم تعد اليوم كما قال) ويقول أن حدائق النخل تحف الوادي من جانبيه على مسافة يومين بالهجين وأن به غابات كثيرة جداً .



« منظر بعض بيوت قرية الروشن وحولها أشجار النخيل وبساتينه »

وادی بيشه

ووادى بيشة واد عظيم تنتشر عليه عدة قرى^(١) ومزارع من النخيل . ذكر

(١) جاء في كتاب (في بلاد عسير) : أن وادى بيشة يبدأ من سراة عبيدة ورفيدة وكانت تقوم عند مبدئه قرية عظيمة لم يبق منها إلا اطلال وخرائب هي بلدة (جُرحش) الوارد ذكرها في كثير من كتب العرب ، ثم ينحدر ماراً ببلاد قحطان حيث يكون اسمه بيشة بن سالم أحد زعماء قحطان ، ثم يدخل ديرة قبيلة شهران ويمر من مكان تقوم على اطرافه قرى شهران ، ومنها خميس مشيط . وبعد أن يجتازها تصب فيه أودية فرعية غير أنها غاية في الكبر والأهمية ، منها وادى تندجة ووادى أبها المسمى « خبيبي » وبعد أن يجتاز بلاد شهران عند المكان المسمى « واعر » وهو المعتبر في الواقع أول وادى بيشه يسمى « بيشة النخل » أو « بيشة عبطان » المعروفة في كتب العرب ، وانه - اعتباراً من واعر في أعلى وادى بيشة النخل إلى الجنينة في أسفله وهي منتهى العمران والنخيل - تقوم على أطراف الوادى احدى وعشرون قرية يتراوح عدد سكانها بين أربعين ألفاً وخمسين ألفاً ، وان الوادى يمتد في سيره إلى أن يلتقى بوادى رنيه في « رغوة » ويغورن معاً في « المهمل » عند ظاعن ، وأن وادى بيشه اعتباراً من واعر إلى الجنينة مسافة يومين ونصف على المطية = (٢)

لنا الأمير أن الخراصين يستغرق مسيرهم في خرص ثماره للزكاة ثلاثة شهور وأنه ثان لنخيل الأحساء في الكثرة ، وأنه لا يقل عن ثمانماية ألف نخلة ، وفي بدء ما استقر بنا المقام قدم لنا طبق من التمر لذيذ الطعم شهي المذاق ، وتمر يشبه وتربة مشهور بالجودة عند أهل مكة ، ويوجد في وادي يشبه الكثير من أنواع التمر وأشكاله سمي لنا بعض أهل قرية الروشن تسعة منها وهي :

- ١ - (المِسْكِينِي) وهذا أحسنها بلحاً ورطباً وتمرأ . ٢ - (الصَّفْرِي)
 - ٣ - (عَشِيَج) أى عتيق ٤ - (الحِلْوَة) ٥ - (الشَّكْل)
 - ٦ - (اللَّحَق) ٧ - (الْبَرْقِي) ٨ - (الْبَرْقَاوِي) ٩ - (الْخِضَارِي)
- ولسكان يشبه عناية تامة بزراعة النخيل وبراعة فائقة في تربته وإثماره أحسن الثمار (١) .

وسكان قرية الروشن خليط من مختلف قبائل الوادي (٢) معظمهم من

= أى ما يزيد على مائة كيلو متر ، وأن المسافة من قرية الروشن في يشبه إلى خميس مشيط مائتان وخمسون كيلو متراً ومن الروشن للبحينة تزيد عن خمسين كيلو متراً ، وبذلك يكون طول الوادي من منبعه إلى مصبه (٣٥٠) كيلو متراً في العمران ، وربما امتد أكثر من مائة كيلو متراً أخرى في الرمال ، فيكون مجموع طوله في هذه الحالة أكثر من (٤٥٠) كيلو متراً وهو طول عظيم . ثم ذكر روافد وادي يشبه وقال : إنها أربعة أودية هي وادي (تَرْج) وادي دَبَالَة وادي (هِرْجَاب) وادي (بَطْنَة) اهـ ص ٤٥ وما بعدها

(١) جاء في تقرير البعثة الأمريكية الزراعية التي جابت المملكة لدرس حالتها الزراعية أن التمور في هذه المنطقة من نوع جيد ، وأن العناية بها على خير ما يرام ، وأنهم شهدوا بها شجرة ليمون شعيرى كانت أضخم شجرة ليمون شهدوها في عموم المملكة مما يدل على صلاحية نموه بها اهـ ص ١٧٢ طبع مطبعة مصر .

(٢) جاء في كتاب في (بلاد عسير) أن عدد القبائل المتحالفة الساكنة في وادي يشبه ست قبائل هي قبيلة (أكلب) و(شهران) و(بلحارث) و(خثعم) =



منظر آخر من مناظر قرية الروشن .

بنى سلول ، وبعضهم من بني معاوية ، وأفراد من غامد وبعض أهالي نجد يتاجرون فيها . فهي من القرى المهمة في خطوط الانجرار مع القبائل الضاربة على الوادي

إلى الدرب : درب الخنيس

بعد أن تحشينا على مائدة الأمير - وكان الطعام على شيء من السخاء والكثرة عما صنع سابقه أمير تربة - اعتزنا المسير ومبارحة القرية فطلب إلينا الأمير أن نحمل له ثمانى صفائح من التمر وأحد خويّاه وقبل ذلك طلب إلينا مأمور المالية أن نحمل له موظفاً وأربع صفائح من التمر أيضاً لمدير مالية أمها^(١) فنقضنا ترتيب أمتعتنا في السيارة وأعدناه على ما اقتضاه الوضع الجديد من الواقع

== و (بَالْقَرْن) و (شَمْرَان) وعدّد بطون كل قبيلة من القبائل المذكورة وانقادها فمن شاء المزيديرجع إليه في ص ٥٩ وما بعدها .

(١) هذا وما شاكله من أضر ما يتعرض له المسافرين بالسيارة في هذه الطرق فإن الحمل المذكور مضافاً إلى أحمالنا - إقبال للسيارة وإعياء لها ، ورغم ما تبجح به السائق وأبانه من صعوبة ذلك وتعرض السيارة معه للعطل والخطر ، أبى الأمير إلا أن يكون ما أراد . ولم يكن بدمن اظهار الرضا وحمل السائق على الموافقة والرضوخ

واستأنفنا السير ، وكان ذلك في الساعة الثانية والنصف مساء . وبعد أن سرنا حوالى ثلاث ساعات في صعود بعد أن كان قبل ذلك في ما يقارب الاستواء أو الهبوط منذ أن فارقنا الطائف ، بدت وعورة المسالك وتلويها بما أدى بنا إلى الضلال عدة مرات ، لأن السائق لم يسبق له المسير في هذه الجهة فرأينا التوقف عن السير والبيات إلى الصباح .

كان البرد قارساً تلك الليلة ، فلم يطرق السكرى أجفاننا إلى أن أسفر الصبح ، فسارع بعض الرفاق وجمع مقداراً من الحطب أوقدناه للتدفئة وإسخان مامتنا من طعام أفطرناه ، وكان أنشط الرفاق وأكثرهم حملاً للحطب الدكتور عبد العليم .

وفي الساعة الواحدة بعد شروق الشمس استأنفنا السير نصف مرة ونهبط أخرى في طريق كثير الالتواء والتعرج بين فجاج من الجبال حتى أشرفنا في الساعة السادسة على قرية تدعى « خَيْبَر »^(١) وهى قرية صغيرة في واد يسمى باسمها أو سميت هى باسمه ، حولها بعض نخيلات ومزارع على الآبار فسقينا من ماتنا وسرنا في طريق جبلى إلى الساعة العاشرة حاذين فيها قرية صغيرة أخرى تسمى « تَسْدَحَة »^(٢) باسم الوادى التى هى عليه فاجتزأها ولم نقف .

(١) ذكر صاحب كتاب (في بلاد عسير) صفحة ٦٩ أن قرى وادى خير ثلاث عشرة قرية أهم زراعتها الحنطة والذرة والشعير والنخيل وأنه لم يشهد بعد قرية خير هذه زرع النخيل في اتجاهه إلى عسير وكأنها الحد الفاصل لزراعته وإمكان نموه .

(٢) جاء في كتاب (صفه جزيرة العرب) ص ١١٨ عند الكلام على جرش وأحوازها : ثم تندح وهى العين من أودية جرش وفيها أعناب وآبار وساكنته بنو أسامة من الأزد ورأيت بعضهم يتجذب إلى شهران . وجاء في كتاب (في بلاد عسير) ص ٧١ أن وادى تندح من روافد وادى ييشه حينما يكون اسمه وادى شهران ، أى علو الوادى ، وإن طولها من منبعه إلى مصبه ثمانون كيلو متراً وأن به منافع بالماء لا تقطع أو تجف إلا في أشد السنين قحطاً وإن القرى التى عليه أربع عشرة قرية .

خميس مشيط

وفي حوالى الساعة الحادية عشر والنصف ، وصلنا قرية خميس مشيط أو خميس
شهران ، وفيها بتنا ضيوفاً على الشيخ عبد الوهاب أبى ماجة ، وأول من التقينا
به ابنه عبد العزيز — فقى لم يتجاوز السابعة عشر فى ريعان من الصبا والشباب
فقد كان والده فى صحبة الطبيب فؤاد أبو غزالة الذى قدم من أبها لإجراء
الاحتياطات الصحية مع الحاج النماى المار فى طريقه إلى مكة .

اقتادنا الفتى إلى غرفة استقبال الضيوف وما إن استقر بنا المقام حتى قدم
والده الشيخ وهو كهل قصير القامة ، دقيق الأطراف بشوش الوجه ، خفيف
الحركة ، فيه نشاط ، وعلى بياض طلاقة وإيناس وبعد السلام والتعارف ذكر لى أن
الأستاذ عبد الملك الطرابلسى مدير مدرسة أبها ضيف عنده وأنه أرسل فى طلبه .
وبعد أن صلينا المغرب دعانا للعشاء فقمنا إلى الحجرة التى نصبت فيها
المائدة ، فإذا خوان مربع مترع بصنوف من الأطعمة ، يتوسطها خروف كامل
محمّر بالسمن وقد دل كثرة ما على الخوان من أنواع الطعام على سباحة الرجل
وبذخه وتمكنه مما شاء من دنياه . وعندما تهيأنا للطعام وأخذ كل منا مجلسه
على المائدة ، أقفل علينا الباب وتركنا وحدنا ، وهى عادة عند قبائل عسير
وشهران تعد من المبالغة فى إكرام الضيف واعطائه الحرية فى الأكل .

ومعظم مبانى قرية خميس أو الخميس وتسمى الدرب أيضاً من اللبن ، تتكون
من طبقتين أو ثلاث أحياناً ، تشبه مبانى أبها التى سأتى وصفها إلا أنها خالية
من شئ يسمى الرقف يوجد فى كثير من مبانى أبها . وتسمى بالخميس لقيام
السوق فيها كل يوم خميس ، وهى تنسب إلى قبائل شهران فيقال خميس شهران
وتارة إلى أميرهم ابن مشيط فيقال خميس مشيط .

والقرية سوق واسعة لتصير رفا لقم والغلال التى تنتجها أكثر الوديان



« منظر لبعض بيوت قرية الخميس »

المجاورة ، وهي قائمة على طرف وادى شهران فى فسيح من الأرض شهدنا عليه صخور أحمرء منتصبه ، فى بعضها تجاويف كالمخارات ذكرتنا بما يشاهده المرء على سطحه الهدى وفى المكان المسوى بمدق اللوز على مقربة من الطائف وفى تجوالنا بين هذه الصخور فى فترة من صباح يوم السفر شهدنا على صفحة إحداها تخاطيط تشبه بعضها رسم بعض الكلمات والحروف بصورة مشوشة لم تثبت منها شيئاً . ومناخ القرية بارد رطب وقد أحسنا ليلة بتنا فيها ببرد شديد كان الواحد منا فى صديحتها إذا ما تكلم تجسد البخار الخارج من فيه . وترتفع عن سطح البحر بألف وستماية متراً على ما قيل لنا^(١) فهى تماثل

(١) من ذكر لنا من أهل ابها مقدار ارتفاع قرية الخميس عن سطح البحر يسند قوله إلى المستر توتنل الأمريكى أثناء مروره للبحث والتنقيب وذكرلى غيره أن ارتفاعها ١٨٠٠ متراً ، وقد جاء فى كتاب (فى بلاد عسير) ص ٧٦ أن ارتفاع قرية خميس عن سطح البحر ٧٣٠٠ قدماً ، وجاء فى خريطة من وضع المستر فلي أو الشيخ عبد الله فلي أن ارتفاعها ٢٠٠٠ متراً وكى تمنيت لو كان معى مقياس أحقق به أقوال .

الطائف في الارتفاع وتختلف عنه بالرطوبة ، وما شربناه من الماء في قرية الخنيس كان عذبا فرائدا .

وادي شهران وقبيلة شهران

وادي شهران واد عظيم يمتد عليه الكثير من قرى قبيلة شهران وهي قبيلة وافرة العدد تنتشر منازلها في عديد من الأودية^(١) .

والشيخ عبد الوهاب أبو ملحمة هو اليوم من أعيان قرية الخنيس وأكثرهم شهرة ، لكرمه ولما حازه من المكانة والرعاية من الحكومة السعودية بما قدمه من خدمات جليلة ومؤازرة أثناء محاولتها الاستيلاء على جبل عسير كفافته عليها بتنصيصه رئيساً لأموال مقاطعة عسير وملحقاتها .

وفي صباح يوم الجمعة ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٥٩ — ولأربع ليال خلت من مبارحتنا مكة بعد أن تناولنا طعام الإفطار على مائدة مضيفنا — تهيأنا للسفر إلى أبها^(٢) .

(١) جاء في كتاب (سبائك الذهب) للسويد ص ٧٣ قوله : شهران بطن من خشم بن أنمار ، قال أبو عبيدة : في ناهس وشهران الشرف والعدد وقال البستي ومنهم ذو الأنف الذي قاد خيل خشم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعند صاحب كتاب الرحلة اليمنية أربعة أودية مروا عليها تخص قبائل شهران وهي « المسيرق » و « الأراك » و « خضراء » و « الفضايا » ثم قال : ونزلنا المرحلة السادسة بشهران أيضا ومن هذه المرحلة نهضنا ووصلنا بيثه ، وجاء في القاموس المحيط ج ١ مادة الشهرة صفحة ٦٨ قوله : وشهران بن عفرس أبو قبيلة من خشم ، ويحد قبائل شهران — على ما أعلمه شرقا — سبيع ، وغربا قبائل عسير ومن جاورها شمالا ، وشمالا تمتد منازلهم إلى قسم من وادي بيثه وبعضهم يسكن قرية الروشن ، وجنوبا قبيلة قحطان وجنوبا بغرب طرف من منازل عسير .

(٢) ذكر صاحب كتاب (في بلاد عسير) صفحة ٩٦ ما خلاصته : أن المسافة من =

وبسبب البرد تعطل محرك السيارة وظل الناساق في معالجته وإصلاحه
ضحوة اليوم ، ثم استأنفنا السير في جبل وعر المسلك كانت السيارة تترنح فيه
ترنح الشارب الثمل بما كنا نمسك معه قلوبنا خشية أن تنقلب السيارة
ولكن الله سلم .

في أبها

وفي الساعة الخامسة والنصف - وقبل صلاة الجمعة - وصلنا أبها . ومن فورنا
كما تقضى بذلك التقاليد التي قد تسمى مخالفتها - كما قيل لنا - قصدنا مقابلة
أمير أبها وعموم بلاد عسير الأمير تركي السديري فلما بالسيارة إلى دار
الأمارة ، وفي ردهتها صادفنا مواطننا الشيخ صالح باخطمه مدير شرطة أبها
إذ ذاك فيانا وقابلنا مقابلة ودية لا يزال طيب أثرها في نفوسنا ، وبعد السؤال
والاستفسار أُلح في أن يكون غداؤنا عنده ذلك اليوم ، ثم صحبنا لمواجهة
الأمير .

بعد أن ارتقينا بضع درج من سلم الدار مال بنا إلى بهو كبير في غاية
الطول كان الأمير جالساً في إحدى زواياه .

وهو متوسط القامة في وجهه أثر جدري غير واضح ، وافر الأبهة كثير
الحشم والأتباع ، وبعد أن حييناه وحيانا على المراسم المعتادة ودارت علينا
فناجيل القهوة العربية وبلغنا منها الكفاية ، استأذناه وانصرفنا وجهتنا المنزل
الذي اختاره ودلنا عليه الأستاذ عبد المالك ، ونحن في خميس شهران .
وصلناه وحططنا فيه أمتعتنا ، واعتزنا الذهاب لإجابة دعوة المواطن

== سوق الخنيس إلى سوق أبها تبلغ ٣٥ كيلو متراً تقطعه السيارة في ساعة وبضع
دقائق ، نظراً لوعورة بعض أقسامه وأن الذي افتتح هذا الطريق هو محي الدين باشا
آخر متصرف للترك في عسير لسير المركبات الحربية وغيرها .

الكريم الشيخ صالح باخطمه . وبينما نحن في طريقنا إلى ذلك تعرض لنا رسول الأمير يدعونا للمشاركة في العشاء على المائدة التي أعدها لأعيان ورؤساء عصبة الحجاج اليمنيين الذين دعاهم للضيافة حين مرورهم من قرية خميس . ولم نر بداً من الجمع بين الدعوتين فتعدينا لدى الشيخ صالح ، ثم سرنا من هناك لإجابة دعوة الأمير وبمقدار أن تناولنا القهوة في بهو قصر الأمانة سابق الذكر ، استنهضنا إلى الحجرة التي أعدت فيها المائدة ، وكانت خواناً مستطيلاً مكتظاً بصنوف الأطعمة تتوسط طباقه المبعثرة فيه خمس صحاف مترعة بالارز على كل منها خروف كامل محمر بالسمن والأطباق مترعة جميعها بما لوحظ معه المبالغة في إكرام الضيوف اليمنيين الذين كانوا حوالى الثلاثين شخصاً .

وبعد أن قضينا واجب المذاكرة قفنا إلى مجلس الأمير الخاص وكان مجلساً حسن الرياش تتوسطه منصة عليها مختلف أنواع العطر والطيوب الحديثة ، كلونيات « تناولنا فيه القهوة وعقمها التبخر بالعود عدة مرات . والتبخر بالعود في عرف أهل نجد إيدان بالانصراف فانصرفنا .

عدنا إلى المنزل ، وكان على جانب من النظافة والانسجام وحسن الترتيب رغم أنه لأرملة وأم لثلاثة من الصبية الصغار لا يخلون من عبث وغيث ، حمدناه لها وشكرنا الأستاذ عبد المالك دلالتنا عليه . ولو أننا نزلنا في بناية المدرسة كسابق العزم لكانت « الحالة طين » فالمدرسة لا مفروشات فيها سوى الحصير والبرد شديد وهي تعطل شتاء فلا عناية بأبوابها ونوافذها حتى تقينا منه .

مدينة أبها

ومدينة أبها^(١) كائنة في الجانب الشرقى من جبل عسير في وهددة من

(١) جاء في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني عند الكلام على جرش وأحوازها في صفحة ١١٨ طبع ليدن : ثم يواطن جرش من شامها عسير قبائل من عيز =

حزون بين جبال جرداء لا تختلف كثيراً عن أمثال ما شهدناه من الجبال منذ
برحنا الطائف إلى أن وصلنا نيس مشيط ، وفي وسط الوهدة ربوة تسمى
«رأس أمّ السَّح» كان يقوم عليها قصر الأمير محمد بن عائض المسعى «شذا» ،
ولا زالت معالمه ماثلة بادية ، وعلى مقربة منه الآن قصر الإمارة السالف الذكر ،
وهو قصر فخيم بالنسبة لمباني أبها يشرف من طرفه الشمال والغربي على فسيح من
الأرض يسمى «السَّحار» ، في طرفه نما إلى الشرق تقوم سوق أبها الأسبوعية



« منظر سوق أبها الأسبوعية حال قيامه ويبدو في أحد نواحيه قصر الإمارة »

كل يوم ثلاثاء ، وتحيط برحبة السوق بضعة عشرات من الدكاكين مفتوحة
على الدوام ، فيها من الأمتعة والمعروضات كل ما يحتاجه أهل القرى المجاورة
وبقدر ما عليه أبها من التحضر .

ولاشيء من معروضات الدكاكين خارج في العرض عن نطاق أبوابها بل
جميعها في الداخل فهي أشبه بمخازن ، ويتقدم الكثير من الدكاكين سقائف

== يمانية نزلت ودخلت في عز فأوطان عسير إلى رأس يته وهي عقبة من أشرف
تهامه وهي أبها ، وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس الثلاثماية من
تاريخ الهجرة .

على أعواد خشبية للتظليل تمتد على طول صف الدكاكين .

وتنفرد دكاكين بيع اللحوم في ناحية خاصة خلف المسجد الكبير منعاً لما قد ينشأ عنها من القذارة وتشويه منظر السوق .

وتنقسم بلدة أبها إلى سبعة أحياء ثلاثة منها وهي «مَسَاظِر» وهو النواقي قامت عليه بقية الأحياء الأخرى و «التَقْرَى» و «الرَّبْوَع» ويسمى نعمان أيضاً تحيط بفسيح الأرض المسمى بالبحار على شكل مربع ذي ثلاثة أضلاع مع شيء من التعرج بسيط مبتدئة من الجانب الشرقي مارة بالشمال ومنتية بالغرب .

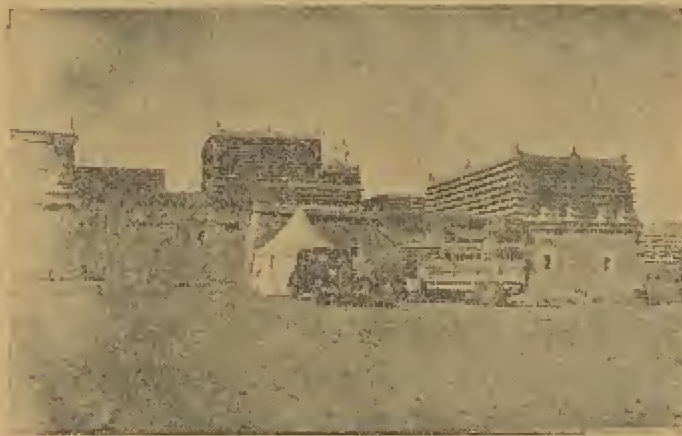


« صورة واجهة بعض بيوت محلة مناظر »

والأربعة الأحياء الأخرى وهي «مَفْطَاحَه» كائن في الجنوب الغربي من الأحياء السابقة الذكر و «الْحَشَّع» وهو في الجنوب الشرقي منها و «القابل» ويقولون له أم قابل وهو في الشمال الغربي منها و «النَّصْب» وهو خلف مناظر مما يلي الشرق .

ومجموع بيوت أبها على ما أخبرني الثقة ستمائة وأربعون بيتاً وسائرهما

إلا القليل مبنى باللبن^(١) على شكل هرمي واسع لأسفل ضيق الأعلى قليلاً .
تحوط جدار طوابقها العليا حجارة مبسوطة رقيقة على شكل رفاف
متراسة في صفوف يعلو بعضها البعض يسمونها «الرقف» ويقولون أنها تشد
الجدار الطينية وتقيها شر المطر وكأها ضيقة النوافذ كأنها كوى الحصون
ويسمون النافذة «كثرة» .



صورة واجهة بعض بيوت نخلة القرى على ميدان البحار وترى الرقف باديأ فيها ،
وليس لها بيوت خلاء - مراحيض - إلا ما قل مما يسكنه بعض الجالية
الحجازية من الموظفين ، ولا نفس بيتنا الذي نحن فيه فإنه مما قل لأن مؤسسه
الأول أحد موظفي الأتراك في عهد حكومتهم لم يخل حتى من حمام على طرازه
المعروف ، عشت به أيدي من اتقل إلى ملكيتهم بعده . وهى من الداخل
نظيفة مبيضة بالجير ، ولا يخلو بيت من بيوتها من طراز أخضر يعم سائر
جداره مما يلى أسفلها من الداخل يسمونه «الخضار» يصنع بدعك رؤوس

(١) جاء في كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٤٤ في صفة أنها
مدينة بيوتها مبنية بالحجر على تل في وسط عسير . والواقع المشاهدة هو ما ذكرته
لك . وموقع المدينة بالنسبة لجبل عسير أقرب إلى الجانب الشرقى منه على حزم
بين الجبال المحيطة بالمدينة كما سبق القول .

أعواد البرسيم الطرية ويعلو هذا الطراز في البيوت الممتازة : إما أفاريز مختلفة الألوان « خطوط ، أو طراز آخر بنقوش متباعدة الشكل يحيطون بها النوافذ والأبواب فتكسب داخل البيت رونقاً وجمالاً .

ولا بد أن يكون في حجرة أو حجرتين من حجر البيت موقد يسمونه « الصِّلَل » يلتفون حوله أيام الشتاء للتدفئة ويطبخون عليه القهوة وكثيراً ما ترى « دلالها^(١) » مرصوفة على حافته .

سكان أبها

وسكان أبها لا يتجاوزون الخمسة آلاف معظمهم من بني مُضَيْد إحدى قبائل عسير ، وبها جماعة تسمى البلاحطة واحدهم « بِلْحُطِي » وهم فئة منحطة لا يأنف من ينتسب إليها من إتيان ما يسترذل ويعاب من الشحاذة والمسخرة وغير ذلك مما تاباه العزة . وأهالي أبها وغيرهم من القبائل يترفعون عن مصاهرتهم مثل هذه الجماعة لا تخلو منها بلاد ولا شعوب ، ففي مصر يعرفون بالفتجر وفي الشام بالنور وفي بعض قبائل الحجاز بالهتيم وفي تركيا بالشنقانة

وقد شهدت نفرأ منهم بأرض اليونان ورأيت بعض نسائهم يمتن استطلاع البخت والشحاذة . وأتذكر أن مجلة الهلال كتبت فصلاً يمتعاً عن نشأة هذه الجماعة في الشعوب وتقارب أحوالهم وعاداتهم في سائر الآفاق .

نساء أبها أو حديث الزواج

ووقوفي على وجود هذه الطبقة في أبها كان مصادفة ، وذلك أنني كنت وبعض الرفاق نسير في شارع أبها فالتقينا بسرب من النساء بينهن فتاة صبيحة الوجه جذابة المنظر طال إحداها في إلها ، فقال واحد منهم : لو لم تكن بلحطية لسعيت لك في خطبتها . ودار الحديث في شأن هذه الجماعة ، واستطرد إلى الزواج وأحواله ، وحديث الزواج حديث فياض في أبها لا سيما مع غريب

(١) الدلال واحدما دلة . مواعين لطبخ القاهرة وهكذا يسميها أهل الحجاز ونجد

قدم حديثاً فكثيراً ما تقصد أبها لهذه الغاية من الأجانب عنها لما لها من الشهرة في يسر الصداق وشيوع الجمال ، وعلى ما عرفت وأرى - أن ذلك مبالغ فيه فإن أبها وإن لم تخل من وجود الجميلات ومن فيهن صباحة وقسامة . فهو بقدر ونسبة لا يميزها عن غيرها من قرى سكان جبال الحجاز ، إلا أن أهل أبها أكثر نظافة ومدنية من أمثالهم . ويسر الصداق - إن يكن - فهو فيما بينهم ، أما من كان أجنبياً فليهم فيه مطمع ، وما يدفعه المرء من الصداق لا يعود عليه منه شيء أو نفع من أثاث أو ريش كما هو المألوف ، بل تأتي العروس إلى بيت زوجها في الخالب «رب كما خلقتني» لأن صداق المرأة في هذه الجهات



• منظر بعض نساء أبها •

معظمه من نصيب أهلها ليس لها منه إلا القليل وما يشترط معه على الزوج من حلي وحلل .

ومن تقاليدهم أن على الزوج كسوة لأقرباء العروس من إخوة وأخوات
وخاللات وأعمام وعمات وما أكثرهم إذا كان الزوج أجنبياً .

والمتخير المستق لا يرخص في أى مكان كان ، فقد قالت لى امرأة من
عرفت بأنها فى عرض حديث فى هذا الشأن ، ما تلق بلاش إلا اللاش ،
ولبعض من قعد به الحظ وقصر مداه عن نيل المرغوب : هذه الآيات

إن أبها وعرسها كالمعبدى فى المثل

زعم البعض أنها خير نزل لمن نزل

خدع الناس قوله زخرف القول من نقل

على أنى لا أبخس حق أبها . فهى أم القرى فى عسير السراة ، وهى المركز
كما يقولون ، فقد يتوارد على سوقها الأسبوعى من نساء من حولها من القرى
فى مشارف الجبال وسفوحها من فهن اشراق فى اللون وجمال رائع يزدنه
بما يتخذنه من وسائل التجميل المألوفة يبنهن .

والأسواق فى البادية والقرى كما تكون وسيلة لتبادل العروض والمنافع
المادية ، تكون وسيلة أيضاً للتلاقى والتعرض وربط العلاقات واقتناص القلوب .
ولقد شهدت لبعضهن فى سوق أبها الأسبوعى عيوناً دججاء إذا شرعتها
ثم أغضت أحسست لقلبك خفقاناً ووجعاً كأنما أرسلت بنظرتها إليك تياراً
كهربائياً لمسته به كما يقول المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى بعض مقالاته .
ونساء السراة على العموم تغلب فى وجوههن الاستدارة ، ويتميزن عن أهل
التهايم بإشراق اللون وصفوته والاعتدال فى قاماتهن ، وشعورهن على العموم
حالكه السواد لهن فى تصفيفها وتصفيرها صناعة تحار وتروق فهن يجعلن ما
على المقدمة طرة سنية الشكل محفوفة بانتظام لا تتجاوز أعلى الجبين ، تزيد فى
اشراقه ونصوعه يسمونها « حفة » .

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

وفى أسماء نساء أبها ما يعذب فى السمع كـ « ظبيه » ، وزهره وملاك
وليلى ونجمة ، ولباسهن يتقارب ولباس سكان جبال الحجاز ، سراويل

وقصان بعضها فضفاض يكون غالباً أسود اللون محلى صدره بأشكال من التطريز اليدوى بالحرير المختلف الألوان ، والأبكار منهن يتخصصن فى الأغلب بجعل لباس الرأس منديلاً إما أصفر اللون أو أحمر منقطاً بالسواد



« صورة لبعض بنات أبها وعلى رأسهم الإشارب »

يربطنه أسفل الرقبة أو هو (الإشارب) يدسونه تحته وبين طيات الثمر على جانبي الرأس لفائف من الريحان يسمونها مكاعس .
أما المتزوجات فلزاماً أن يضعن على المندبل طرحة يسمونها « مقالمة » أو « مسفع » ، هى الخمار لها أهداب وكتل من الحرير المختلف الألوان محلى طرفاها بحبكة من الحرير أيضاً وغالباً ما تكون سوداء اللون من رفيف القماش . ويحتزن على القميص بحزام من الجلد فى الغالب مزركش ومحلى بخيوط ملونة من الجلد أيضاً يسمونه سبتة أو نسعة تبدو معه العسيرية فى ثوبها الفضفاض فى غاية من الرشاقة كأنها بعض النساء الأوربيات لولا طول الثوب . وفى زمن الشتاء يرتدين فراءً من جلد الضأن يجعلن صوفه من الداخل تجمع طرفاه بمروة وأزرار على الصدر يسمونه « المَزَرَر » . ومنه نوع

ضيق العرض مستطيل بقدر ثلث القامة يعلق في الرقبة على الظهر يستعملته
أثناء حمل قرب الماء أو الحطب ويسمونه « النطّيح » .
ويطلب فيهن السفور ومخالطة الرجال ، وعليهن - إلا القليل من النساء

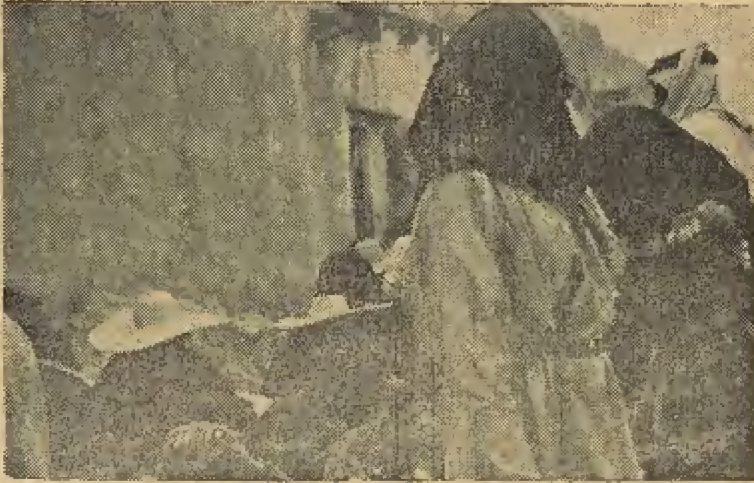


« صورة امرأة وهي تحمل الحطب على ظهرها »

المترفات وزوجات الشخصيات البارزة - مدار الأعمال ، فالمرأة هي التي تحطب
وهي التي تسقى الماء ، وتقوم بسائر شؤون البيت ، وتشارك الرجل في العمل
في المزرعة إن كانت لهم مزرعة ، أما الخياطة فقليل منهن من يتعاطاها ، وهي
من أعمال الرجال في عسير ، وثياب العرس في الغالب تبتاع جاهزة ، أو
تفصل عند أحد الخياطين من الرجال .

وجميع ما وصفت لك من النقوش في بيوت أبها هو من صنعهن . وقد
شهدت من تمارس منهن البيع والشراء في بعض الجوانيت بصورة مستديمة ،
أما اللواتي يشاهدن يوم السوق الأسبوعي فمعظمهن من نساء القرى التي
حول أبها ، يأتين بما لديهن من أشياء ومنتجات لبيعها وشراء ما يلزمهن
بأثمانها ، ولا بسات القبعات الخوض ، البرانيط ، هن من أهل تهامة من
يتيسر لهن الوصول إلى سوق أبها الأسبوعي ، وهو لباس أرحت به شدة

حرارة الشمس في محيطهن ، وليس من عادة نساء السراة استعماله .
وللرأة مطلق الحرية في اختيار الزوج فاذا تقدم أحد لخطبتها — وغالبا



صورة بعض النساء الوافدات على سوق ابها وترى الحزام « السببة »
باد في احدهن والتبعات على رؤوس بعضهن

تراه — ولم يعجبها ابنت وامتنعت بكل صراحة ، ولا تقف أية محاولة من ذويها
لحملها على القبول والاستجابة ، وهن صريحات في قول : لا ، او نعم ، وحتى
لو حصل الرضى ثم لم تستطب معاشرته تترك بيت الزوجية وتقول « شَكَيْتُهُ »
أى كرهته ، ولا يحصل في الغالب اعانات من الزوج ودعوى بالنشوز ، ويكون
له إذ ذاك حق المطالبة بمادفع في صداقها ، فان رد اليه وإلا جعل ذمة له
عليها ، ويكون على حد تعبيرهم « في رأسها كذا » يسدونه من صداقها في
زواجها الجديد إن كان .

وبما هو متعارف في عسير نوع من الزواج يسمونه « زواج السر » ،
ومعناه أن يقع في أشد خفاء ، أى بدون إعلان وتشهير بالعقد ، وهو
أكثر ما يقع مع الثيبات ومن يخشى نفور زوجة أخرى لديه أو من ليس
له إقامة طويلة في القرية وغالبا ما يكون قصير الأجل (١)

(رد وتعتيق لـ)

(١) ذكر صاحب كتاب (في بلاد عسير) صفحة ١٠٥ وما بعدها : أن من =

لباس الرجال

ورجال أنها لباسهم الثياب كأهل جبال الحجاز تماماً ، ويغطون رؤسهم بالقتير ، المحارم والعقل السوداء ، شطافة ، . وذلك طارى عليهم اعتادوه منذ استيلاء النجديين على البلاد ، أما فيما سبق فكانوا حاسري الرؤوس باللمم والجمم على عادة أهل تهامة الجبال إلى اليوم .

يتبع قبيلة عسير ويسكن السفوح الغربية من منازلهم قبيلة « ربيعة اليمن » وذكر من عادات هذه القبيلة ما وردت لوتنزه عن ذكره فقد قال :

« إن من أرذل عادات ربيعة الاختلاط الجنسي بين الرجال والنساء من الأبقار والثييات ، وقال أيضا : وقد لا تزوج البكر منهم زواجا شرعيا قبل أن تكون قد ولدت ولدا أو أكثر سفاحا ، والظاهر أن كثيرين يرغبون في زواج البنت ذات الرقم القياسي في عدد أولاد السفاح ويسمى ولد السفاح عندهم ولد الهيجة وفي لهجة أهل البلاد (ولد أم هيجه) ، والهيجة هي الغيضة أو الغابة ، أي الولد الذي ولد في الهيجة وليس على فراش أهله »

وهو قول لا أشك في أنه بهتان من رواه له يماثل ما حكاه عن بعضهم في شأن قبيلة المع بأنهم من بقايا بني قريظة يهود المدينة على عهد النبوة .
فغير مقبول جداً أن تكثر ألف وثلاثمائة وخمسون سنة من قيام الاسلام ولا يزال في صميم أهله قبيلة لا تنكر الزنا ولا تأنف منه ، بل ويرغب أفرادها في تزوج ذات الرقم القياسي من الأولاد بالسفاح !! فكيف والعرب قبل الاسلام كانت تأنف من الزنا وتعدده من الأمور المستهجنة التي لا يكون ثمرته أية قيمة اجتماعية بينهم ١٩ .

ومن العجيب أن يعتمد مثل هذا القول في قبيلة ربيعة وقد نقل في نفس البحث قصة يدل بها على حرص ذات الزوج في المحافظة على عرضها وقال انه لا يشك في راويها بل يعتبره شاهداً عياناً ، فقد قال : « وقد روى لي أن رجلاً غافل متزوجة في ليلة كانت فيها متعبة نائمة فلما عرفت بالأمر ظلت تتعقبه مدة إلى أن ظفرت به وقتلته رميا بالرصاص دون أن تطالب بدينه لأنها قتله دفاعاً عن العرض والشرف ولا أشك في راوي القصة بل أعتبره شاهداً عياناً لأنه اشترك في تسوية الحادث نظراً لمقامه عند القبيلة »

ويحلون (في الثالب) أو ساطهم بالجنانى على عادة عجم أهل عسير ومن
والاهم ، والجنانى ثلاثة أنواع : نوع يخرج طرفه عن محيط الوسط وينتهي بيت
الشفرة منه بكثلة من سيور رفيعة من الجلد ويسمونه « معيرة » ونوع
لا يخرج عن محيط الوسط في الثالب ، غلافه محلى بالفضة بخلاف المعيرة فإن
غلافها مكسى بالجلد دائماً ويسمونه « شاميه » . ونوع قصير الشفرة
معكوف ، طرف غلافها إلى الأعلى محلى بالفضة يسمنونه « قدیمی » كما يسميه
عرب الحجاز كذلك ، وفي الشتاء يلبسون العباءة « الشملة » المعروفة عندنا في
الحجاز « بالبيدي » على عادة عرب الطائف وما والاها وهي تتخذ من أصواف
الضأن ومنها الجيد الخالى الثمن ، وتحاك عادة قصيرة إلى ما تحت الركبة بقليل
لثلاث تعوق الحركة ، فإنها غالباً تكون سميكة الجرم .

الغاب عسير

ولهم الغاب تسمى « الزيفه » يرقصون أثناءها رقصاً لم يستملحه ، وأغانهم
بأشعارهم النبطية ولهم حتم المتوية لا يكاد يتبين السامع كلماتها أو يفهم معانيها
فقد كنت في أبها ثانی يوم عيد النحر وأقامت البلدية في مبنائها حفلة

== قبل من المستساغ أن تفعل ما ذكر من كانت قبل الزواج لا ترى في الزنا بأساً ١٩
بل هو معدود عندها وعند قومها إذا أنجبت منه من المرغبات في الزواج بها (إن
من ين يسهل الهوان عليه) كما يقول المتنبي !

نعم يجوز أن تكون عادة اختلاط الرجال بالنساء شائعة عندهم ، ويجوز أن
يكون في هذه القبيلة تساهل أكثر هيأته حالتها الاجتماعية ، وحياتها البدائية ،
ويجوز أن تقع من جراء ذلك حوادث خنى وخش . فالإنسانية من أي قبيل
كانت لا تخلو من نقائصها وما يهبط ببعض أفرادها إلى درك حيوانيتها في بعض الأحيان
أما أن القبيلة جميعها تتواطأ على إباحة الزنا وعدم الاكتراث به بل وتكون
ثمراته من المرغبات في المرأة ويكون مدار نثار لها ولئن أتت به في الهيجة كما يقول
فقول مردود وغير مقبول . بل الذي سمعته — ولا أعتقد صحة غيره — أن من
المألوف عندهم وعند بعض بدو قبائل المع البعيدين عن القرى إذا كانت المرأة غير ==



« صورة بعض أهالى وفى أوساطهم مختلف أنواع الجنابى »

حضرها الأمير ، وبعد أن أقيمت خطبة النحية من أحد طلاب المدرسة وجرى استعراض للجند النظامى والشرطة تقدم لقيف من أهالى أبها يلعبون على طريقتهم ، وذلك أنهم يصطفون متراصين يتوسط الصف الأول حملة الطبول والدفوف ويواجههم ملحن الغناء فينشد ما يريد وتقرع الطبول والدفوف على ترجيعه ويردد اللاعبون فى الصفوف ما قاله مع القفز والنط وضرب أرجلهم على الأرض فى موقفهم مرة ، وساترين مرة أخرى فى شكل دائرى ، وأحياناً يبرز فى مواجهة الصف واحد منه مستلاً جنينة قافراً بحالة بهلوانية وزعقات عالية ، وقد استطعت أن أفهم من أناشيدهم هذه الكلمات :

== متزوجة بكرة كانت أم ثيبا أن تجلس مع أى رجل وتحدته وتسامره ، ويسمون ذلك (كندبه) فإذا ما تكرر ذلك ، فهم الناس من جماعتهما أنه يقصد التزوج بها فيطلقون عليه اسم « الخطيب » ، وكثيراً ما ينتهى هذا الاتصال بالزواج لكن أين هذا عما يقول ١٩



« صورة بلدية مدينة أبها »

بدّيت^(١) ذا في المرش حاكم متوحد بالملك منفرد
ماكرت^(٢) الديرة^(٣) لحاكم يكون في تدير أبو فهد

اللهجة في عسير

وفي لغة عسير طمطمانية وكشكشة والكثير من أهل السراة لا يستطيع النطق بالجم فيقلبها ياء « فياء » بدل جاء و(يَسَلْ) بدل جبل و(أم يَمَلْ) يعني الجمل (وكيف حالش) يعني كيف حالك (وما بَشْ) يعني مابك وجميعهم ينطق تاء التأنيث المتصلة بالاسم ساكنة فيقولوا عشرت ورحمت ومخاضمت وفاطمت وساعت .

ويقولون (إِرْقَه) بمعنى أنظر ، ويسمون البهيمة من الماعز زعابة .

(١) (بديت) بمعنى قدمت و (ذا) بمعنى الذي على لغة طى . كما يقولون

(٢) و (كرت) قاف معطشة بمعنى قرت واستقرت .

(٣) و (الديرة) بمعنى البلدة أو الناحية أو المنطقة ويعنون بأبو فهد الأمير

ترك السديري أمير أبها الحالي .

ويستعملون كلمة « ميد » بمعنى أريد (وأهزيت) بمعنى بعثت وأرسلت ، وكثيراً ما يزوجون بالجملة المعترضة أثناء الحديث بقصد الدعاة أو إظهار المودة والمبالغة في الإخلاص فترى الواحد وهو يخاطبك منتقلاً عما يقول إلى جملة « إيه وأنا فداك » ، « إيه سلهك الله » . وفي مقام الإشفاق على المخاطب يقولون « الله يطعني عنك » « ربي يأخذني قبلك » وهكذا من أمثال هذه الجمل ، لاسيما النساء منهم فانهن أكثر استعمالاً لذلك ، وهم كسائر سكان جبال الحجاز ، شائعة بينهم أساطير « الدعر » و « السبعة » و « السكون » و « قوم الرمادة »^(١) وحتى الحلف بالطلاق في كل صغيرة وكبيرة ، فهو في لسانهم أيضاً إلا أنهم أخف في ذلك من بعض سكان جبال الحجاز الأدنى للطائف .

جوّ أبها ومناخها

وأبها معتدلة المناخ طيبة الهواء ، مع برد شديد في زمن الشتاء ، وقد يجمد الماء فيها أحياناً في بعض الليالي .

أوحى طيب هواء أبها ونسيمها العليل لزميلى الأستاذ عيسى فهم بهذين البيتين :

ألا سقيا لأبها من بلاد عليل نسيمها يشقى العليل

بلاد ما ألم بها غريب وود مخيراً عنها الرحيل

وهي ترتفع عن سطح البحر (٢٢٠٠) متراً ، أو (٧٣٠٠) قدماً على اختلاف فيما قيل لى ، ولم يكن لدى مقاس للارتفاع أحقق به أى القولين أصح^(٢) ؟

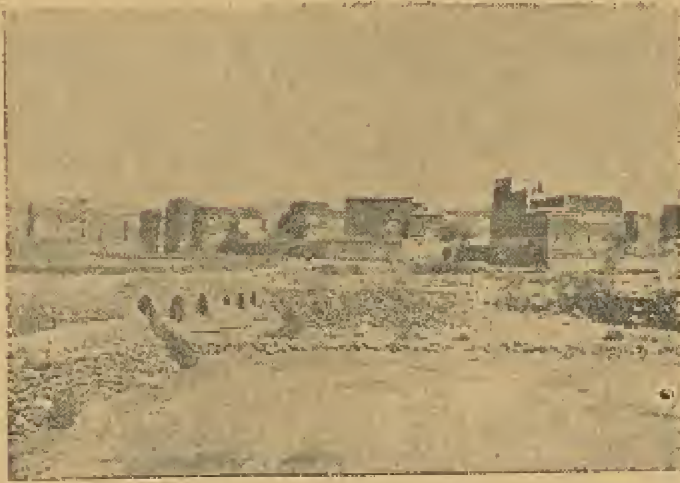
(١) أقال أنهم يعنون بهذه الكلمات أقواماً أو أفراداً من الجن والشياطين في زعمهم .

(٢) ذكر صاحب كتاب (في بلاد عسير) أن أقصى ارتفاع بالقرب من أبها للقادم من خميس مشيط ٨٩٠٠ قدماً ص ٩٨ وذكر المسترفلي في كتابه *Arabian Highlads* في المصور الجغرافى ، الخارطة ، الملحقه بالكتاب أن ارتفاع أبها ٢١٩٠ متراً .

أما درجة الحرارة مدة ما كنا بها في أوائل فصل القوس الموافق لشهر
سبتمبر تقريباً فكانت تتراوح نهراً بين العشرين والخمسة عشر درجة ،
وتهبط ليلاً إلى الثامنة فوق الصفر .

أودية أبها

ويحفر أبها واديان أكبرهما يسمى وادي العُشْرَبَان ، أو وادي أبها وعليه
قنطرة ذات ست فوهات تصل أبها بمحلة القابل .



« صورة بعض بيوت محلة القابل وترى القنطرة بادية فيها » .

والثاني يسمى « وادي ضباغة » وكلا الواديين إذا كان المطر غزيراً في
موسمه ينقع بالماء على شكل غدران يسرب المزارعون ماءها إلى مزارعهم
في معظم فصول السنة . وقد يستمر جريان الماء في الوادي أياماً كثيرة ، كما
شهدت ذلك في بعض زياراتي لأبها أثناء إقامتي برجال .

ويشرب أهالي أبها من بضع آبار معظمها في الواديين المذكورين وكلها
عذبة المياه ، ومن أعذبها بئر نعمان وبئر الجلالة .



« صورة بعض مواشي أهالي أبها ترعى في الوادي »

وعند ملتقى وادي أبها بوادي جوحان المنحدر من الجبال والعقبات
الواقعة جنوب أبها — على مقربة من قرية « قاعد » ، و قرية « الدّاره » —
يوجد مستنقع واسع يشكل في بعض أقسامه ونواحيه غدراناً عميقة واسعة

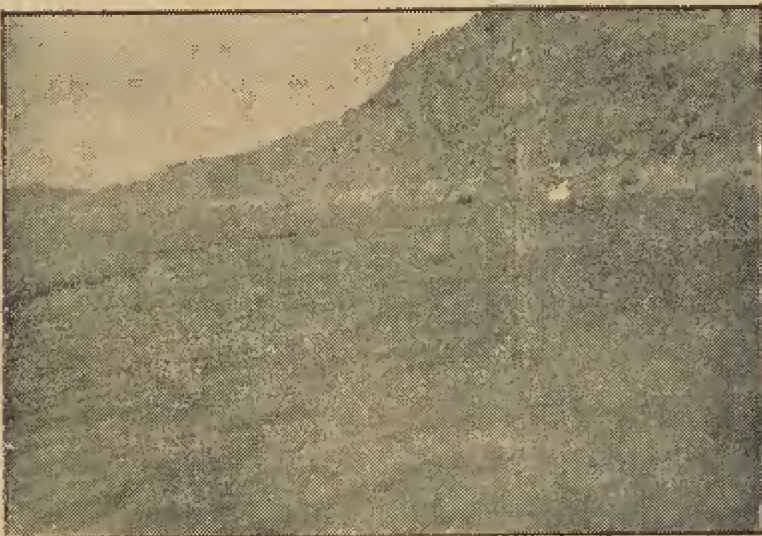


« صورة بعض نساء أبها وهم يستقون من البئر »



« منظر بعض نساء أبها وهم يحلمان القرب بعد أن غادرن البئر »

أمكن لبعض أنواع السمك الأسود الصغير الحجم أن يتوالد فيه ، وقد
نمت على حوافها كثير من الحشائش وأنواع البوص والحلفاء .



« صورة لبعض الغدران الواقعة بوادي أبها »



« منظر ثانٍ لبحض النذران . »

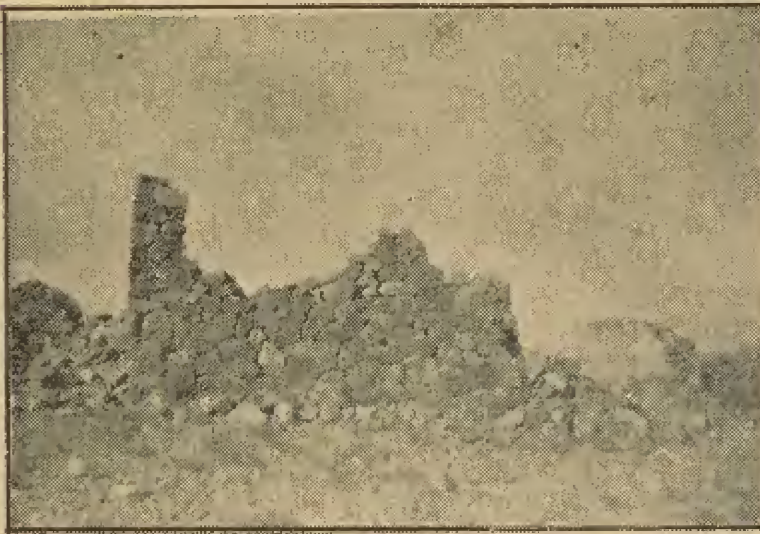
وعند هذه الغسدران قبر هدمه الإخوان من الجيش التجدي أثناء
استيلائهم على أبيها منسوب لذى القرنين .



« صورة الغدير الواقع بجوار قبر ذى القرنين . »

قبر ذى القرنين

وقد ذكر الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب»^(١) أنه عثر على هذا القبر في رأس الثلاثمائة من تاريخ الهجرة ، وقد عد صاحب كتاب «في بلاد عسير» نسبة هذا القبر إلى ذى القرنين تحريفاً من أهل هذه الجهة مدفوعاً - فيما تراءى لي - بما تبادر له من أنه ذو القرنين الإسكندر المقدوني وليس كذلك .



«صورة قبر ذى القرنين وبجواره أنقاض مسجد مهدوم»

فإن ذا القرنين هذا يعانى ذكره الهمداني أيضاً في كتابه «الإكليل» في الجزء العاشر فقد قال مامعناه أن ذا القرنين السيار ويكنى بالصعب على رواية هو الشَّهْمَيْسِيُّ سَعْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كِهْلَانَ وعلى رواية أخرى هو الصعب ذو القرنين السيار ابن مالك بن الحارث الأعلى بن الحيار بن مالك ابن زيد بن كِهْلَانَ . وجاء في هامش القول المذكور من تحقیقات العلامة السيد محب الدين الخطيب ناشر الجزء المذكور : أن هناك قولاً ثالثاً مزعوماً لأمير

(١) «صفة جزيرة العرب» ، طبع لندن ص ١١٨

المؤمنين على . وحبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن ذا القرنين
السيار هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن سدد بن حمير الأصغر^(١) .
فخير بعيد عن الحقيقة والصحة نسبة القبر إلى ذى القرنين هذا لا سيما
وأنة مقول منذ القرن الثالث الهجرى .



صورة أخرى لانتقاض قبر ذى القرنين ،

مزارع أبها وحدائقها

وتنتشر حول أبها عدة مزارع على شكل مصاطب ، دكاك ، يعلو بعضها
البعض ، شأن مزارع الجبال^(٢) واعتماد سقياها على المطر والسييل ، ولا يخلو
ما فى أبها من البساتين القليلة من آبار للسقيا .

(١) د الأكليل، ص ١ - ٦ ج ١٠

(٢) جاء فى تقرير البعثة الزراعية الأميركية التى جابت المملكة لدرس أحوال
الزراعة فيها فى الصفحة ١٨٣ و ١٨٤ طبع مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٤٣ عند
الكلام على المناطق الجبلية من أبها والطائف قولها : « النموذج الزراعى لهؤلاء
الجماعات فى الأماكن المختلفة يشتمل عادة على قطع صغيرة من الأراضى فى بطن
الأودية الضيقة التى تسمى من العيون والآبار ، ويوجد أيضا عدة أفدنة أكبر من =

وبساتين أبها ليست كثيرة الأشجار المثمرة ، بل لم يكن بها شيء يذكر قبل عهد الترك . فهم الذين جلبوا إليها معظم الفروس المثمرة والبقول والخضروات ولهذا فعظم ما يطلقون عليها من أسماء هي تركية فهم يسمون الكمثرى « عرموط » أرموط ، والسلك « بازك » والكرونب « لانه » وأمثال ذلك .



« صورة بعض بساتين أبها »

وبما شهدته من الأشجار المثمرة في بساتين أبها وماحولها شجر الخوخ ، ويسمونه (قِرْسِكُ) وشجر المشمش ويسمونه الخوخ ، وشجر التين والبرقوق « البخاري » والسفرجل والعنب والتوت والليمون والبرشومي « الصبار أو

== تلك لاتسقى وهي على طريقة تدرجية أى أن القطعة فوق الأخرى وقد أعطى لها المجال السكافي لتتفع بالمياه من هطل الأمطار أو النسيول بفضل انحدارها أو لتتفع بما يقسم لها من المياه الجارية ومع أن كثيراً من هذه الأراضي المتدرجة جعلت مواقعها على تدرج من درجتين إلى ثلاثين درجة وهي تزرع منذ الأجيال القديمة فانها جميعها بوجه عام في حالة جيدة للغاية ، فزراع الجهة الغربية من الدنيا وبالأخص زراع الولايات المتحدة الأمريكية يمكنهم أن يتعلموا كثيراً عن التربة وصيانة الببل من زراع الجبال في المملكة العربية السعودية .

التين الشوكي ، والكثيرى واللوز وقد كانت أشجار اللوز مكسية أغصانها
بالزهر فى منظر تخيف رغم تجرد الشجر من الورق بسبب فصل الشتاء ،
وشجر اللوز من الأشجار المبكرة بالثمر وزهره يأتى فى طليعة الازهار وما أحلى
ماضن فيه بحير الدين الاسعدى حيث قال :

أزهر اللوز أنت لكل زهر من الازهار يأتينا إمام
لقد حسنت بك الايام حتى وكأنك فى قم الدنيا ابتسام



« منظر بستان من بساتين أبها »

ومن جملة ما رأيت فى بعض البساتين شجرة زيتون ذكر لى صاحبها أنه
يختمها فى كل سنة وأنها مما جلبه الترك إبان حكمهم للبلاد .

على أن فى جبل عسير وجبال السراة « الحجاز » أشجاراً تسمى العثم الخشبية
وشجره وورقه مشابهة بالزيتون ، وأخال أن فى جبل عسير استعداداً وافياً
لنمو شجر الزيتون وتكاثره ولو انتشر لاصبح مورد ثروة لا يستهان بها^(١).

(١) قبل أن يتيسر لى طبع هذه الرحلة كانت الحكومة قد سیرت فى أواخر
عام ١٣٦٩ هـ بعثة زراعية من بعض المختصين لارشاد المزارعين من سكان السراة

والفواكه في أبها رخيصة الأثمان تجلب إليها من القرى المجاورة والضياح التي تقرب منها وقد اشترت صفحية ملأى بالتفاح السكري صغير الحجم بنصف ريال سعودي أى بما يوازي خمسة قروش مصرية تقريباً .

إلا أنهم لا يفهمون طريقة صلاحها ومعظمها يحنونه فجأ قبل نضوجه وبما شهدته في سوقها عدى ما سبق ذكره من الخضروات « البراصة ، كرات أبو شوشه » والفاصولية والطماطم « قوطه » والباذنجان الأسود والأبيض والخرشوف ولا تعدم كثيراً من غير ذلك من أنواع الخضار تجلب إليها في موسمها .

ومن متوجات أبها وما حولها من المزارع الحنطة والذرة والشعير والعدس ويسمون « البلسن » كما يسمون البرسيم قصباً . واعتماد أهلها في القوت على الذرة والشعير ، أما الحنطة فطعام ذوى اليسار

— وغيرهم وكان يشارك البعثة في غايتها الأخ السيد حسن شطا الخبير الزراعى في مديرية الزراعة السعودية وخريج جامعة فؤاد الأول بمصر وقد أخبرنى أنهم في أثناء تجوالهم في بلاد غامد من السراة اطلعوا على أعداد وفيرة من أشجار العتم وتحقق لديهم أنه الزيتون البرى كما اطلعوا على أشجار تسمى (الفشرو) وتحقق أنه شجر الفستق البرى وذكرنى أن من المتيسر الممكن فينا تطعيم شجر العتم والفشرو بأقلام من شجر الزيتون والفستق الثمرين فتقلب الأشجار المطعمة الى أشجار تجود بالمحاصيل الوفيرة من النوعين لأن أشجار العتم والفشرو الموجودة في السلسلة الجبلية ، السراة ، تقدر بكميات وفيرة تتجاوز عشرات الألوف .

على أن منطقة السراة على استعداد كامل لزراعة شتى أنواع الثمار وأجودها فقد جاء في تقرير البعثة الأمريكية الزراعية التي جابت المملكة للدراسة والاختبار قولها (وزراعة الأنواع الطيبنة من الخوخ والمشمش والبرقوق والتين والسفرجل والعنب في هذه المناطق لا تترك في حاجة السكان بالفواكه الطازجة في أوقاتها وتجهيزها واستعمالها في الأوقات الأخرى فحسب ، بل يمكن أن تمول الأسواق البعيدة بالفواكه المجافة) ص ١٨٤ طبع مطبعة مصر سنة ١٩٤٣ اه فبذا لو عنيت الحكومة بهذا الموضوع :

ولأعزاء الضيوف وأثناء الولائم ، وهم للشعير أكثر استعمالا من الذرة
بخلاف أهل تهامة فانهم على العكس من ذلك .



« منظر لسوق أبها وبعض بيوتها »

ويسمون المطبخ « ملها » ويخبزهم العيش في تنور يسجرونه ثم يلصقون
أقراص العجين في جداره .

أبها مركز النشاط الحكومي

وفي أبها دائرة للشرطة وشكينة للجند النظامي ، الحامية ، ودار للبلدية
من عهد الترك وفيها رئاسة أموال عسير وبها مدرسة أولية طلبتها حوالى
المائتين وفيها مصحة من طبيب واحد وعيادة خارجية وبها مؤسسة لاسلكية
ومأمور للبريد في إدارة الاساسكى .

وعلى قمة جبل « ذرّه » أحد الجبال المشرفة على القرية حصن أطل من
عهد الأتراك يسمى باسم الجبل ولا تخار بعض الجبال المشرفة عليها من حصون
على شكل أبراج مستديرة يسمونها (المفانيل) وهذه المفانيل منتشرة في كثير
من قرى عسير تتخذ وقاية ومرعى لحماية الوادى .

وقد بنى بها جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود أيده الله مسجداً



« مدرسة أبيها الأميرية وطلابها »

جامعاً منسقاً وفيه تقام صلاة الجمعة ويجرى يومها الأمير عند دخوله المسجد وخروجه منه استعراض بحفود الشرطة والنظام .

ولا تخلو محلة من محالها من مسجد خاص وفي محلة مناظر مسجد واسع من بناء العهود السابقة

وعرفت بها رجلا من بقايا عهد الأتراك يقول : إنه فلسطيني الأصل اسمه شكرى له إلمام بالتصوير الشمسي وصناعة الميكانيكا ، فهو ساعاتى أبيها ومهندس ما فيها من سيارات وآلات ومنه أخذت بعض مناظر أبيها .

قبائل عسير

وعسير أربعة قبائل كبرى هم « بنو مُفَيْد » و « عُلَيْكُم » ويقال لها ولد أسلم ، وهما شوكة عسير وأكثرهم عدداً « وربيعة رُقَيْدة » و « بنو مالك » وجميعهم يعدون على وجه التقريب من أربعين إلى خمسين ألفاً .

وتتفرع هذه القبائل الأربعة إلى عدة بطون وأنحاذ يطول شرحها تبليغ

على وجه التقريب حوالى أربعين نخذاً ، يسكنون نحو مائة وخمسين قرية قد تكون بعض القرى منزل أسرة لا تتجاوز بضعة بيوت .
ويقولون إنهم يرجعون فى الأزد أزد شنوءة^(١)

ملاحظة وتعقيب

(١) ذكر الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى كتابه « مهد العرب » ص ٩٥ ما يأتى :
« والقسم الشمالى من اليمن المجاور للحجاز يسمى اليوم « عسيرا » وهى تسمية لم تعرف فى القديم ، وقبيلة عسير التى يسمى بها الأقليم هى بجميلة إحدى قبائل اليمن المعروفة وكانت تسمى باسمها القديم إلى القرن السابع الهجرى على الأقل .
وفيه أودية وزروع وقرى كثيرة منها يشة وتربة وهى مسورة كبيرة تحيط بها المزارع والتخيل وغها مبان كثيرة ومنها أبها ومرفوها القنفذه على ما يأتى ميل جنوبى جده وصديا وكانت حاضرة الادارسة أمراء عسير .

والذى يظهر لى فيما ذكره حضرة الفاضل المشار اليه ما يأتى :
أولاً — أن قبائل عسير لها أسماء معروفة هى ما ذكرته لك من أسماء يطلق على مجموعها اسم عسير من القديم فقد جاء فى كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني المتوفى عام ٣٣٦ فى صفحة ١٨ أن عسير قبائل من عنز يمانية تنزرت ودخلت فى عنز .
والذى يبدو لى أن وجه اطلاق عسير على القبائل المذكورة وتسميتها به هو وعورة الطرق والسبل فى القسم الذى يسكنونه من جبال الحجاز وصعوبة سلوكها حتى على أهلها وسكانه وعلى ذلك فالقبائل هى التى تسمى بالأقليم لا الأقليم بالقبائل ثانياً — أن الذى أعلمه أن قبيلة بجميلة اليوم تسكن من جبال السراة أو الحجاز فى القسم الأقرب للطائف وجنوباً عنه .

ولم أسمع طول مدة إقامتى بعسير واختلاطى بأهله من أحد منهم أنهم كانوا يعرفون بجميلة بل يقولون إنهم يرجعون فى الأزد أزد شنوءة .
ومما قاله شاعرهم على بن حسن يفتخر فى أبان حروبهم مع الأتراك فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى من قصيدة مطولة قوله :

قفى وانظرى يا أم عبد معارك	يشيب لها الولدان من كل أمرد
وان كشت عنها بالبعاد فسائل	قفىها أسود من « مغيد » بمصد
وفىها ليوث (الأزد) من كل شيعة	يصالون نار الحرب ناراً لمفسد

ويعرفون سلسلة الجبال التي يسكنونها بساق الضراب ، وتمتد منازلهم شرقاً إلى منازل قبيلة شهران ، قرية حجله وما حاذاها . وغرباً بمنازل قبيلة

== إلى أن قال :

ويا لك من أيام نصر تتابعت بها من شواظ الحرب ذات التوقد
بأيدي رجال من « شنوءه » جدهم رقى بهم بمبدأ إلى حوز فرقد
وبحيلة ليست من الأزدي بل من أنمار أبناء عم الأزدي وهي على ما جاء في كتاب
« سبائك الذهب في أنساب العرب » للسويدي أن أزدي هو ابن الغوث بن نبت بن زيد
ابن كهلان بن سبأ وأنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث وبحيلة اخوة الخثعم بن أنمار
غلب عليهم اسم أمهم فنسبوا إليها . ويجمعون مع أزدي في الغوث ويعزز هذا الذي
ذكرته ما جاء في معجم ياقوت ج ٥ ص ٦٤ عند الكلام على السراة قوله : قال
أبو عمرو بن العلاء : أفصح الناس أهل السروات وهي ثلاث وهي الجبال المطلة
على تهامة ومايل اليمن أوها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بحيلة وهي في السراة
الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ثم سراة الأزدي أزدي شنوءه وهم بنو كعب
بن عبد الله بن مالك بن نصر .

وقال أيضا عن الأصمعي « الطود جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء ويقال
له السراة وإنما سمي بذلك لعلوه وسراة كل شيء . ظهره يقال سراة ثقيف ثم سراة
فهمم وعُصْدُوْاْ أن ثم سراة الأزدي ..

ولا خلاف بأن ثقيفا قديما وحديثا من سكان الطائف وماوالاد وقبائل عسير
اليوم هي في نهاية سلسلة جبال السراة (الحجاز) فوادي ثليلت الذي اعتبره ياقوت
الحد الفاصل لسلسلة جبال الحجاز عن اليمن يقع في الجنوب الشرقي عن بلاد عسير
منحدر إلى الشمال فجبل عسير هو ولا شك ما عناه أبو عمرو بن العلاء بالسراة الثالثة
وقال أنه منزل الأزدي أزدي شنوءه .

وليت حضرة رمز إلى المصدر الذي عرف منه أن قبيلة عسير هي بحيلة
إحدى قبائل اليمن وإنما كانت تعرف بهذا الاسم إلى القرن السابع على الأقل .

ثالثا — أن ييشه ، ويعني بها غالبا قرية الروشن من قرى وادي ييشه ،
و « تربة » ليست من قرى قبائل عسير فقرية الروشن هذه تبعد عن أنها حاضرة عسير
بنحو ست مراحل وعلو وادي ييشه القريب من منازل عسير في السفوح الشرقية
يسكنه قبائل من شهران وقد مر الألاع إلى ذلك عند ذكر وادي ييشه أثناء —

المع ومشارف الجبال ، وجنوباً بمنازل قحطان وبعضاً من شهران ، وشمالاً بمنازل قبيلة بلالحمير أو المكان المعروف بالدرجة وهو السهب الممتد إلى

==مرورنا عليه وذكر بعض قبائله وسكانه أما تربة فيبي أقرب إلى الطائف إذ هي في الجنوب الشرقي عنه ولا تبعد عنه بسوى تسعين ميلاً على ما جاء في كتاب « جزيرة العرب في القرن العشرين » وقد سبق وصفها عند المرور عليها وأنها من قرى قبيلة البقوم وهي لم تحسب من قرى عسير حتى على عهد الترك ولم تصل مغازى أمراء عسير إليها حين استقلالهم بالإمارة ، وليس صاحب كتاب مهد العرب وحده الذى عد هاتين القريتين من قرى عسير بل كثير من كتب عن عسير عدها منه كصاحب كتاب « جزيرة العرب في القرن العشرين » وصاحب « قلب جزيرة العرب » وغيرهما عدوهما من قرى عسير وأوديتها متأثرين في ذلك إما بالتقسيم الإدارى في عهد حكم الترك للبلاد أو بما امتد إليه نفوذ آل عايض أمراء جبل عسير واستيلائهم على ييشه وبعض القبائل المخاضية لها من سكان جبل السراة .

أما التقسيم الإدارى في عهد الترك فقد كان يهدف لمصالح مالية لم تراخ فيه حدود القبيلة الصحيحة وذلك لأن الحجاز على عهدهم كان معقياً من الرسوم والضرائب فدوا حدود مارتبوه في متصرفية عسير إلى كثير من القرى والقبائل التى كانت تحسب من الحجاز وألحقوها بولاية صنعاء ولا أظن أن امتداد نفوذ آل عايض أيام قيام أمارتهم في جبل عسير من المسوغات المقبولة في اعتبار ماليس من الاقليم وعده منه فانها حالة قابلة للتبدل والتغير والامتداد والانكماش على أن هذه الأودية الثلاثة أى وادى ييشه ووادى تربة وما بينهما وهو وادى رنية كانت على عهد قيام امارة الشرفاء في الحجاز مباءات جدال وادعاء ومثار نزاع بينهم وبين الأمراء السعوديين أمراء نجد ، والخلاف عليها كان القدحة الأولى في زناد القتال والحرب الذى وقع بينهم وانتهى بما انتهى إليه من الوضع الحاضر في الجزيرة .

ورغم أن صاحب كتاب « جزيرة العرب في القرن العشرين » كان مدركاً لما ذكرته فقد قال في ص ٤٢ عند الكلام على ييشه « وقد حكم الأشراف — يعنى بهم أشراف مكة — قديماً هذه المنطقة قبل الحركة الإصلاحية في نجد ففي تاريخ العصامي كثير من اخبار الأشراف في ييشه ،

وللاتصال الشديد بين ييشه ووادى الدواسر كانت هذه المنطقة موضع نزاع بين الأشراف ونجد ،

منازل بللحمر . وجاء في كتاب في بلاد عسير أن بلاد القبيلة المعروفة باسم « قبيلة عسير » تتألف من الجبال والأودية والسهول الواقعة بين أعلى سرة

== كما قال أيضا قبل ذلك في ص ١٤ : « ومع أن الأتراك قد كونوا متصرفية عسير وجعلوها تابعة لولاية اليمن فقد كان أشراف الحجاز يدعون تبعية بعض المناطق المجاورة للحجاز كما أن أمراء نجد أيضا يدعون ملكية بعض المناطق من الجهة الشرقية ، ورغم ذلك فإنه عدها من قرى عسير كما عدها تربة أيضا .

وما ذكره باقوت في معجمه عند الكلام على وادي يشه سريخ بأنه من أعمال مكة . أما اليوم فإن عسير والأودية المذكورة أصبحت جزءاً من المملكة العربية السعودية » وقطعت جبهة قول كل خطيب .

وإني لأسأل الله مخلصاً أن تعم الوحدة والاتحاد سائر أقسام الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها فلا عزة لها ولا منعة ولا سلامة من مظالم المستعمرين إلاهما .
رابعا — أن صديا - وإن كانت من مدن تهامة أي تهامة المحاذية لجبل عسير ، لأن العرف جرى بتمييز كل قطعة من تهامة بما جاورها من أقاليم ، فيقال تهامة الحجاز وتهامة عسير وتهامة اليمن ، فقبائل عسير المعروفة بهذا الاسم اليوم لا تمتد منازلهم إليها ، ولم يسبق لأمراء صديا أن كانوا حكاماً لجبل عسير بل أن أمير « أبو عريش » من مدن تهامة وهو الشريف حمود المعروف بأبومسار استولى على عسير عام ١٢٣٣ في أثناء فترة الاضطراب الذي حصل من مهاجمة جيوش محمد علي باشا إلى مصر للجزيرة ، ومحاربة السعوديين فيها وكان استيلائه في ومضة من الزمن قصيرة لا يعتد بها ولا تعتبر ، أما ما حصل بعد ذلك وبعد أن أسستب الأمر للأمير عايض وسلفه على ابن مجتل من أمراء عسير فهو أنهم أغاروا على تهامة وانتزعوا صديا من أمير أبو عريش وحكموها .

نعم إن السيد محمد الإدريسي أول الأمراء الإدارية في صديا حاول أثناء عهد الترك في عام ١٣٢٩هـ الاستيلاء على جبل عسير وحاصر أبها مركز الحامية التركية والمتصرف ، بمائة أحماد الأمراء آل عايض وبعض قبائل عسير كرها منهم في الترك ولكنه فشل في محاولته هذه بمناهضة أمير مكة الشريف الحسين بن علي له وفكك لحصار أبها .

وحاول ذلك أيضاً مرة ثانية بعد انسحاب الأتراك من جبل عسير عقب الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٧ وكاد آل عايض يرضخون له ويكفون له اتباعاً =

الأزد في الغرب وبلاد شهران في الشرق وبلاد قحطان في الجنوب وبالآخر وبالأسمر في الشمال ، وبعبارة أخرى هي بلاد واقعة بين جبل ثمنية وعقبة

ولكنهم نكلوا فيما وافقوه عليه وحاربوه ودحروا جيشه كاذكرت ذلك تفصيلا في تاريخ عسير السراة الملحق بهذه الرحلة .

واقليم تهامة هذا كان ذا كيان سياسي قائم بذاته تحت امارة الأشراف آل خيرات ملحق اسميا بحكومة صنعاء إلى عهد استيلاء آل سعود عليه في عهدهم الأول عام ١٢٢٠ هـ بواسطة من تَنَصَّبَ تحت نفوذهم من أمراء عسير .

فلما انحلت جامعة آل سعود عادت الامارة الى سابق عهدها وظلت كذلك إلى أن زحف الترك زحفهم العام إلى اليمن وماجاوره في عهد السلطان عبد العزيز عام ١٢٨٥ — ١٢٨٩ فزالَت امارة الأشراف آل خيرات من أبو عريش في تهامة كازالت امارة آل عايش في جبل عسير وظل الاقليان تحت ولايتهم المباشرة وشكلوا فيها متصرفية كما سبق ، الى أن نشأت امارة السيد محمد الادريسي في صيدا بتهامة عام ١٣٢٦ هـ على ما أُلْعِت إليه عند الكلام على صيدا من هذه الرحلة .

وكان اقليم تهامة هذا يعرف في عهد الأشراف « بالمخلاف السلياني » ولازال في أهله من يسميه بهذا إلى اليوم .

والمخلاف في عرف اليمنيين يطلق على المقاطعة أو الناحية فيقال بمخلاف صنعاء ومخلاف صيدا ومخلاف بيش ، وهكذا .

ووجه تسميته هذه المقاطعة بالمخلاف السلياني ، هي نسبتها إلى رجل أحال أنه حكما في غابر الزمن ، يعرف بسليمان بن طرف الحكيم . وجدت ذلك في وريقات من كتاب بالي بخط اليد في قرية رجال أظنه يبحث في الأنساب جاء فيه .

« وأشراف المخلاف السلياني وهو مخلاف « سليمان بن طرف الحكيم » وهم أكثر سكانه في عصرنا هذا وما قبله ، قال الناشر في كتاب « الدرر » أخبرني السيد العالم الطود الشايع الأشم ، مشرع المكارم والحكم ، الفقيه العلامة الأمين ، المحتوى على جميع الفنون ، أحمد بن عيسى بن محمد بن سليمان بن محمد بن سالم بن يحيى بن مهنا بن سرور ابن نعمة بن فلتية بن الحسين العابد بن يوسف بن نعمة بن علي بن داود المحمود بن سليمان بن عبد الله البر بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب أخبرني السيد المذكور أن سكان المخلاف من الشرفاء من ولد سليمان بن علي بن داود فولد لسليمان ولدان هما يحيى وعلي ومنهما انتشرت =

القرون وروابي ركان الممتد إلى الحقو فالبحر من جهة الجنوب ، وبلاد
بنى شعبة وربيعة اليمن ورجال ألمع ووادي حلي من جهة الغرب ، وعقبة
شعار ووادي كَيْه والسهب الممتد إلى بلاد بالأحمر من الشمال ، وسلسلة
الهضاب والسهوب المتصلة ببلاد شهران من الشرق . وإذا قست المسافات
بالساعات للشاة كانت المسافات من شعار في الشمال إلى تمنية في الجنوب
ثلاثاً وعشرين ساعة بالمشى السريع .

وأما المسافة من الشرق إلى الغرب فإنها تقرب من المسافة التي من الشمال
إلى الجنوب إلى أن قال : وعلى هذا الاعتبار تكون قبيلة بلاد عسير عبارة
عن بقعة من الأراضي الجبلية يبلغ طولها خمسين كيلو متراً وعرضها أربعين
كيلو متراً .

أهل الكهف أو موتى الكهوف

وعلى ذكر جبل تمنية الواقع جنوب بلاد عسير ، ولا يبعد عن أهلها بأكثر
من ثمان ساعات أذكر أن به غاراً فيه بضعة أموات يقول أهالي أهلها إن
لم أمدأ طويلاً وهم في هذا الغار تيبست جلودهم عليهم ، ولم يتطرق إليهم البلى
والانحلال ، وعد صاحب كتاب في «بلاد عسير» أن وجود الغار ومن فيه من
الأموات زعم من أهل البلاد وليس الأمر كذلك ، فإن الغار ومن فيه حقيقة
قائمة فقد ذكر لي ذلك كثير من أهالي أهلها أثناء وجودي بها ولكن لم أعر
الموضوع اهتماماً ولم يتيسر لي وصول تمنية فأتحقق مما قيل ، غير أنه منذ سنتين

== الذرية فمن ولد يحيى أبو الطيب غانم ومنهم أمراء ييش وجزان وباغته إلى آخر
ما جاء في الورقتين المنوه عنهما .

كما أني عثرت في معجم ياقوت للأدباء ص ٨٦ ج ١٤ في ترجمة علي بن عيسى بن
وهَّاس الأمير فقلان دَهَّس بن وهَّاس بن عَشَّود بن حازم بن وهَّاس الحسني أن
علي بن عيسى مات في مكة في سنة نيف وخمماية ، وكان في عشر الثمانين وكان أصله من
الذين من مخلاف بن سليمان ، مما يدل أن تسميتها بالمخلاف السلياني قديمة جداً .

ذكر لي صديق يعمل مفتشاً في مديرية المعارف بأنه تيسر له في أثناء دورة تفتيش قام بها في تلك الجهة الوصول إلى الكهف . ومشاهدة من فيه من الأموات فأثار قوله هذا . الرغبة في استجلاء حقيقة أمر هذا الكهف ومن فيه ، وكان صديقي وزميلي الأستاذ عيسى فهم لا يزال يعمل موظفاً في تلك الجهات وهو الآن معتمد للمعارف في أبها ، فكتبت إليه رغباً الوصول إلى الكهف والتحقق من أمره . وما يحاك حوله من أساطير فقام بهذه المهمة وبعث إلى بالبيان الآتي .

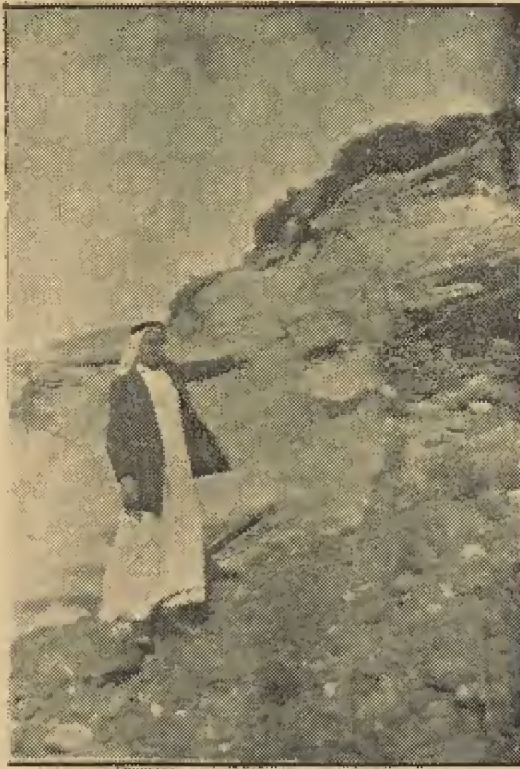
تقع تمنية في الجنوب الشرقي عن أبها وتبعد عنها سبع ساعات على الدواب وساعة أو تزيد على السيارة وذلك لصعوبة طرقها . وتغنيه عبارة عن واحة خصبة تنفجر منها ينابيع المياه بقرارة ، وأرضها



منظر من مناظر الطريق إلى تمنية والكهف .

صالحة جداً للزراعة ، وهي مرتفعة عن سطح البحر بثمانية آلاف قدم تقريباً
أما أهلها فتغلب عليهم السذاجة والبساطة في كل شيء .

والغار المشهور يقع في موضع يسمى «الشرحة» أو «أم شرحة» كما يسمونه
أهل تمنيه ، والشرحة هذه جبل شامخ في العلو يفصل بين تمنيه وتهامه وفي
قته يقع الغار متجهاً نحو الجنوب الغربي واتساعه ثلاثة أمتار في مثلها .

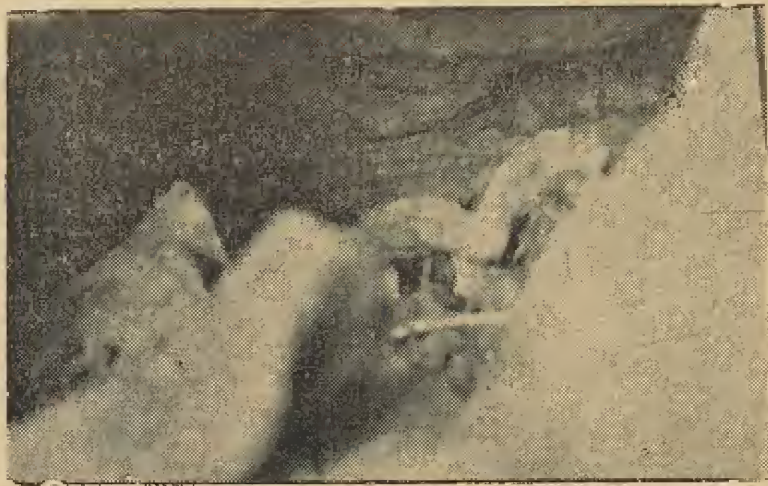


« صورة الغار والاستاذ عبد الرحمن البجاوى يشير إلى فتحة بعضا في يده ،

ويبلغ عدد الاموات الموجودين داخله أربعة نفر فقط ، أولهم عما يلي قم
الغار رجل مستلق على ظهره شاخص ببصره ، عظيم الجثة ضخيم الجسم ، فطفل
صغير ، يليه امرأة مضطجعة على شقها الأيمن ومختضنة هذا الطفل ، وفي احدى

أصابع يدها خاتم صغير قد بلى جداً ، فشاب طويل نحيف خلفها ، وهو أيضاً مضطجع على شقه الأيمن .

وجميع هؤلاء الأربعة عراة ليس عليهم أكفان أو ثياب البتة ، وليس هناك ما يدل على أنه كانت عليهم أكفان أو ثياب ، وقد ضمرت أبدانهم وبست جلودهم حتى أصبحت كاللبن القديم ، وانمحضت أشعارهم فليس لها أثر في الجمجمة ، أما جلدة الوجه فقد زالت كلياً غير أن الأسنان لازالت سليمة — أما العينان فهما غائرتان ، أو أن الحدقتين قد يبستا في داخل العين ، وبالجملة فليس صحيحاً كل ما يقال عنهم . واعتقد أنه لا يمكن حملهم إلى مكان بعيد إلا بمشقة كبيرة إذ أنه يخشى تحطم هيكل الجسم من المفاصل التي أصبحت عارية عن اللحم والعصب .



« منظر قدم أحد الأموات بادية من طرف الكهف »

ولا يعرف جميع أهل تميمية عن هؤلاء الأموات شيئاً البتة ، وقد سألت أحدهم وهو يبلغ من السن سبعين سنة - فيما زعم - عن أصل هؤلاء الأموات وعن الشائع عنهم ، فأجاب بأنه وجميع عشيرته لا يعرفون شيئاً عن هؤلاء

الأموات وعن الشائع عنهم ، كما أن والده ومن في عصره لا يعرفون شيئاً أيضاً عنهم .

وقد تحسست الأخبار من كثير منهم فلم أظفر بنتيجة ، فكلمهم لا يعلم شيئاً ولا يروى عن آباءه خيراً .

وتبعد الشرحة عن تمنييه بكيلو متر تقريباً وليس فيها مقابر عدا هذا الكهف غير أنى قد عثرت على كهوف أخرى جنوب تمنييه تبلغ الثلاثة علوة بالأموات رجالاً ونساء وأطفالاً ، وبعضهم فوق بعض على غير ترتيب وقد ميزت الرجال عن النساء بثيابهم البيضاء ، كما أن النساء معروفات بثيابهن السوداء ومنهم « قرب » الماء قد استنذت ، وأما هذه الكهوف فتسجه نحو القبلة ، وقد سألت أهل القرية عنهم فاجابوا أيضاً بأنهم لا يعلمون عنهم شيئاً . الأمر الذى حقق لى جهلهم وغباوتهم المشتهرين بهما . وسكان تمنييه من بنى مالك وهم ملحقون بعسير ، كما أنهم غير بنى مالك المعروفين شمال أبها ، أما أسماء القرى التى يمر بها القاصد إلى تمنييه فأولها الشرف وتبعد عن أبها بثلاثة أرباع الساعة ، وهى تابعة لقبيلة بنى مشيد فبلاد آل سرحان التابعة لقبيلة شهران ، ثم تبدأ تشاهد القرى الصخرى المتبعثرة عن يمينك وشمالك ووراءك ، وبعضها لا يحتوى إلا على بيت أو بيتين حتى تصل « المسقى » ، وذلك بعد ثلاث ساعات متواصلة ، وبعد المسقى بكيلو واحد يكون سوق يوم الاثنين الذى يجمع كل هؤلاء السكان فى الأسبوع مرة واحدة ، وتكون تمنييه بعد هذا السوق بساعة واحدة هذا ما جاء من زميلى المشار إليه ، والذى اعتقده فى أمر هؤلاء الأموات أنهم أناس من أهل هذه الجهة فى أثناء موجة من موجات الأوبئة التى كانت تجتاح هذه النواحي ، لاسيما فى العصور السابقة ، علق بهم المرض وهم يسرون فاقعدهم عن القدرة على المشى فاجأوا إلى هذه الكهوف محتمين فيها من عوارض الطبيعة وعوادم السباع ، وأرهمتهم العلة فأتوا وظلوا بالكهف ، على أن الظاهرة التى تستلفت النظر هو عدم تحلل أجسادهم بالسرعة المعتادة ، وحذا لو أن الحكومة عثت بنقلهم ودفنهم لينقطع ما يخامر عقول بسطاء البدو وجبالهم من شأنهم ، فيحوكون حولهم الأوهام والأساطير

أبها مركز مواصلات هامة

وتتفرع من أبها أربعة طرق رئيسية . أحدها مما يلي الشرق ومنه تأتى السيارات القادمة عن طريق بيشه وخميس مشيط ، ويوصل إلى وادى الظهران ووادى نجران .

وثانيها : وهو فى الجهة الشمالية يوصل إلى قرية محابيل فالنصفندة على الساحل فى تهامة وإلى قبيلة بالحمر وما يتلوها إلى الطائف عن طريق السراة ، وفى هذا الطريق إلى محابيل عقبة تسمى « شعارآ » هى رأس وادى تيه

وثالثها : وهو فى الجنوب الغربى من أبها يوصل إلى درب بنى شعبة ومنه إلى صيدا فجيزان على الساحل ، وفى هذا الطريق عقبة تسمى ضلع ، أو . ضلاع هى رأس وادى باسمها ينصب فى وادى عتود الغربى ويلتقى به

ورابعها : وهو فى الشمال الغربى من أبها عن طريق قرية السودا يوصل إلى قرية الشعبين حاضرة قبائل ألمع ومقر الإمارة لهم فى الوقت الحاضر ، وفى هذا الطريق عقبة تسمى « الصماء » هى رأس وادى العوص وهى أكبر مما فى الطرق الأخرى من عقبات ومنها كان طريقنا إلى رجال

فى طريقنا إلى رجال

أقنا فى أبها ثمانية أيام ، وفى يوم السبت ٢٣ من ذى القعدة سنة ١٣٥٩ شددنا رواحلتنا قاصدين رجال ورافقنا فى طريقنا هذا ، الأستاذ عبد المالك مدير مدرسة أبها ، وكانت حركتنا حوالى الساعة السادسة أى قبل الظهر بقليل ومراكبتنا الحخير بعد السيارة

سرنا فى طريق جبلى نهبط تارة ونعلو أخرى ، حتى شارفنا قرية (البَدْلَه) بعد ساعتين تقريبا وهى قرية على مسيل شعب شهدنا فيه غديرا مترعا بالماء

تركنا البدلة ولا زلنا في ارتفاع مستمر ومنظر الجبال أجرد من الخضرة على مثال ما تركناه خلفنا إلى أن وصلنا قرية صغيرة تسمى (غاوّه) من هذه القرية ابتداء اخضرار الجبال بما عليها من شجر العرعر وغيره من النباتات ، وفي الساعة العاشرة بعد العصر وصلنا قرية « السودا » بعد أن مررنا بقرية صغيرة أخرى تسمى (محسان)

قرية السودا

والسودا قرية مليلة بيوتها من الحجارة مزوز بعضها في بعض ، كأنها كومة واحدة من البناء ، مؤلفة من طابق واحد قائمة على قمة جبل وهي من أرفع قرى عسير ، فارتفاعها عن سطح البحر يبلغ على ما قيل لى ألفين وأربعمائة متراً^(١) وهي تتبع قبيلة علكم إحدى قبائل عسير كما مر . وتحيط بالقرية مروج خضراء من سلسلة المزارع التي أنشأها أهلها في الوهاد الواسعة والمصاطب العريضة المجددة بالقرية وكان الموسم موسم زرع الشعير فشهدنا حقوله بعد أن شقق الأرض واستوى بقدر شبر كأنها بسط سندسية في غاية البهاء وحسن المنظر ومزارع السودا مشهورة بجودة ما تنتج من الحنطة ، وأتذكر أنني قرأت في معجم صغير ألفه الأستاذ رشدي ملحس عن قرى الجزيرة أن في قرية السودا أو على مقربة منها منجم للحديد عظيم

لم نخرج على جمهرة بيوت القرية ، بل قصدنا بيتاً متطرفاً في منحدر من سفح الجبل كما استحسناً ذلك لنا المكارى ، حططنا رحالنا وبيتنا ليلتنا ، ومن حسن الحظ أنها كانت ليلة دافئة نسبياً ولم تكن شديدة البرودة كما كنا نتوقع فقد خبرت درجة الحرارة في السحر فلم تهبط عن ست درجات فوق الصفر

(١) ذكر صاحب كتاب « في بلاد عسير » أن ارتفاع قرية السودا عن سطح البحر ١١٤٢٠ قدماً وذكر المستر فلي في مصوره أن ارتفاعها ٢٩١٠ أمتار

مع انه اخبرنا من نحن في بيتهم من أهل القرية أن الماء كثيرا ما يجمد لديهم وهو لا يجمد إلا إذا انخفضت درجة الحرارة إلى الصفر فما تحت وهوام السودا هواء منعش ، وهي جيدة المناخ لأرتفاعها ورغم ذلك فإن أهل البيت الذي حللناه كانوا مرضى بنوع من أنواع الحمى الخبيثة المعدية أطلقها « التيفو » أو « براتيفو » وهم يسمونها « الهفة » تأتيهم على شكل وباء ما حق ، فقد قالوا لي إن هذا الوباء اجتاح قريتهم منذ شهرين فاستوصلت منهم أسر وخليت منهم الدور

شهدت فيهم غلاماً لم يتجاوز العاشرة ، أبل من مرضه كان مضطرب النظر كالمشده وقد أمسى من الضعف كأنه هيك عظمي يتكلم
وكم يأسف المرء للجهل المطبق على أهل هذه الجهة ولما هم فيه من قذارة وعدم اعتناء أو تحرز ، رأيتهم يتركون ما لديهم من آبار ويستقون الماء من النجول والمستنقعات ، غير آبهين بما هي عليه من وخامة وثلوث ولا أظن انتشار هذا الوباء لديهم إلا من هذه المياه الملوثة

جبل تهليل

روضة ومفان

تناولنا الفطور وحزنا أمتعنا على الحمير ، وفي الساعة الثانية بعد الشروق استأنفنا السير وبعد برهة وجيزة انفسح أمامنا الطريق ، وبدأت لنا سطحة تهليل المشهورة^(١) وهي سطحة واطئة الذرى تنتشر عليها أشجار العرعر وشجيرات الشنت وما شاكله من النباتات البرية ، كالضيراء والبعيثران ذى الرائحة الزكية الفياحة ، وكان لمنظر أشجار العرعر المتشابكة في بعضها البعض وما يراوحها من الشجيرات المنبثة تحتها وسجع القمارى وأغاريد مختلف أنواع الطير وسكون الهواء إلا من نسيم عليل رطب - أثر سرور عميق في النفس ، فيه

(١) ذكر صاحب كتاب « في بلاد عسير » أن ارتفاع سطحة جبل تهليل عن البحر



« منظر من مناظر سطحة جبل تهل »

من المتعة والاستئناس ما لا يمكن لمثل تصويره ووصفه ، والتعبير عنه أصدق
تعبير ، وأبهج ما رأيناه من المناظر الخلابة الرائعة - منظر قطع السحاب وهي
تتأرجح على ذرى جبال تهامة الواطئة عنا ، بما خيل لنا معه ، ونحن ننظر إليها أن
السماء أقرب إلينا من الأرض

مناظر فيها من الحسن والمفاتن ما يجعلها جديرة ، بعقريّة الشعراء
وأرباب الخيال الواسع السامى والحس الرهيف لتصويرها بما تستحقه
من وصف

سرنا مأخوذ من هذا المنظر الساحر حوالى نصف ساعة ثم بدأ الطريق
يتلوى بين صعود وهبوط مع بقاء اخضرار الجبال والربى إلى أن وصلنا
قرية صغيرة تسمى الشرف حوالى الساعة الرابعة والنصف نهاراً

وقرية الشرف هذه تخص سكان وادى العوض من قبائل المع وهي في
رأس عقبة الصماء عبارة عن بضعة بيوت متناثرة سقيا مزارعها على المطر
وفى أول العقبة بئر عذبة الماء منها يشربون

وقفنا هنيهة ريثما أحكمنا حزم أمتعتنا على الخمر ، ثم سقناها أماننا

واستأنفنا السير مشاة لأن الطريق في أول العقبة بل وفي كثير من أقسامها لولي ضيق ، شديد الانحدار يسير المرء فيه على حافة مهاو — لا يعدو عرض الحافة نصف الذراع — سيراً مريعاً يكاد يصل درجة الخطورة .

ظلنا نتابع السير مشاة ونحن على حالة من الهلع خشية السقوط والانزلاق فشينا كان مسبباً وترنجاً بما تطأ عليه أرجلنا من ضروس الأحجار الناتئة نظمئن تارة ونضطرب أخرى إلى أن وصلنا نهاية العقبة في حوالي ساعتين ونصف من الزمن فوجدنا سلسيل ماء ينساح على صخرة ويتدفق منها يسمى (العرقوب) .

جلسنا عند السلسيل تحت ظل بعض الأشجار النابتة بين الصخور والأحجار وتسارعنا إلى الماء نرشف منه بأفواهنا فكان عذبا فراتا زاده لذة وهناء ما لاقيناه من عناء وجهد في العقبة .

وبعد أن تناولنا طعامنا وأوقدنا السموار^(١) لنصنع الشاي — اتكأ كل منا على مرفقه فوق الأحجار مصوباً بصره إلى معارج هذه العقبة الكؤود نشهد سير الجمال التي تركناها خلفنا بأحمالها الثقيلة ونزولها من حيث نزلنا تجمع أرجائها مرة وتبسطها أخرى حسبما تتبينه من المواطى* ، والجمال المسكين أخذ يذنب الجمل يتمطع فيه تارة ويندفع معه أخرى موازنا سيره خوفاً عليه من السقوط والانقلاب .

وعجيب أن يتأني للجمال مع ضخامته وسموقه وما عليه من حمل — أن يسير في هذه الطرق الوعرة المشككة الضيقة المسلك .

في مثل هذه الديار والطرق التي لا يستطيع المرء أن يحمل فيها نفسه

(١) السموار كلمة روسية معناها المتوكد من نفسه ومن روسيا عن طريق التركستان عرف أهل الشرق الأدنى والأوسط هذه الآلة لغلى الماء خصيصاً في صنع الشاي .

فضلاً عن متاعه تتجلى له منة الله تعالى وليس معنى قوله ، وحمل أنفالكم إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس ، .

ونحن في مجلسنا هذا لمحنا بعض الرعاة وصبيتهم يسرون ركضاً خلف أغنامهم في جوانب الصخور والشعاب التي لامسالك فيها بالمرّة لجمع ما تفرق من الأغنام بكل خفة وسرعة كمشي أحدنا في طريق معبد مستقيم .

ذلك فضل المران والاعتیاد وما يكسب النفس من قوة العزيمة والاطمئنان .

وبعد أن شربنا الشاي شددنا على الحمر ما كنا قد أزلناه من أمتعة لنتفق

به . وبدأنا السير في وادي العوص واخضرار الجبال بالأشجار لم يزلنا إلا أن شجر العرعر ثلاثي ونحن في أوائل العقبة ، لأن المرعر لا يثبت إلا في الأماكن الباردة المرتفعة وهو شجر يشبه في منظره شجر الصوبر المعروف وخلفه شجر الأثب وهو شجر غليظ الساق دوحى الأغصان قائم الخضرة يشبه ورقه ورق الدفلى في عرض عنه .

وادی العوص

ووادی العوص واد طويل كثير الأشجار البواسق فشجر الأثب والسدر ، والجيز ويسمونه (إبرا) منتشر فيه بكثرة تتخلله شجيرات خضراء داكنة كأنها القباب الصفار تسمى « المصّص » ، قالوا أن فيه شرواً^(١) وجزياً للنحل جيداً فاستطلعت زهرة من أزهاره فوجدت في أسفل محتنها قطرة لزجة فيها شيء من الحلاوة .

سرنا في وادي العوص حوالي ساعتين باغتنا أنماها ونحن نسير حذش خلت طوله ثلاثة أمتار تقريباً أسود الأعلى والأسفل أصفر الوسط في غلظ

(١) الشرو والشرو بالفتح والكسر لغة العسل .

زند الطفل نفر من خشخشة أرجل الخير وانساب بين الأشجار فتركناه
كما تركناه .

قرية الشعبين

وفي الساعة العاشرة وصلنا قرية الشعبين وحططنا رحالنا ضيوفاً على دار
الأمارة ولم يكن الأمير موجوداً لأنه على رأس الحملة التي ذهبت لتأديب قبيلة
الصواعقة لتأديبهم عن دفع الزكاة المشروعة (١) . فاستقبلنا ابنه وأنزانا في دار
تقابل دار الأمير وبعد أن استقر بنا المقام أخذنا أحد خُريّا الأمير إلى مجلس
الأمارة وهو عبارة عن حجرة أرضية مفروشة بالحصير فيها دكاك من اللبن
يمتاز مجلس الأمير في صدرها بنائتين كساعدي الكرسي . وعلى الدكاك شمال (٢)
مستطيلة لم تواجه صفحتها المكينة منذ أيام .

وبعد أن تقهرونا علمنا أن الهيئة المختصة للتجوال والتفتيش على سير
الأعمال الإدارية في هذه الانحاء قد انتهى بها المطاف إلى قرية الشعبين صباح
يوم وصولنا إليها غففت والأستاذ عبد المالك للسلام عليهم لأنى أعرف
بعض أعضائها وهما الشيخ صالح قزاز والشيخ محمد الحابس وبعد السلام
والتحية تعارفت بالعضوين الآخرين وهما الشيخ محمد البين والشيخ فيصل المبارك
وقضينا لديهم برهة سألونا عن سير الحرب القائمة إذ ذاك وحوادثها لقرب
عهدنا بالمدنياع الراديوي في أبها فاخبرناهم بما لدينا منها ثم رجعنا وتناولنا العشاء
بدار الأمارة وكان عبارة عن صفحة من الأرز وسليق اللحم ليس إلا .

(١) الصواعقة بطن من قبيلة شحب إحدى قبائل الماع .

(٢) الشمال وأحدها شملة بسط من الصوف مستطيلة ومربعة معروفة في الحجاز
تشبه الكليم إلا أنها أخشن وبرأ وأغلظ خيطا .

والشعبين قرية بيوتها من الحجارة قائمة على حواف شعب
من الشعوب المنحدرة من الجبال المطلة على القرية تشرف على ملتقى
وادي العوص بوادي حلي . ولذلك فأفق الناظر منها فسيح أمامه .
وهي قليلة الدور لا يتجاوز سكانها الثلاثمائة نفرأ . اجتاحتها الجدري في
هذه الأونة فأهلك من أهلها ما يناهر السبعين شخصاً وفيها يقام سوق يوم
الأحد من كل أسبوع عظيم بالنسبة لبقية أسواق قبائل المع . جئته مراراً
لشراء ما يلزمنا وشهدت في معروضاته الموز يجلبه إليه « بنو زيد » سكان
وادي « كناه » لوفرة المياه في واديهم .



« منظر سوق الشعبين أثناء قيامه يوم الأحد »

وأغلب ما يعرضونه منه حبات مفروطة يبيعون الحبة منه في الأغلب
بقرش والقرش من ابها إلى جيزان هو نصف قرش سعودي .
ولا يزال للريال الفرنسي قيمة ومدار في البيع والشراء بل كثير من
البدو يستنكفون عن قبول غيره ويعرفونه (بأبو حرة السلطاني)^(١) .
وماء آبار الشعبين أقل حلاوة مما تركناه خلفنا من مياه .

(١) الريال المذكور ليس من عملة حكومة فرنسا وإنما هو ريال نمساوي =

الوصول إلى رُجال

بتنا ليلتنا ولما أصبحنا رأيت والأستاذ عبد المالك أن نترك الأمتعة وبقية الرفاق ونذهب منفردين إلى قرية رجال وهي قريبة من الشعبين لا تفصلهما سوى عقبة تسمى « ركز » ، تماثل عقبة النقب الأحمر في طريق الطائف الجبلي أو تزيد عنها قليلا في صعوبة المسالك .

كارينا على حمارين ركبناهما ركوباً « صدق أو لا تصدق » المشى أفضل منه وبعد أن اجتزنا العقبة وسرنا بضغ دقائق وصلنا قرية رُجال واتصلنا فيها بالشريف عبدالله الحازمي مأمور المالية إذ ذاك فاستقبلنا أحسن استقبال لا يزال طيب أثره في نفوسنا وقررنا وإياه أن يكون مقامنا في رجال في إحدى دورها كيفما اتفق ثم بعد أن يستقر بنا المقام نتخير الدار الصالحة لأن تكون مدرسة وتقدينا على مائدة المشار إليه وقدم بقية الرفاق بالأمتعة آخر النهار ، فأمن الشريف في الاكرام وأنى إلا أن يكون عشاؤنا جملة عنده أيضاً

رتبنا أمتعتنا في المسكن المؤقت الذي تحصل لنا عليه الشريف عبد الله وبتنا ليلة ذلك اليوم على حالة عادية وبات معنا الأستاذ عبد المالك تلك الليلة وليلة أخرى قفل في صبيحتها عائداً إلى أبها . وأخذنا نحن في افتتاح المدرسة واستقبال الطلبة وما إلى ذلك

قرية رُجال^(١)

وقرية رجال في صدر واد صيب يسمى « وادي كسان » يمتد بدمر مرحلة = أخال أنه عرف التعامل به في الجزيرة والحبيشة على عهد استيلاء البرتغال لبعض سواحل الجزيرة في عام ١٥١٥ م ولكنه الآن قد انقرض أو كاد فقد شددت الحكومة في تحظير استعماله والتعامل به .

(١) رجال على وزن غراب هكذا وجدتها مضبوطة في رسالة « نفع العود في سيرة الشريف حمود » ، لحسن بن أحمد بن عبد الله الهكلى وهي مخطوطة اطلعت عليها عند بعض الحفاطية من سكان رجال وهكذا ينطقها سكان القرية .

ولا يخلو محيطها من شجر الأثل والجيز والسدر ، ولهديل الحمام المطوق على أغصانه وتغريد الطيور لا سيما المعروفة عندنا (بالشفري) — أصوات شجية مطربة خصوصاً في الصباح الباكر مع لطف الهواء وبقية طراوة نسبات الليل .

وقد مضت علينا في رجال أول ما قدمناها بضعة أشهر كانت غاية في الاستئناس والابتهاج .

فقد كان المطر لا ينقطع عنا أثناءها أياماً متتالية بل قد يدوم تهاته أسبوعاً كاملاً على وضع في نهاية اللطف والجمال .

فما أن تزول الشمس حتى نشهد قطع السحاب قد بدأت تنفلت من خلف ذرى الجبال المحدة بالقرية متجمعة متكاثفة على سماءها فإذا ما أطبق السحاب عليها من سائر الجهات أرسل مطره منها أحياناً ورذاذاً أحياناً إلى ما قبل الغروب بساعة أو ساعتين ثم تنقشع السحب وتصحو السماء .

وكنا قد انتقلنا من البيت المؤقت إلى بيت من أجمل بيوت القرية واقع في قم شعب على نهد من السفح مؤلف من طابقين في كل طابق حجيرتان متسعتان تتقدم البيت ردهة براح وتعلوه حجرة صغيرة تنفذ إلى سطحه .

فكنا بعد أن تصحو السماء نبرز بالكراسي والدكاك ، إما إلى ردهة البيت أو على السطح ونجلس مستمتعين بالنظر إلى ما خلفه نزول المطر من نقاء وصفاء وانتعاش في الحجر والشجر وكل ما في القرية .

وقد يستمر بنا الجلوس والسمر في الليالي القمرية إلى آخر الربع الأول من الليل وكثيراً ما كان يضوى إلينا قاضي القرية وبعض وجهائها فتجاذب شهي الحديث في مختلف المواضيع . سويغات وليال مرت ما كان أحلاها .

بيوت قرية رجال

وجميع بيوت رجال من الحجارة منها ذو الخمس طبقات ويقل منها ذو الطابقين .

قائمة على حفافى الوادى من الجانبين متراكب بعضها على بعض . ترى البيت الواحد موزع الملكية بين عدة أشخاص لكل شخص طبقة مخصوصة وبعضها قبيح المدخل وكثيراً ما ترى سطح بيت مجازاً وعمراً لبيت آخر ونوافذها ضيقة رغم أن لا شدة للبرد فيها فدرجة الحرارة طول فصل الشتاء لم تهبط عن العشرين بكثير .

ويسمون النافذة « كثررة » ، كأهل ابها .

على أن بعض بيوت أثريائها ووجهائها لا بأس بترتيبه وهندسة بنائه وهى على العموم منقوشة من الداخل على طراز ما وصفت لك من نقوش فى بيوت أبها بل إن أشكال النقوش فى رجال وأوضاعها أجمل وأتقن مما فى ابها وقد علمنا أن أهل ابها اقتبسوا هذه النقوش من أهالى رجال وعرفوها عنهم .

وهم أكثر تحلية وتمييقاً للبيوت من أهالى ابها . غير أن الخضار المتخذ من عيدان البرسيم لا يتخذ فى بيوت رجال لأن البرسيم لا يوجد فيها ولا قريباً منها فزارعها كلها على المطر لا تصلح لزراعة البرسيم . وليس فيها سوى بترين للشرب فقط . والمراحض معدومة فى بيوتها بالكلية عدا بيت أو بيتين لأنهم يستكروهن ما يفوح فى بعض الأحيان منها من الروائح ويستعيون غشيانها ، وأول من صنع بيت خلاء مأمور للمالية من أهل الحجاز صنعه فى البيت الذى سكنه مؤقتاً ولكنه كان بيت خلاء وجوده أضر من عدمه لما ينبعث منه من الروائح الكريهة فى كثير من الأحيان . وكان حجة قائمة على صواب رأى أهل القرية فيما يابونه منها . وغرف البيوت لا تفرش أرضها عادة كما هو فى ابها بل تبلط بالطين ثم يتخذ

وهو طرى بحر أربعة أصابع اليد مقوسة بترتيب ظريف يشكل أرض
الخرقة بشكل جلد السمك .



محة مناظر في رجال وترى البيوت متراكبة على بعضها البعض
وأشجار البين بادية بجوار مسجد القرية

وفي أطراف الحجر تدور كراسى من الشريط يسمونها أمقعايد
(القعايد) مطلية قوائمها بالقطران أو الحشن .

وللقطران النباى شأن عظيم فهم يطلون به قوائم السرر والنوافذ والأبواب
ومواعين الماء فهو فى مقام (البونا) وبصفوة القطران وزيته يفسل الرجال
والنساء رؤسهم ويدهنونها لقتل ما يتولد فيها من القمل .

وفى استعمالهم للقطران هذا الاستعمال توفيق من الله إليهم لما فى القطران
من خاصة قتل بعض الجراثيم وإبعاد الهوام والحشرات فهو يلعب دوراً مهماً
فى الوقاية من بعض الآفات التى لولاه لما أمن انتشارها .

ولابد للقعايد من ارتفاع عن أرض الخرقة بدعائم من الخشب ملبسة

بالطين المبيض المحلى بخطوط مختلفة الألوان وتحت القعائد مما يلي الجدار ذلك في عرض شبر يضعون عليها بعض الأواني والمرافق البيتية .

وفي واجهة كثير من البيوت خوارج مربعة مسقوف بعضها وبعضها مكشوف يظنها الرائي لأول مرة (رواشين) أو (بلكونات) وما هي إلا نوافذ من الأعواد الرفيعة مرصوفة بعضها مع بعض تستعمل إما مغسلا أو مطبخاً ويسمونها (شَمْعَة) .

ولا يزيد ما في رجال من الدور عن المائتي بيت موزعة إلى أربعة أقسام : قسمان كبيران يسمى أحدهما (مناظر) والثاني (النَّصْبُ) أو الكدحة وقسم بأعلى القرية يسمى (الحَرْجَة) وقسم بأسفلها يسمى (عسلة) لا تزيد بيوته عن عدد أصابع اليد . ولا يخلو بيت في رجال من شيء من البق وله من شريط القعائد خير ماوى وأقوى حصن .

أما بيتنا الذى بزائنه لأول مرة فله الخط الوافر منه كأنه مقر سلطنته في هذه البلد .

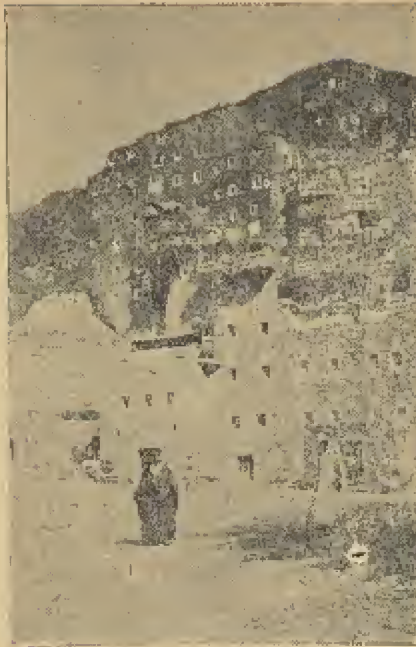
ولولا ما كان معنا من وسائل الوقاية لما غمضت لنا فيه عين ولما عرفنا معنى الليل على أنه قد يندفع علينا نهاراً فترى الواحد منا شغله الشاغل اللقط والجمع ونفض الثياب للبحث عنه ، حالة كم ضحكنا منها على بعضنا البعض .

وأبار قرية رجال بعيدة النور وماؤها كماء زمزم حمدناه لما فيه من إدراك ومقاومة للأمسك .

والرياح القوية قليلة الهبوب فيها لشموخ الجبال المشرفة عليها ولذلك ولتراب بيوتها على بعضها البعض كأنها في منظرها بعض بيوت مكة يقول أهلها إدلأ بها ، رجال إثر مكة ،^(١) .

وتستملح الأرض التى لاهوى بها ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

(١) إثر بمعنى ابن فانهم يلقبون النون راء فى التطق كما سياتى بيانه .



« صورة بعض بيوت رجال وتري الخوارج » الشنعة ، بادية فيها .

السوق في قرية رجال

وللقرية سوق يفد عليها من حولها من القبائل في كل يوم جمعة واثنين على شكل أسواق القرى وفيها بضعة دكاكين مفتوحة على الدوام .

واعتماد أهلها في القوت على الذرة والقهوة وأثرهاؤها ومتوسطو الحال منهم لا يخلو طعامهم من اللحم في أغلب الأيام .

واللحم يباع بالأقسام - لا بالميزان ويسمونه (شُرْكَة) . - على شكل ما وصفت لك عند الكلام على (توبه) وأغلب ما يذبحون الماعز

وأسطار الحبوب والسمن اللحم وما شاكلة من الانتاجات الداخلية أرخص بما في ابها .

وطقسها رطب معتدل الحرارة كثير الطل والندى لا سيما في الليل .

وبعد أن طالت إقامتنا بها وأنسنا بما لاقيناه من طيب المعاشرة في بعض أهلها حمدناها على ما هي عليه .

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

سكان رجال

وسكان رجال عموما لا يزيدون عن الألف معظمهم من بني ظالم وفيها بيت يعرف أهله بالهنود يحترفون صناعة الحلج من الفضة والمعدن وقد اندمجوا في أهل القرية وأصبحوا منهم في كل شيء لا يمتازون إلا بما يلحج المرم في أفرادهم من استقامة وطول في الأنف يختلف عن السحنة العربية ويطلب على ظني أن أصولهم إما من السود أو البشاورين ومن سكان رجال العائلة الحفظة التي سيأتي التعريف بها .

تقاليد وعادات

ولأهل رجال ولع وتفاهر بترزين غرف بيوتهم بما لديهم من أمتعة بيتية وغير ذلك فتراهم يحيطون سائر جدار الحجرة برقوق ينصبون عليها الكثير من الأواني كالأطباق والفضائر^(١) والأكواب وتحتها (جبنات) القهوة و (دلالها) من مختلف الحجوم والأنواع وبعض الأطباق من الصاج المدهون (الشينكو) مخزقة ومعلقة بخيوط في سائر الجدار مضافا إلى ذلك ما لدى الشخص منهم من مصاييح وفوانيس وسيوف وجناب وبنادق وما شاكل ذلك . مما يخال للمرم منه أنها دكاكين للمعرض لا حجر للسكن . وهذا ما لم نشهده فيما دخلناه من بيوت أهلها حاشا أنني دخلت بيت صديق

(١) واحدها غضارَه وهي في اللغة (على ما جاء في المنجد) القصعة الكبيرة «فارسية» وأهل نجد وعسير يطلقونها اليوم على ما نقول له نحن في الحجاز (الزبدية) وفي مصر (السلطانية) .

أعرس حديثاً . فوجدت ملابس العروس وبض الأمته متثرة في المكان للعرض ولما سألت قيل لي هي عادة في أوائل أيام الزواج وهكذا عرفت مثل هذه العادة لدى سكان جبال الحجاز الأدنى للطائف فقد شهدنا زفاف خمس من الصبايا أقيم في قرية الشماعيب من قرى وادي ميسان من بلاد ناصرة عرضت ملابسهن وأمتتهن في أوائل أيام العرس كهذا العرض .

وأهل رجال في خلقهم وأخلاقهم وملابسهم لا يختلفون عن أهل تهامة إلا بأشياء خالطتهم من عادات أهل السراة لتوسطها وقربها من السراة ولا يبعد عن الحقيقة من بعدها من أطراف السراة . ومنذ أن هبطنا من عقبة الصناد أخذ يخالط بعض السحن شيء من السمرة الشاحبة .

ألبسة الرجال والنساء

والملابس إلا النادر مزر وصدرية ذات أكمام والرؤس حاسرة وافرة الشعر غير معقوص ولا مضافور بل مرسل ومفروق من الوسط وحاط إما بفتيل من النبات ذي الرائحة الفياحة أو بسير من الجلد محلى بقصدير (أكليل) . ويضعون في وسط الرأس بل على أحد جوانبه لفة من نبات الریحان يفرسونها بين الأكليل والرأس يسمونها (غرارة) . ولا بد من (المعيرة) الجنينة في الوسط فقليل جداً من لم يحل وسطه ولو بسكين على الأقل .

أما النساء فلباسهن خليط أغلبهن يترى على القميص ولهن بالمآزر تفاخر ومنها ذات الثمن الضالى تجلب لهن من اليمن الأقصى وهي المعروفة عندنا بالمصائف . ويلبسن قصانا أيضاً هي الفساتين المعروفة .



« صورتين يدويتين تمثل بعض قبائل التبرية في لباس الفتوة والأناقة ».

ومما يتفاخرن بلبسه ثياب يسمونها الحلل يتخذونها في الغالب من الحرير
وشكلها كشباب الدرابزون التي كانت تستعملها قديماً نساء مكة . وهي ثياب
واسعة الأردان تتخذ من رهيف النسيج .

ويعتنن في حلين (التي لا تختلف عن حلى سكان جبال الحجاز وكلها من
الفضة والمعدن) . لبس الخللخال ويسمونه « حجل » ، و« الدمليج » ، ولكنهم
يلبسونه في العشد بدل الزند ، ومعظمهم يخرق الأناف لتحليتها بأزرار من

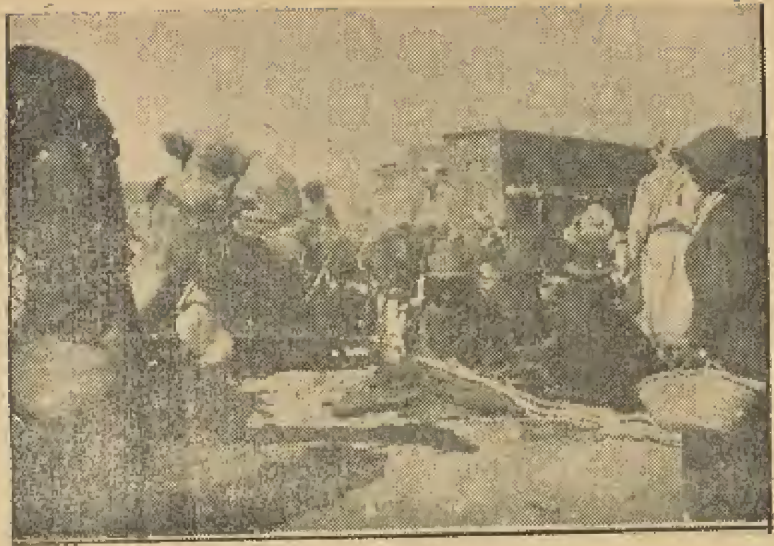


« صورة بدوية أخرى تمثل فتى من فتيان القرية في شكل آخر من اللباس ».

الفضة ، يسمونه « الزمام » . ورؤوسهن مدثرة بالخر ويسمونها « مقالم »
كأهل ابها .

وليس على المرأة في رجال سوى شؤون البيت إلا ما ندر منهن أما
الاحتطاب وسقى الماء فأغلب ما يفعله منهن الفقيرات وطبقة الموالي وهم
كثير في رجال .

ونساء من حول رجال من القرى سافرات ولباسهن مختلف ، فمن كن
من سكان الجبال المصاغبة للسراة فلباسهن الثياب كأهل السراة وهن أنضر
وجهاً وأجمل ألواناً ، ومن كن من أهل الوديان والأماكن الواطئة فلباسهن



« منظر بعض نساء تهامة وعلى رؤوسهن القبعات المستطيلة »

الصدر والمآزر. وبعضهن يلبسن ثياباً واسعة الأكمام والأردان كثياب أهل شقيقط .

وعلى رؤوسهن جميعاً القبعات الخوص التي سبق ذكرها عند الكلام على من يرد منهن سوق ابها ويسمون بها « طفَشَكة » .

والطفشكات على ثلاثة أنواع نوع واطئ واسع الدائرة صلبها ، ونوع طويل واسع الدائرة مع تهدل واين فيها ، ونوع طويل ضيق الدائرة صلبها كأنه برانيط بعض رجال كوريا من اقليم الصين .

وقد لاحظت أن الطفشكات ذات القبعات الطويلة يتخذنها لباسها مستودعاً لما لا تترك المرأة مصاحبتها كالمشط والمرآة والمكحلة فهي تحفيية اليد عند المرأة المتحضرة .

وأغلب أهل قرية رجال من المتكسبة بالبيع والشراء لضيق الوادي لديهم وندرة الأماكن الصالحة للزراعة فيه .



صورة امرأة من سكان تهامة الجبال على رأسها الطفشية .

لغة قبائل ألمع ولهجاتهم

والظمطمانية والكشكشة شائعان في لغة قبائل ألمع عموماً بأظهر نماهي في السراة من جبل عسير ، ويستعملون كلمة الرواح في معناها النصيح بمعنى الأوبة والرجوع مما يشكل فهمه وإدراكه على المكي لأول وهلة للضد في الاستعمال عنده .

ويقولون « ميد » بمعنى أريد ، ومدار النبي في كلامهم جميعه على ليس .

فإذا ساومت إحدى البائعات ولم يوافقها الثمن قالت « لست ميد » أما ما فلا أثر لها في أفواههن مع أنهن يرون « ما قتل المحب حرام » .

ويقولون « أهربت » بمعنى بعثت وأرسلت كأهل أبها ولم أدرهم اشتقاقهم هاتين الكلمتين فقد طالعت مادة (ماديميد) (وهرير) في المنجد فلم أقف على

ما يمت إلى هذا الاستعمال بصفة . ولعل من له إهتمام بذلك أن يفحص في مادتيهما من أمهات كتب اللغة عنه بطلع منها بما يثبت صحة الاستعمال .

ويقولون « سُعَيْلٌ وَ سُعَيْلَةٌ » بمعنى صغير وصغيرة ، ويبدلون النون في ابن وإبنة بالراء فيقولون « امسيلة عرس إبنة فلان على إبنة فلان .
ولهم في حفلات الزواج عادات غريبة بعضها ما يضحك وهاك قصتها .

حفلة زفاف

تنن تنن تنن

تساءلنا ماذا ؟! — فقد خيل إلينا لأول مرة أنها أجراس تدق — فقيل لنا أن عروساً تزف إلى بيت زوجها وأن هذه أصوات المفراز ، الهاون ، يقرع إيذاناً بتحريكها من بيتها إلى بيت الزوج .

كان الوقت قبيل المغرب فتسارعنا نشهد هذه الزفة فإذا جمهرة من النساء عليهن المآزر المزركشة وعلى رؤسهن الخمر ذوات الهدب بألوانها المختلفة والعروس تتهاذى وسطهن على سيارة لكنها من نوع « حارليت » معتمدة من جانب على أحد أقاربها ومن الجانب الآخر على إحدى قريباتها . ومقود الحمار في يد إحدى الموالى يمشى به الهولنا بين ضجيج الزغاريد وقرع الطبول (ولا تنس الهاون فإنه هو أيضاً يرن صوته ويدوى) . إلى أن قاربت بيت الزوج فدوى صوت الهاون منه أيضاً وبرز آله وأقاربه مصطفين ينشدون أناشيد الترحيب والاستقبال .

فلما أن رأى الوجه، الوجه تجلت العروس صامتة لا تتكلم ولا تتحرك « مايش » ما انت ميند ، « » وهي لا تجيب بكلمة .

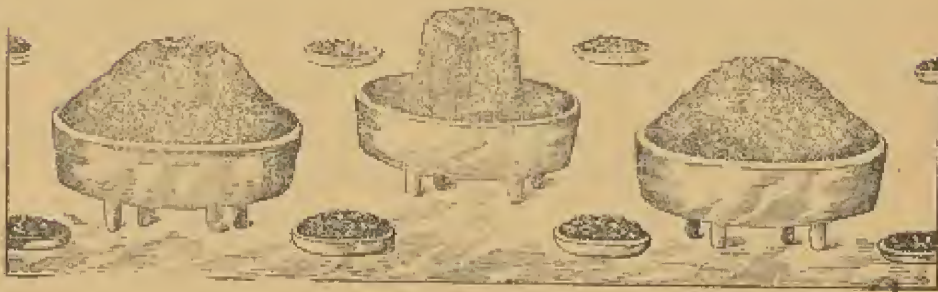
فاختطف أحد الحاضرين ملحف العريس من على كتفه ومدده بساطاً على الأرض ، عندئذ تحركت العروس بالمسير تتبختر على هذا البساط خطوة خطوة ثم وقفت « مايش » فقال أحدهم ما كيفت « تشنى قهوة » تريد قهوة

(١) أى ما بك ؟ ماذا تريد ؟

وفي لمح البصر قدمت لها القهوة ، وبعد أن تناولت فنجانا وهي واقفة وطابت نفسها بما نالت لما يعتبر بينهم من مظاهر التقدير والتكريم — مشت مشياً متباطئاً والزغاريد تعلو والهاون يقرع من الجانبين .

فلما أن بلغت باب الدار برزت من بين الجمع أم الزوج ومولاة لها وأجلست العروس على (أُمَقْحَاذَه) ودارت الألسنة بكلمات الترحيب والتبجيل وأخذت أحدها من تصب الماء والآخرى تفصل قديم العروس ثم دخلوا بها جميعاً إلى الدار .

هذا انتهى الفصل الأول من فصول الزفاف وبدأت الموائد تنصب وهي عبارة عن صحاف خمير الذرة المملوثة بالمرق بعد خبزها ، عليه قطع اللحم المسلوقة ولا تخلو المائدة من بعض أطباق الخضضر المطبوخة .



« صورة بعض الموائد »

بعد أن أكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً بدأ دور الرقص والطبل على اهازيجهم واغنياتهم الوطنية تتخللها زعقات يطلقون عليها « كَجُشْرَةَ الْعِرْسِ » .
 تركناهم في لصهم يخوضون وذهبن . وفي وقت السحر قرع الهاون قرعاً عالياً مدوياً فاتقينا مزيجين من نومنا وسألنا جارتنا العجوز (فقدت تنهت هي أيضاً) ماذا ؟ فقالت لنا أنه جازها . فقلت وما معنى جازها فقالت :

بعد أن ينتهى اللعب وتطيب نفوس اللاعبين منه ويذهبون إلى دورهم يخلى بين العروسين فيمد الزوج يده متلصصاً . « لَا وَرَبِّي مَا حَلَلْتُ وَزُرَّتِي

أو تهب لي عشرين ريالاً ، وبعد مساومات وبيع وشراء وجذب وامتناع يقع الاتفاق على مبلغ ترضاه العروس وهنا يسدل الستار على الفصل الثاني من رواية هذا العرس .

ويسمون ما يدفعه الزوج عندئذ « حَلَّ الزَّوْرَةِ »^(١)

فلما أن جازها على ما وصفت لنا الجارة . علت الزغاريد وبدأ دق الهاون الذي أطار عنا النوم في أعذب أوقاته ، وأخذ المفرش الذي شهد المعركة ملطخاً ونشر على حبل في إحدى غرف الدار ليشبهه في صبيحة تلك الليلة من تجمي من النساء للتهنئة . واجتمعن في ذلك اليوم للضياء واللعب

الببيض فأكش^(٢) وكسوة الحائش^(٣) يا ناشية^(٤)

إلى بدى المورج^(٥) ردى سلفنا يا ناشية

دفرأش^(٦) تيملا ثلاثة فراقق^(٧) يا ناشية^(٨)

أما فلانة^(٩) ييضم وجه ابوها عينو يا شيعه^(١٠) وأتبعوها

وأهل هذه النواحي يعنون بحفلات الختان أكثر من عنايتهم بحفلات الزواج ولقد شهدنا حفلة ختان برجال أقيمت لأحد أبناء أربابها كانت الغاية فيما يفعلون من ذلك .

(١) هذه العادة معروفة في اليمن أيضاً فقد ذكر العلامة الشيخ عبد الواسع النبانى في تاريخه ص ٣٠٤ : ويلزم الزوج أن يدفع للزوجة حق الاقتضا من ليلة الدخلة ويسمى في اليمن حق الصياح ، ويظهر من كلامه أنها في غير ما اشترط ومساومة ، وتذكرت هذه المناسبة بيتاً لشاعر قديم وهو :

قف واستمع ما قاله ملك الهوى لجليسه

تذكرتك الملاح يحلها من حل عقدة كيسه

(٢) فالك (٣) الحالك يا ناشية أى يا صبيه .

(٤) دفرنش يعنى دم بكارتك والفراقق واوحدتها فرق هو ماعون من الخوص

تعباً فيه المنتوجات من الذرة والحنطة والدخن يسع حوالى اربعين كيلو مكية .

حفلة ختان

ففي أول جمعة من جمع شهر ذى الحجة ونحن خارجون بعد الصلاة من المسجد لحظت قتي في اقبال من شبابه وديناه يسعى نهبا بخطى سريعة متوجها نحو احدى الدور لفت نظري اليه متزره الحريري المخطط اللامع والصديري من الحرير الأخضر وشعره المرجل في تمام الزينة وما يحمله من سيف مقفص ذى حائل حريرية ظننته لأول وهلة عروسا في صبيحة ليلة الزفاف ولما سألت عنه قيل لي إنه ابن أحد تجار القرية وأن أباه يريد أن «يُعَلِّيه» بعد عيد النحر تذييلا واستكمالاً لأفراح العيد . فقلت يعليه ماذا ؟ أرفعه على قمة جبل من هذه الجبال ؟ فضحك محدثي وقال بل يختنه والختان عندنا إعلاء وترفيح فان الشخص لا يعتبر رجلا يسرى عليه ما يسرى على الرجال إلا إذا ختن ولو بلغ سنه خمسين سنة (١) وسيقام لهذا الولد «هُود كَسِيرَ قَايت» (٢)، فقدد دعى اخواله من الشام والشام عندهم كل ما كان في الجهة الشمالية مما يليهم وفي مساء هذا اليوم قرع الطبل ، والطبل اذا قرع في مثل هذه القرى تسابق اليه الناس وبعد برهة وجيزة من قرع الطبل برز الشاب من بيته وانضم اليه من اجاب الداعي وأخذوا في الرقص واللعب على طريقتهم ، قفزات بهلوانية

(١) اعرف مثل هذه العادة والتقليد في بعض قبائل هُذَيْل الفاطنة على بعد ثلاث مراحل من مكة وجنوبا عنها بما يلي سفوح جبال السراء ، فانهم لا يعتبرون من لم يختن كامل الرجولة يجب عليه ما يجب على الرجل الكامل بل لا يحق له أن يرجل شعره على عادتهم فتكون له حفة كحفة النساء ولو بلغ أربعين سنة وكان له أولاد، ويسمون الأغلف ومرغول، وكثيراً ما إذا هبط أحدهم إلى مكة ببعض متوجاتهم من الفصح والحطب وما شاكل ذلك وأراد بعض أوباش أهل السوق أن يطنز عليه ناداه «يا مرغول» أو «يا (أبو رغلة)» فيجن جنونه ولو وجد سيلاً لقتال من يقول له ذلك قاتله ، وهم أيضا في عملية الختان ويسيرون على طريقة قبائل المع التي سيأتي وصفها : (٢) هود بمعنى حفل وقايت بمعنى فاتق .

وركض في ميدان اللعب وضرب بالأرجل على الأرض، حالة لم أذق لها طعماً .
ظلت هذه الألعاب دائبة أحياناً ليلاً وأحياناً نهاراً حوالى عشرة أيام
طلعت أثناءها إلى ابها منتهزاً عطلة العيد لمخاطبة الأهل والأصحاب باللاسلكى
ومبادلتهم التهانى بعيد الأضحى .

وفي أثناء وجودى بابها حدث يوم السبت ١٢ الحجة سنة ١٣٥٩ زلزال شديد
تصدعت فيه بعض البيوت والمباني المستعدة للتصدع وتواردت الأخبار في
أمنية ذلك اليوم بأثره الشديد في بعض الجهات التي حول ابها مما يلي الجنوب
فقد قيل لنا أن الكثير من الأطوار ومشارف الجبال تدكدكت على بعض
الرعاة والمخنطين فأودت بهم وأن أشد أثر للزلزال حصل على الحدود اليمنية
وفي البلاد اليمنية نفسها .

وأذاع الراديو في تلك الليلة أن زلزالاً شديداً وقع في جهة « أدنه » من
بلاد الترك على الحدود السورية .

ولا أطيل القول عن هذه الكارثة الطبيعية فحسبنا ما نحن فيه من زلزال
الافكار وما يقرع الأسماع من أهوال الحرب القائمة وفظائع القتال ، ولأعد
لوصف حفلة الختان . فقد كان من محاسن الصدق أنني رجعت من ابها إلى
(رجال) في صبيحة يوم الختان .

وقال لي الرفاق إن أمس كان يوماً مشهوداً في برناجهم .

فقد قدم أخوال المحتفل باختنانه من الشام . وما أن بدت تبشير مقدمهم
من أعلى عقبة « رز » ، المشرف على القرية حتى تجمع أهلها وأعيانها واصطفوا
وسط الوادى مسلحين في أكمل زى يروونه وهرع المحتفل به بصحبه قارعو
الطبول واستقبل أول دفلة منهم وعاد بهم والطبول تقرع وهو محمول على
أكتاف عبد من العبيد فحيا وحيوا وتقدم أحدهم واستدعى المراد ختنه وقال
إِنْ مَا جِئْنَا بِهِ شَيْءٌ مَا يُذَكِّرُ فَأَحْمِلُونَا عَلَى السَّلَامَةِ) .

ثم تقدم شخصان وأمسكاً بطرفي إزار حريري^(١) فاخر نشراه وأخذ مقدم من أتى يلقي فيه بالريال إثر الريال ومُصيح^(٢) القرية يعد ذلك . وكلما بلغ العدد عشرة رفع صوته بها عالياً إلى أن بلغت الريالات المطروحة ثلاثين ريالاً فطوى الأزار وعاد الولد وأتى بالدلفة الثانية على ما سبق من الوصف .

كان في الدلفة الثانية جد الولد لأمه وبعد عبارة طالب التجاوز والمساحة وأن ما أتوا به من عون ليس بالشئ المذكور وأنه لا يساوى حتى قيمة ثور قد أرادوا إخفاه لولا العادة والتقاليد .

نصب المئزر . وأخذ المقدم يلقي فيه بالريال تلو الريال ومُصيح القرية يعلن العدد ، حتى بلغت ثلاثمائة ريال فرانسي وبذلك انتهت مراسم الاستقبال وذهب الضيوف إلى ما أعد لهم .

وفي صباح اليوم التالي قرعت الطبول وبرز الشاب في زيه الذي وصفته لك لأول مرة مستلاً في يده جنية يلعب بها وسار مخفوفاً بأهله وذويه في أيديهم السيوف وعلى أكتافهم البنادق وصوت الزغاريد ينبعث عالياً من الأماء والنساء المشتركات في الحفل بأيدين المناديل كالرايات يلوحن بها إلى أن وصلوا ربوة في أحد شعاب الوادي .

طفر إليها الفتى وأحرق به أهله وذووه وأبعدوا غيرهم من الحشد وقشع عنه المئزر الحريري وألحف بقطعة من « الدوت »^(٣) وجاء الختان .

وهنا علت صيحات من حوله بكلمات التشجيع هازين في وجهه السيوف « محمد يا محمد كمجمل يا محمد » .

فأفرج محمد عما بين نخذه وجمد في مكانه جاحظ العينين مأخوذاً بما حوله وتقدم الختان بمدة طولها فتر لا أدرى مبلغ حديثها ثم قبض على جلدة نحو

(١) المعروف عندنا (بالمصنف) (٢) « المنادى »

(٣) هو الدمور في اصطلاح المصريين

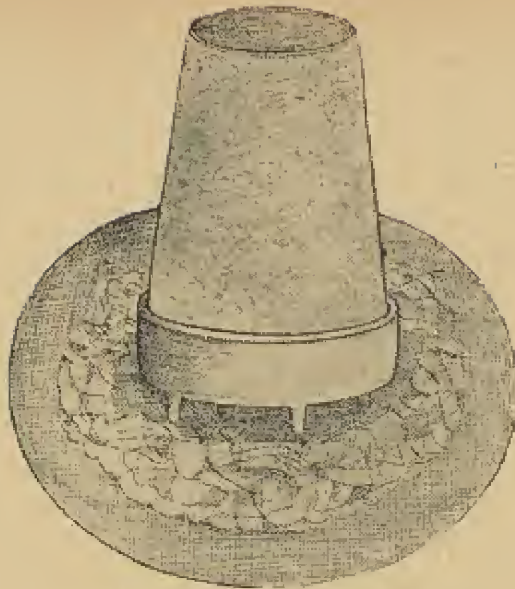
تلقى القضيبي من الأعلى فاجزها بسرعة ، ثم تناول مثل ذلك من الأسفل وجزها فتدفق الدم والولد مبلق عينيه إظهاراً لثبات الجنان وعندى أن ذلك ثبوت الجنون فليس هو إلا في حالة فقد الشعور والإحساس مما توالى على مسامعه من الصيحات والزعقات وما توجيه إلى نفسه من خزي الدهر لو طرفت له عين أو بدا عليه شيء من الاضطراب « منوم نفسى قام مقام البنج » ، عندما انتهى الحائن دوى صوت البنادق وصاح من حوله « بَجَلْ بَجَلْ » ، ثم انهال الحشود من الربوة فى رقص ولعب والولد المسكين يرقص بينهم غير آبه بما يتدفق منه من الدم إلى أن توسطوا الوادى ورقصوا برهة ثم نادى المنادى يدعو من حضر لحضور المأدبة .

فساروا وسرنا وراءهم فلما شارفوا البيت تجدد الرقص فى شكل دائرة رقص الولد فى وسطها يشاركه أبوه أحياناً وجده لأمه أحياناً كأن ذلك من تقاليد العادة .

انتهى اللعب وأخذ الولد إلى مقر الحريم ، وسبق المدعوون إلى غرفة المائدة زمرة زمرة كلما انتهت زمرة أدخل غيرها .

المائدة الألمعية

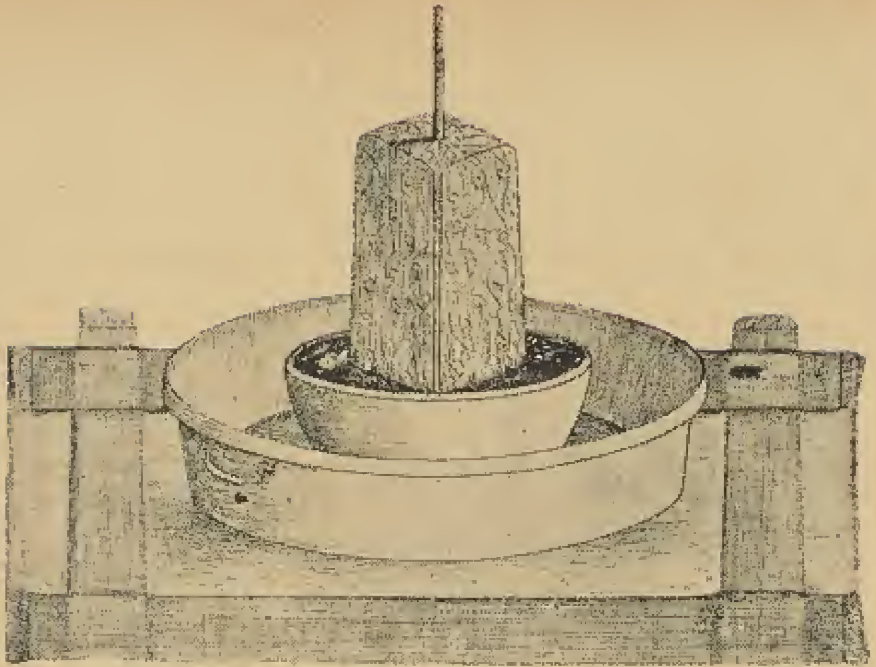
وكان الطعام من الدخن على طريقة ألمعية لا يماثلهم فى صنعه أحد من القبائل فى تلك الجهة كما قيل لنا . وذلك أنهم يخبزون عجين الدخن أقراصاً ثم يدهكونها بالأيدي إلى أن تختلط وتكاد تعود عجينة كحالتها قبل الخبز . ثم يأتون بصحفة من الخشب سعتها بحسب كمية الطعام المعجون من خبز الدخن ثم يكبسونه فيها كبساً قوياً متعالين به على شكل مخروطى واسع الأسفل ضيق الأعلى قليلاً فإذا ما استوعبوا وضع الطعام فى الصفحة جعلوا فى أعلاه قدحاً من الخشب غاطساً فيه ثم يملأه سمناً ويجعلون الصفحة وما حوت وسط « مفتة » مفرش مستدير من الخصر ويحيطونها بقطع اللحم المسلووق ويسمون هذا الغذاء مَرَزُومَةً .



صورة يدوية لطعام « المرزومة » .

وطريقة الأكل من أسطوانة الدخن هذه هي أن يدعى الحاضرون إلى
الحجرة القائمة فيها الأسطوانة جماعة جماعة بقدر ماتسع دائرة المفتة فيتناول
كل منهم قطعة بقدر مسكة الخمسة الأصابع ويغمسها في قدح السمن ويردفها
بقطعة من اللحم المسلووق المنبت حول الصفحة وهكذا حتى ينتهى الآكلون
وتهدم الأسطوانة. وقد تعدد الأسطوانات بحسب كثرة المدعوين أو قلتهم.
وفي صبيحة اليوم الثانى دعينا إلى فطور من طعام يسمى « المؤزرّة »، صنعه
أحد أبناء عم المختون وهو خاص بالقبائل الألمعية أيضاً .

وصنعته أن يخبز دقيق البر ويصنع به كما صنع بالدخن إلا أنه يجعل برجا
مربعاً تغرس أحيانا فى وسطه عصا تبدو من أعلاه ويوضع السمن فى الصفحة
الموضوع فى وسطها الطعام فإذا ماتهى المدعوون للأكل صب العسل من أعلى
البرج إلى أن يسيل ويختلط بالسمن فى أسفله .



صورة يدوية لأكلة المؤزرة كما شهدناها

أكلنا منه كما أكلنا من أسطوانة الدخن بقدر ما ساغ لنا وسألنا عما ذا فعل
بالمختون وما هي طريقة تلافي تلك الجراحة ومعالجتها فأعلمنا أنهم يقعدون
المختون ثم يربطون احليله على ما به من جراحة بحبل مما يلي الحشفة ثم
يشدون ذلك الحبل إلى عصا توضع في مقابل مجلسه ولا يزالون يافون عليها
الحبل شيئاً فشيئاً ما طين بذلك القضيب إلى أن توتر عصبته مما يلي الشعر .
يتلافون بهذه الطريقة تقلصه وانكاشه بعد أن تقشع عنه الجلد .

والعلاج الذي يستعملونه لهذه الجراحة ورق نبات يسمى « الصلغ » .
يدهنونه بالسمن وبعد أن يبخروا القضيب بروت البقر الجاف يستخون
الورق على النار ويلفون به القضيب ، ثم يعصبونه بقطعة من القماش بالضمير
والتعقيد ليحتفظ بحالته التي مطوّه بها بعد اطلاقه من الحبل السابق ذكره وقد
يبطى شفاه بعضهم إلى عدة شهور بل سنة .

فتصور ما يحسه المختون من آلام شديدة من هذه العمليات في الحتن والعلاج وما كان اغناهم عنها لو اقتصروا على المسنون والمتعارف ولكنها الجبال والعادة وما لها من سلطان قاهر على النفوس وقد قيل لى إن بعض القبائل منهم ومن غيرهم فى تلك الجهات لا يقتصرون على إزالة جلدة القضيب وحده بل يبدؤن السلخ من أعلى العانة حتى لا ينبت بها الشعر^(١)

مقبرة رجال وحفلات المأتم

ومن أعسر الأشياء وأشقها حفر القبور فى البلاد الجبلية فهى مصيبة تعترض فى مصيبة الموت

فمقبرة رجال -ويسمونها « المَجَنَّة » لضيق الوادى وكونه عرضة للسيول فى أغلب الأحيان - قائمة على صفيح جبل من الجبال المشرفة على القرية وقد مات بعض نساءنا ونحن بها فظل ذووها يحفرون القبر من الصبح حتى العصر وأهل قرية رجال يسمون الجالوس للعزاء « فِرَاشَا » فبعد أن ينتهوا من الدفن يذهب المشيعون إلى بيت المتوفى ويتلاحق بهم من لم تسعفه ظروفه بالمشاركة فى التشييع وهناك توزع عليهم أقراص خبز الذرة والدخن يأتى بها أولياء المتوفى وجيرته مشفوعة بالقهوة .

ويستمر العزاء على هذه الحالة ثلاثة أيام فى نهايتها يقرأون ويهللون ويختتم الحفل بدعاء للبيت وتوزع على من حضر أعواد الرجمان الطرية وتنتهى مراسم العزاء والمأتم .

(١) إن الحكومة الحاضرة تحظر هذه العملية وتندب فى مواعيد الحتان من رقب العمل على الوجه المسنون فقط وإذا علمت أن شخصا أجراه على العادة وخالف الأمر جازته ولكن هذه العادة متأصلة ولها عندهم مقام فهم يتوسلون بكل ما أتوا من حيلة فى سترها والجري بها على مألوف عاداتهم والأمر يحتاج الى مزيد من الحزم والعناية والقسوة فى الجزاء .

وفسا ليزدجروا ومن يك حازما فيلقس أحيانا على من يرحم

رِجَالٌ فِي رُجَالٍ

وقرية رجال على ما قيل لنا لم تنشأ قبل عام الألف وأن أول من بنى فيها رجل من أهل مدينة « بيت الفقيه » من مدن تهامة اليمن يسمى موسى بن جثم ، من ذريته الحفاظية بعض سكان رجال اليوم .

وأول من نجم فيهم واشتهر أحد أحفاد موسى ويسمى الشيخ بكرى وهم يعدونه الجد الأعلى لأسرتهم وكثيراً ما تنسب القرية اليه فيقال قرية الشيخ بكرى .

ومن الشائع بينهم في شأن تأسيس القرية واطراد العمران بها كثير من الأساطير ، والحفاظية الآن يناهزون المائة وهم بيت علم ولهم حرمة ومكانة بين قبائل المع موروثية عن أسلافهم فقد كان فيهم علماء اعلام متكلمون ومنهم من ناصر الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عهد آل سعود الأول، وسعى في نشرها بين قبائل المع وألف فيها الرسائل والقصائد^(١)

ولكل واحد منهم الآن حق التلقب بالفقيه، ولو كان أمياً فكثير منهم يمتن الآن البيع والشراء وبعضهم متكلم على ما لأسلافه من حرمة دون التصدي لها والتخلي بها بصدق وحق .

ولوجود مثل هؤلاء لاسيما المتعلمون منهم فائدة تذكر في تخفيف أثر الجهالة وما ينجم عنها خصوصاً بين قبائل بدائية تكاد تكون متوحشة مثل قبائل المع فتسرب أفراد هذه العائلة بين القبائل للأرتزاق بالوعظ والارشاد فيه على الأقل استبقاء صور الديانة وعلوق بعض تعاليمها في أذهانهم .

ومن أميز من عرفته منهم قاضى رجال بل وقبائل المع عموماً الشيخ ابراهيم زين العابدين الحفظى وهو شيخ في آخر سن الكهولة بشوش الوجه خفيف الروح على جانب وافر من الذكاء الفطرى والممام تام بفقه الشافعى

(١) وهم الأستاذ فؤاد بك حمزة فى كتاب « فى بلاد عسير » ، صفحة ١٥٤ بأن جعل الحفاظيه من السادة ويعنى بذلك من العلويين فالصحيح ما ذكرته كما قال لى ذلك الشيخ زين العابدين قاضى رجال .

عبادة ومعاملة ، ومعرفة بالعربية والشعر لها قيمتها هو بذلك كوكب الحفاظية
اللامع وبدرهم الساطع

ومن ألقاه وألفنا ابنه محمد الهلالى شاب وافر الأدب حى حرص أبوه
على تعليمه بما استطاع وقد عينته المعارف أستاذا بمدرسة محال
ومن أنبل من عرفناهم برجال الشيخ فايح بن ابراهيم أحد تجار القرية وعين
أعيانها فقد نالنا من عطفه ورعايته لنا وحسن تقديره ما اوجب له علينا
جزيل الشكر .

قرى قبيلة المع

وحدود منازلهم

وقرية رجال أعمر قرى قبائل المع وأكثرها سكانا وحضارة ويلها
في ذلك قرية الشعين ثم البتلية
أما باقى القرى فهي عبارة عن بيوت متناثرة فى صدور الأودية وشعاب
الجبال وتبلغ نحو أربعة وثمانين قرية
وآخر ما تترامى اليه منازلهم من الشرق مشارف الجبال التى تخص سكان
السراة وقبائل عسير ، ومن الغرب ، قرية المجمعة وما يوازيها ، ومن الشمال ،
منازل صحر وبنى المهمل ، دون محال بقليل ، ومن الجنوب ، الجرفقة على
مقربة من وادى عقبة ضلاع ممتدة إلى قرب درب بنى شعية

منتوجات بلاد المع

ومن حاصلاتهم مختلف أنواع الحبوب . فى الأماكن العالية المصاوبة
للسراة تزرع الحنطة وما يزرع عادة فى الأماكن الباردة المرتفعة وفى الأودية
الواطئة تزرع الذرة والدخن والسمسم ، والذرة أغلب ما يزرعون وفى بعض
الصدور الغربية لجبالهم يزرع البن ولكن بكمية قليلة ، وأغلب ما يوجد فى جبل

صلب وفي وادي تاد وقرية المزار بواي حسوة وفي جبل القارية وقرية
شديدة وبني عبد شحج

ومن حاصلاتهم العسل بسائر أنواعه والوانه ومنه الجيد الذي لا جيد بعده
والجمال والبقر والضأن قليل في مواشيهم بالنسبة للماعر

قبائل ألمع

وقبائل ألمع (١) سبع قبائل تنقسم إلى قسمين قسم يقال لهم ألمع الشام وقسم
يقال لهم ألمع اليمن ويعنون بالشام من يسكن الجهة الشمالية وباليمن من يسكن
الجهة الجنوبية .

فمن يسكن الجهة الشمالية منهم :

- ١ — « بنو قطبة » وحاضرتهم الشعبين .
 - ٢ — « بنو ظالم » وحاضرتهم رجال .
- ويطلق على بني ظالم وبني قطبة أم رفق يعني الرفقة ،
ويسكن الجهة الجنوبية منهم :

١ — « بنو زيد » .

٢ — « صلب » .

ويقال لهاتين القبيلتين « بنو بكر » .

(١) ذكر صاحب كتاب في بلاد عسير، صفحة ١٥١ عند الكلام على قبائل ألمع
قوله أما القبيلة نفسها فلم أستطع التثبت من كونها قبيلة : ألمع : أو إنها قبيلة « آل
مع » كما أرجح ثم حذف فأصبحت ألمع : وهذا وهم منه وترجيح لما لا معنى له فإن ألمع
من الأسماء العربية فقد جاء في كتاب سبائك الذهب للسويدي صفحة ٦٦ قوله : ألمع
بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الميم ثم عين مهملة بطن من بني مزريقا من الأزد
وألمع هو عمرو بن عدي بن مزريقا أحد ملوك اليمن المشهورين وسعى مزريقا لأنه
كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما بالعشى استسكافا أن يلبسهما غيره والألمع
والألمعي كما جاء في القاموس (الذكي المتوقد)

٣ — « بنو جوكنة » .

٤ — « بنو قيس » .

ويقال لهما بنو مسعود .

٥ — « شحب » وهذه القبيلة أكثرهم عددا .

وكل هذه القبائل تنفرع إلى بطون وأنفاذ يطول شرحها وتفصيلها ، ويبلغ عددهم على ما قيل . لنا حوالى ثلاثين ألفاً وفيهم من المقاتلة ما يربو على ثلاثة آلاف ويعبرون عنهم بـ « الشوكة » وجميع قبائل الملح الآن تحت إمرة أمير واحد وهو الآن محمد بن زيد من أهل نجد مرتبط إدارياً بأمانة أبها وفي كل قرية وقبيلة نائب وشيخ من نفس القبيلة أو القرية ومقر الأمانة قرية الشعبين حاضرة بني قطبة ويرجعون في القضاء إلى قاضي رجال وهو وإن تكن إقامته في رجال فجلس القضاء يعقد في الشعبين بين يدي الأمير وغالباً ما يكون في يوم السوق من كل أسبوع ومع القاضي موظف آخر يحمل لقب كاتب العدل مهمته تحرير صكوك المبايعات والقرارات المحضنة ، أما المحاكمات في الغالب فليس لها سجل ولا صكوك إلا ما ندر من مهم القضايا وما تدعو الحاجة إلى تسجيله .

جلسة محاكمة

وقد أتيت لي فرصة حضور بعض جلسات المحاكمة كان القاضي يجلس فيها على المصطبة بجوار الأمير والخصمان بين يديه على الأرض . وقد أكبرت في القاضي ما كان يتخذه من الدقة والتلطف في استظهار الحقائق بحصافة تامة فكثيراً ما كان أحد الخصمين يروغ ويدخل ويخرج من « زقاق الملص » كما يقولون مما دل على خبرة القاضي الوافية بطبائعهم وموطن الضعف في مداركهم .

التحية الأملية

ولا يفوتني قبل أن أنهي القول عما عرفته من أحوال قبائل ألمع أن أذكر لك عاداتهم في التحية فإن الرجال أحياناً يكتفون فيها بعد السلام بالمصافحة وأحياناً يقبلون رؤوس بعضهم البعض زيادة في التعظيم .

أما النساء فأحياناً يقبّلن أفواه بعضهن وأحياناً يقبّلن أيدي بعضهن لا فرق بين أن تبدأ الكبيرة الصغيرة بذلك أو العكس ، ومن التقاليد التي لها حرمة عندهم وعند قبائل عسير أيضاً رعاية السّمى والالتزام نحوه بحقوق لا تجب للخير ، وذلك إذا ولد لأحدهم ولد وطمع أبوه في محالفته لشخص ذي مقام في القبيلة أو في غيرها من أحلافها سماء باسمه وكنيته ولقبه وبعث إليه يخبره بذلك وعندئذ يكون المسمى باسمه ملزماً باكسائه وزيارته وإذا كبر عد حليفاً ، له ما للحليف من حقوق وواجبات .

إلى الوادي الخصيب

دخل فصل الصيف وانتهت المدة المحددة للدراسة وأقفلنا المدرسة بعد أن أجرينا الاختبار النهائي للطلبة وشاركنا فيه فضيلة القاضي وأمسي لدينا متسع وفراغ من الوقت وقد سبق القول بأن (وادي ثاه) من أخصب أودية قبائل ألمع وأوفرها مياهاً وأطيبها مناخاً لارتفاعه فتأقت النفس للوصول إليه ومشاهدته ، ولكني مع الأسف قد فشلت في ذلك وعدت من نصف الطريق أجز ذيل الحنية وانقصص مرارة العجز عن تحقيق الأمنية .

فاني بعد أن قطعت حوالي أربع ساعات في الصعود إلى متن جبل لا يقل ارتفاعه عن ألف متر أتساق الطريق إليه أحياناً وأحبو أحياناً — اعترضني طريق فيه على حافة هاوية لا تقل عمقاً عن خمسمائة متر ولا يزيد عرض الطريق وسعته فيها عن موضع القدم أو موقف الانسان وما أن خطوت فيه بضع خطوات حتى أخذني دوار كدت أهوى معه الى الأعماق لولا رفيق سايرته في طريق من رجال يقصد سوق الوادي ، وكان يمشي خلفي مصادفة

فصدني على صفح الجبل من الناحية الأخرى وأمسك بذراعي ، وسحبني إلى موضع فسيح تركناه خلفنا .

لولا ذلك لكنت اليوم في العالم الآخر فحال أن أصل القاع وفي عرق يبيض أو عضو سليم .

في هذا المسير لمست عظمة خلق الجبال وروعة منظرها وما هي عليه في هذه البلاد ، وأدركت بيقين صدق تسمية هذه الجهات بعسير ، وعذرت أهلها فيما كنت أسمعه منهم من شدة الغرور والاعتزاز بها .

أمنية وأمل

وسبح الخيال واستعرض ما نحن عليه سكان المدن المتحضرة في الحجاز من رخاوة وطراوة وضعف لا تقوى معه على مواجهة ما تسوق إليه أحيانا بعض ضروب الحياة وواجهات الوطن ، وتمنيت لو تقوم بين شبابنا اليوم فرق للكشفة لما في تعاليمها من الثمر وإيجاد القدرة على مجابهة مثل هذه الأحوال وغيرها .

كان بعد أن انتشلني رفيقي أن آوي بي إلى بيت لامرأة عانس في بعض حواشي الجبل على أن أنتظره إلى أن يعود من السوق ثم نرجع سوية إلى رجال ، لكن بعد أن تركني وذهب ضقت بالبقاء لما أنا فيه من ألم الخيبة ولما كان يقرع سمعي من حين لآخر من صوت هبوب الرياح وصفقها بين جوانب الواديان المحيطة بهذا المرتفع الذي عليه البيت فقد كانت على غاية من الشدة والازعاج . فقلت المرأة هل لك في مرافقتي إلى أن نهبط أول وادي الميل ، وقد كان طريقنا منه إلى هذا الجبل ، ثم تبحثين لي عند بعض سكانه عن حمار أستأجره منهم إلى رجال ، فأجابتنني إلى ذلك وسرنا وأخذ منا الطريق إلى أول الوادي حوالي الساعة والنصف ، وقالت لي المرأة بعد أن وصلنا الوادي لو لم تكن معي لما أخذتني هذا الطريق أكثر من ربع ساعة فازددت بهذا القول خجلا على خجل .

العطلة المدرسية — إلى مكة

عدت إلى رجال وظللت بها نحو أسبوع وكنا نتخذ أنا ورفقائي أسبادة المدرسة من التريض في أمسية كل يوم بين الجبال وعلى الروابي القريبة من رجال متعة وسلاوى ثم آنست من رفاقي رغبة في قضاء العطلة المدرسية بين ذويمهم بمكة فحرك ذلك كوامن الشوق في نفسي لرؤية الأهل والأصدقاء في البلد المقدس فاتفقنا على المزاولة في الطريق على أن نعود عند ابتداء العام الدراسي الجديد سوية .

وكان من محاسن الصدف وحسن الحظ أن اعترم الصديق الكريم الشيخ إبراهيم إسلام مدير مالية أبها السفر إلى مكة حيث رقي إلى وظيفة أعلى فدعانا إلى مرافقته. وهياً لنا الكثير من أسباب الراحة وبذل من العناية والرعاية ما جعلنا عاجزين عن شكره .

وفي يوم ٢٦ جمادى الثانية سافرنا من أبها ولم يكن طريقنا في هذه المرة عن قرية خميس مشيط بل جد طريق آخر سلكناه إليه من جبل « شيسان » الواقع في الشمال الشرقي من أبها حيث يمر بوادي « ابن كھشبل » ولا يمر بقرتي تندحه وخيبر التي سبق القول عنهما بل ولا يلتقي الطريقان إلا في منعطفات وادي « الهرجاب » وهي التي وصلنا إليها في مأتانا ليلاً وصل السائق فيها واضطررنا للمبيت كما سبق القول ويمتاز هذا الطريق بأنه أخف وعورة عما بين قرية خميس مشيط وأبها وأنه أقصر في المسافة ببضع كيلو مترات

روضة بن غنام

وبما مررنا عليه في رجعتنا هذه روضة ابن غنام التي سبق ذكرها وكانت السماء قد جادت على المكان بوابل من الغيث فكسا الأرض حلة زاهية وكان نبات الحشيش المعروف عندنا (بالقبأ) يرتفع نحو نصف قامة الرجل وقد أصفر سنبله الزغبى البراق الشديد اللمعان من لفتح الشمس وحمارة القيظ .
(٧ - كتاب الرحلات)

كلما هبت عليه الريح تماوج وتخرج وبدا في منظر فاتن غاية في البهاء والرواق ، حتى أشجار الشوك فقد أمتست مخضرة وجميلة في نوعها مما جعلنى أعطى كل الحق لأهل هذه الجهة في إطلاق اسم الروضة عليه

العودة إلى رجال

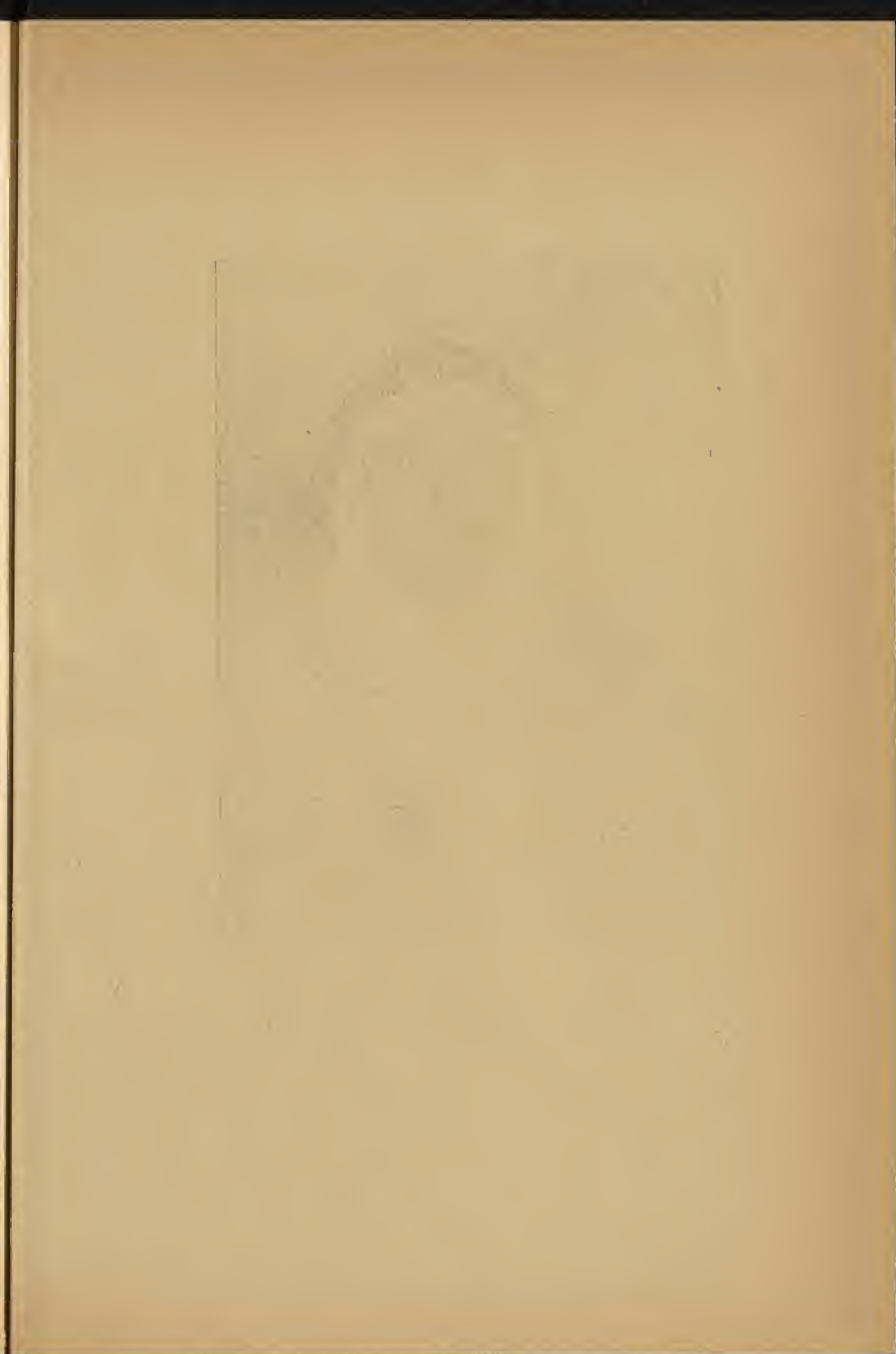
قضينا أيام العطلة بمكة . وفي ليلة السبت الرابع من شوال بارحناها إلى الطائف في طريقنا إلى أبها على سيارة من سيارات البريد وكان المفروض أن نستانف منه السفر صباح السبت ولكننا ظلمنا فيه إلى يوم الأحد لأسباب خارجة عن إرادتنا وإرادة السائق والسيارة فلم يكن بها أى عطل مما لا يتفق وما يجب أن يكون عليه المسمى بالبريد .

غادرنا الطائف في ضحوة النهار ونشط السائق في المسير فلم تتوقف حركة السيارة إلا على ضفاف وادى يبش حوالى الساعة العاشرة بعد منتصف الليل فهجعنا على ضفاف الوادى وفي الصباح من يوم الاثنين دخلنا قرية الروشن . وظلمنا بها بقدر ما تزود السائق من البنزين وغيره وتناولنا الشاى ثم سرنا إلى (بئر بن سرار) على بعد حوالى ثلاث ساعات بالسيارة عن قرية الروشن فقلنا بجواره وأكلنا ما طبخناه ، وقبل المغرب فارقنا بئر بن سرار نقصد أبها ولم يتوقف سيرنا بأى عائق حتى وصلنا سفح جبل شمس حوالى الساعة الثامنة بعد منتصف الليل فبتنا فيه إلى الصباح ثم دخلنا أبها بعد أن أشرقت الشمس بقليل وعلى ذلك الجملة ما أمضيناه من الوقت منذ بارحنا الطائف إلى أن وصلنا أبها نحو تسعة وثلاثين ساعة منها حوالى أربع عشرة ساعة قضيناها فى الإقامة بين قرية الروشن وبئر بن سرار وسفح جبل شمس مما دل على جلد السائل وكفائه فى مهنته .

ومن المصادفات الحسنة فى هذه السفره أننا لم نزد فى السيارة عن خمسة ركاب مما كنا معه فى راحة تامة رغم مشقة السير وسرعته . وأقنا فى أبها يومين ثم هبطنا رجال إلى ما نحن بسبيله



الصديق الكريم الشيخ ابراهيم اسلام



حاجة في نفس يعقوب

لما كنت بمكة كلفتني مديرية المعارف بالتفتيش على مدرستي قريتي محال والنماص والوقوف على سير الدراسة بهما والنظر في شكوى قدمها مدير مدرسة النماص على أحد الأساتذة بها . فكان ذلك فرصة أتيت لي للوقوف على أحوال تلك الجهات ومشاهدتها . وكانت محال أقرب إلى مقرى من النماص وهى حارة المناخ وقد أشرف فصل الخريف على الانتهاء وكاد الحر أن ينزل فبادرت بالتوجه إليها

رحلة الشتاء — إلى محال

وفي يوم الأربعاء ٢٨ القعدة سنة ١٣٦٠ هـ سمعت (١) على حد تعبير أهل رجال في صحبة بعض المتسوقة للبيع والشراء في سوق الربوع (٢) وهو سوق يقع في منتصف الطريق تقريباً بين رجال ومحال . وبعد أن اجتزنا عقبة رز وهبطنا قرية الشعين ملنا شمالاً وأخذنا الطريق من وسط وادي (حلي) وهو واد من أخصب الأودية وأفسحها مزارع وفي أثناء سيرنا مررنا بقرية « عسالف » ثم قرية « الجرف » عن يسار الطريق ومنازل قرية « الهنا » عن اليمين وبعد ثلاث ساعات وصلنا (سوق الربوع) وهو سوق يقام يوم الأربعاء من كل أسبوع على عادة أسواق البادية خاص بأهل تلك الجهة وما قاربها . مكانه على ربوة في جانب الوادي في طرفه بعض المقاهى . والمقهى عبارة عن خدص لا يدخله المرء إلا راکعاً ولا يحجب الشمس إلا كما تحجبها الفرايل . وهى مطاعم أيضاً فلا تخلو واحدة منها من قصعة مترعة بخمير الذرة وتور لحبزه أقراصاً أولاً بأول حسب الطلب وأرحبها لا يتسع لأكثر من ستة أشخاص يجلسون القرفصاء .

(١) الجمجمة والجمجمة أول مآخير الليل (٢) الربوع بمعنى الأربعاء فإن أهل مكة وسائر سكان جبال الحجاز وعسير ومن اليهم يقولون الربوع بدل الأربعاء والثلاث بدل الثلاثاء .

أقمنا في واحدة منها بعد أن حجزناها (أنا ورفيقي) لنا خاصه بقدر ما تناولنا فيها طعام الإفطار ثم قبل الظهر بساعة شددنا أمتنا على الحميز واستأنفنا المسير . جادين تارة من وسط الوادى وآونة على حواف سفوح الجبال الممتدة على ضفافه . ولم يكن الطريق يخلو من مناطق يتكاثر فيها شجر الأثب والسدر والجميز وشجيرات المص وكثيراً ما صادفنا شجيرات الزقوم على شكل كتل ملتصحة في بعضها مستقيمة الأغصان كأنها العصي المنتصبة . إلى أن وصلنا بلاد بنى ثوعه بعد أن مررنا بمكان يعرف بالسحر .

كانت الشمس قد أذنت بالغروب وكان السير المتصل قد أضنانا فرأينا النزول ياحدى القرى المجارة على سفح بعض الجبال لأداء صلاة العصر والمغرب واستعادة بعض النشاط . فقصدنا قرية تسمى القاعد وهى تتبع آل غنيسه - نخذ من بنى ثوعه - تشرف على واد فسيح واسع الرقعة جيد التربة مزارعه جميعها على الأمطار ولا تبعد عن محاليل بأكثر من نصف ساعة فأضواء محاليل ترى منها ايلا وأهلها سمر الألوان كأنهم (الجببرت)^(١) وكاننا في قرية من قرى أواسط أفريقيا صلينا المغرب وتناولنا ما هيا لنا أهل المنزل الذى آوينا إليه من القهوة وسرنا . وفي الساعة الواحدة بعد الغروب دخلنا محاليل

في محاليل

ومحاليل قرية لا يتجاوز سكانها الألف معظم بيوتها من طابق واحد من الحجر تتخللها بعض العشاش (الأكواخ) عدا ثلاثة أو أربعة بيوت كانت من طابقين ، شوهاى المنظر كريمة المرائى لاطنف لأسطحها والكثير من أعواد سقوفها بارز عن حيطانها يزيد بها بشاعة . ومعظم حظائر البيوت

(١) قبيل من الصومال

من أعواد شجر المض اليابس البشع المنظر . وجعلها ملتف على جبل واطى .
يبرز من سلسلة الجبال المخدقة بوادى القرية يسمى « كصُعة » ، على قته قلعة
خرابه بناها الأتراك فى عهد حكمهم .

وأغلب أهل محاليل دكن الألوان ضمير الأبدان كأنهم أعواد محترقة فهى
حارة المناخ ودرجة الحرارة فى مدة الثلاثة الأيام التى أقمتها بها لم تهبط نهراً
عن الخمسة والثلاثين ولم تنزل ليلاً عن أربعة وعشرين مع انقضاء فصل
الصيف ومشاركة فصل الخريف على الانتهاء .

ولمحاليل سوق يقام فى كل يوم سبت يقولون أنه من أروج أسواق هذه
الجهة وأكثرها حركة لما حول محاليل من القبائل الوفيرة العدد ولقرب محاليل
من البندر ويعنون به ثغر القنفذة الذى لا يبعد عنها بأكثر من ثلاث مراحل
ومحاليل حاضرة قبائل بنى موسى وفيها مقر شيخهم بن خالد وأهلها فى سداجة
تامة وعلى سيماء الكثير منهم غباء وجمود ولباسهم الوزرة والطمرة والصديرى
ولا يعدم فى أهلها من يلبس الثياب ، والرؤوس إما حاسرة أو مغطاة بالطواقى
الخيزران تجلب إلى هذه الجهات من الهند عن طريق عدن واليمن وبعضهم
يعصب رأسه بالأحاريم المعروفة عندنا فى الحجاز . أما البدو وسكان بقية
القرى فلباسهن الطمرة (١) من السرة للركبة ، وكان الله رحيماً .

ولباس النساء فى محاليل القميص والوزرة وعلى الرأس المقلبة التى سبق
وصفها . وأما فى الأطراف والقرى الأخرى فلباسهن الثياب الواسعة الأردنان
وعلى رؤوسهن القبعات الخوص التى سبق لك بيانها عند الكلام على نساء
رجال . وحليهن هى الحلى المار ذكرها أيضاً .

وأجمل ما فى وادى محاليل ومزارع وادى حجلي - التربة الخصبة
الصفراء اللون اللدنة المسكة بالماء ، ورغم أن المزارع جميعها فى هذه
الجهات تعتمد على الأمطار فالقصب الأخضر لا ينقطع من أسواقها طول

(١) الطمر فى اللغة الثوب البالى وأهل هذه الجهة يسمون الوزرة من النوع
الواطى الرخيص الثمن (بالطمَّرة)

السنة . ومن أعجب ماشهدته أغراس البامية في بعض الحقول مع بعد عهدها بالماء يبلغ طول الغرسة منها قامة الرجل ويكاد ورقها يقطر ماء من الارتواء وأخال أن لوفرة الطل أثراً في ذلك ، فليالي هذه الجهات ليلة ندية في معظم فصول السنة .

ويشرب أهل محال في الغالب من الغدران والمستنقعات التي لا ينقطع ولا يجف ماؤها في أغلب الأحيان .

ويوجد في طرف الوادي في جنوب القرية بئر تسمى « الغليلة » ماؤها عذب ولكنها بعيدة المسافة عن القرية وماؤها قليل إلا أنه دائم النضج ولا يصلح عندهم من زرع الغلال سوى الذرة والدخن والسمسم . وقد رأيت في عدة بيوت معاصر صغيرة لعصر السمسم واستخراج زيته تديرها الجمال وحولها وعلى مقربة من القرية نخيلات متناثرات هنا وهناك . وقيل لي إنه في عهد مضى كان نخيلها أكثر مما هو عليه الآن ولا أخال أن ثمر نخيلها من الثمر الجيد . وقيل لي أيضاً أن محال كانت في بعض ماغبر من الزمن أوسع عمراناً وأكثر احتشاداً بالسكان . وحتى قيل فيها قديماً هذين البيتين والتبعة على قائليها :

تجنب محال لا تأتها وإن راقك الرطب البانع
فأهل الفساد بها جلس وسوق الفسوق بها شائع

وعلى بعد ساعة من القرية واد يسمى الحماطة يكثر فيه شجر السدر والجيز والأثب وما شاكه . وما يروق منظرأ ونضارة شجر الأراك المنتشر في رقعة الوادي على سعته كأنه القباب أو ربي خضراء قائمة فيه .

أقمت في محال ثلاثة أيام عدت بعدها إلى رجال وظللت بها في عملي الأصيل مترقباً انقضاء فصل الشتاء ، وحلول الربيع ، لاستطيع الوصول إلى النماص . فإنها في السراة ، وعلى سطح جبل من أرفع جبال الحجاز .

رحلة الربيع - إلى النماص

وفي الرابع والعشرين من شهر صفر مساءً قمت من رجال والطريق إلى الشرق أو الشمال دائماً من عقبة ركزُ فلا منفذ غيرها ، وكان معي رفيق استأجرته للوصول بي إلى أبيها ونعم ما فعلت فإنني ما كدت أصل قبل الغروب نهاية وادي العوص والمكان الذي يبيت فيه عادة من يسافر في المساء ، حتى دكنت السماء وتلبدت بالسحب ، وانهمر مطر غزير أخذ يهطل عدة ساعات ، سأل على أثره الوادي سيلاً عظيماً ، وأصبحنا والسماء تموج بالسحب ولكننا طمعنا في السلامة منها لأن الأمطار في الغالب في هذه الجهات لا تهطل إلا مساءً أو من بعد الزوال . فشددنا رحالتنا نقصد العقبة ولما وصلنا إلى أول العقبة وجدنا الطريق على غير ما نعهد بما قدفت به السيول والأمطار من الصخور والأحجار ، الجراويل ، فاضطررنا أن ننزل عن الخيل وأن نمشي وإياها .

سرنا برهة وإذا أخاديد لا يتيسر للحمير بما عليها من حمل أن تجتازها فوقفنا حيارى لا ندرى ماذا نصنع وزاد الطين بلة أن أخذت السماء ترشح بالمطر رذاذاً وأصبح من الخطر وقوفنا وتمهلنا في السير إذ لو زاد المطر وتدفقت العقبة بالماء وما يحمل ويدفع من الصخور والأحجار لحاقت بنا كارثة . ولكن الله لطف فقد ساق إلينا بعض قاصدي أبيها من الركبان والمشاة وتكاملنا في أسفل العقبة نحو العشرة من المسافرين أخذ بعضنا يعين البعض في نقل ما على ظهور الخيل من أمتعة شيئاً فشيئاً مجتازين بها الأخاديد والأجراف التي أحدثتها السيول وأخيراً تعاونوا على الخيل نرفعها ونعينها هي الأخرى على اجتيازها .

ظللنا نعالج السير في العقبة على هذا الوضع حوالي خمس ساعات مع أن العادة أن ينتهي السير فيها في ساعتين ونصف على أوسع تقدير .
وصلنا قرية الشرفة في أعلا العقبة نقطر ماء فأوينا إلى أحد بيوتها

ونشرنا أمتعتنا نعرضها للهواء التماسا للجفاف أما الشمس فكانت محجوبة بالغيوم .

قضينا في عملية التجهيف وتبيئة ما نطعمه إلى الساعة العاشرة بعد العصر ثم حزمنا أمتعتنا على الحمير واستأنفنا السير وفي حوالى الساعة الثانية بعد الغروب وصلنا قرية البدله فرأينا البيات بها إلى الصبح ودخول أبها نهارا .

الرفيق قبل الطريق

أقمت في أبها يومين أترقب رفيقاً أصحبه معى إلى الناصر يعتمد على رفقة وخبرته بالطريق فإن المسافة إليها من أبها لا تنتهى بأقل من خمسة أيام . ومن الخطل ذهاني منفردا لا سيما بعد ما لقيت في طريقى إلى أبها ما لقيت .

تيسر الرفيق الرفيق والخير بالطريق وفي صباح يوم الأربعاء تحررنا من أبها وجهتنا الناصر وقاصد الناصر من أبها يأخذ الطريق من شمال جبل شمان مع ميل قليل إلى الشرق وبعد أن اجتزنا حدة الجبل المذكور وهبطنا وادى « الرُّضْف » ثم رقينا سلسلة جبال جرداء وسرنا فيها نحو ساعتين وصلنا وادى « حمره »^(١) وفي قرية من القرى القائمة على ضفافه قلنا وصلينا العصر ، ثم استأنفنا المسير وقبيل المغرب وبعد أن مررنا بقرى بنى رزّام والملاحه وصلنا قرية الفَيْة ، ولزمنا المبيت بها فان ما بعدها خلاء غير مسكون بقدر ست ساعات

بتنا في أحد بيوت قرية الفَيْة إلى الصبح ثم شددنا أمتعتنا على الرواحل

(١) وادى حمره كما جاء في كتاب فى بلاد عسير صفحة ٩٤ ينبع من جبل تهال ويصب فى وادى أبها عند بلدة المحاله من قرى بنى مالك عسير ويملك البلاد القريبة من راسه « علمكم » من عسير ويملك ما كان فى أسفله ووسطه بنو مالك من عسير أيضا .

وسرنا وبعد ساعتين وصلنا باحة شعار . ومن أبها إلى باحة شعار طريق يكاد يكون معبداً رغم مروره على عدة حدبات وذلك لأنه أقرب طريق لوصول المعدات والمؤن الحربية من ثغر القنفذة إلى أبها مما دعى الترك أيام حكمهم البلاد إلى أعمال يد الإصلاح فيه . ومن الميسور أن تسير السيارات من أبها إلى باحة عقبة شعار دوين كبير عناء وبقليل من الإصلاح والتمهيد .

وقد بنى الترك في عهدهم الأخير عند رأس عقبة شعار ثكنة للجند يقيمون بها لحماية الطريق وتظل على الثكنة سبعة أبراج على رؤوس الجبال المحدقة بالباحة لحماية من بها من الجند يسمونها (مفاتيل) . وقد تطرق الخراب إلى الثكنة بل لم يعد منها ما يقوم على حاله السابق سوى جدار واحد .

تركنا عقبة شعار عن يسارنا وملنا شرقاً وبعد أن قطعنا الباحة بدأنا نرق أكاماً تتخللها شعوب واسعة تسمى « المسوَح » ، في نهايتها قم شعب يسمى « الدرّجة » ، هي آخر حدود قبائل عسير السراة من هذه الجهة

رقينا الدرجة - وهي عبارة عن صغار ركنها السيول - وأصبح سيرنا صعوداً وهبوطاً من ذروة جبل إلى سفح آخر نحو أربع ساعات ، وتسمى سلسلة هذه الجبال « بالأشعب » ، وهي جبال جرداء محترقة لا أثر للنبات فيها بالمرّة إلا ما كان من بعض طفيليات شوكية تنبت فيما يستقر به ماء المطر من ملتقى السفوح ، لافرق بين ألوانها ولون الصخر ، وحتى منظر الجبال منذ فارقنا أبها لم يكن مخضراً بل أجرد إلا من بعض شجر الطلح وما شابهه غير أن الأشعب هذه تزيد بأنها كثيفة المنظر كددة اللون

وادي عبل

ومن ذروة أحد جبال الأشعب هذه أشرفنا على وادي « عبل » ، وهو وادٍ

ملئو تقوم فيه نحو سبع قرى تحوى بضعة بساتين وعدداً من مزارع الشعير والخنطة والمذرة . وهو وادٍ منخفض فقد كانت درجة الحرارة فيه ظهراً نحو أربعة وعشرين درجة سنخراذ مع أننا تركناها في أمها في نفس الوقت خمس عشرة درجة . والجبال الممتدة على طرفي الوادى جرداء صلبة لا أثر للنبات فيها .

قبيلة بالأحمر^(١)

ووادى عبل هذا هو أول منازل قبيلة « بالأحمر » (٢) قيلنا في قرية منه يقال لها قرية ابن ملحيم إلى الساعة الثامنة بعد الظهر ثم سرنا وبعد مسير ثلاث ساعات في سلسلة جبال جرداء مقفرة تسمى « الضحى » أشرفنا في نهايتها على وادى « صَبَح » وهو وادٍ يخص قبيلة بالأحمر المار ذكرها وكانت سفاح الجبال المحدقة به خضراء بما تكاثف عليها من شجر العرعر وغيره

ذو العشيرة

وفي قرية « آل مشاعر » من قرى الوادى المذكور بنينا إلى الصبح في بيت رجل يسمى عبد الله بن عايض غبطته على ما كان له من نسل فقد أحقق بنا ونحن تدفأ حول الموقد عشرة من أبنائه كلهم من أم واحدة وذكر لنا أن له من زوجة أخرى نصف هذا العدد مع أنه لا يزال حول الأربعين فيما تراه لى

إلى منازل بالأسمر

وفي نحو الساعة الواحدة بعد شروق الشمس تحررنا من القرية وبعد أن اجتزنا عقبه « الجعد » وهم ينطقونها « اليعد » وعقبه آل عامر (١) أهل هذه الجهات ينطقون هكذا بالأسمر وباللحم بدون همز وفي كتاب صفة جزيرة العرب عرفهم ببني الأسمر .
(٢) قسم صاحب كتاب في بلاد عسير صفحة ١٥٨ قبيلة بالأحمر إلى عشرة الخاذا وعد لهم ٣٠ قرية .

ومررنا بقرية على الطريق من قرى (وادى ييجان) وقطعنا سلسلة جبال تسمى « شعاه » - أشرفنا على وادى « عبالة » أول حدود منازل قبيلة الأسمر ^(١) . وكان ذلك حوالى الساعة الخامسة والنصف ظهراً .

قلنا فى قرية من قرى الوادى تسمى « ذبوبا » ولم نطل بها المقام بل بعد ساعة سرنا فمررنا بقرية « المصفاة » وقرية « ابن خريب » وبهذه القرية سوق موضعى يقام كل يوم اثنين ثم مررنا بقرية « الفرسة » ثم رقينا ذروة جبل أشرفنا منه على شعب « حظوة » ^(٢) .

جمال الطبيعة

وشعب حظوة يبدأ من الذروة المذكورة منحدرأ إلى وادى سدوان كثير شجر العرعر وغيره من الأشجار فالمشرف عليه لا يرى إلا غابة كثيفة وكتلا من الأشجار المتشابكة مد البصر .

سرنا هابطين نلتوى فى السير بين صفوف الأشجار القائمة متتابعين أسير

(١) قسم صاحب كتاب فى بلاد عسير قبيلة الأسمر إلى ستة أقسام وعد لها ست قرى وذكر أن لهم فى تهامة ٣٧ فرعا صفحة ١٥٩ .

(٢) قال لى بعض من تعرفت به فى عسير أن فى وادى حظوة هذا وبين أشجاره المتشابكة كان الشنفرى الأزدي العداء المشهور أحد لصووص العرب وقتا كها وصاحب اللامية التى أولها .

أقيما بنى أمى صدور مطيكم فانى إلى قوم سواكم لأميل
يتصيد أفراد قبيلة سلامان ويقتلهم حينما أقسم أنه سيقتل منهم مائة وأن
السلامانيين تصيدوه فى نفس المكان بعد أن قتل منهم تسعة وتسعين وقتلوه ثم طرحوا
رأسه اهانة له فمر أحد السلامانيين بها وضربها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة
كانت سبب موت السلاماني وبرت بذلك عين الشنفرى وتم قتله مائة منهم :

والقصة بما ذكره الرواة فى كتب الأدب وقد تكون اسطورة من أساطير
العرب أو أن بعضها على الأقل دخله المبالغة والخيال ولم أعثر فى كتب المعاجم
التي تيسر لى البحث فيها على ذكر لشعب حظوة هذا .

مسلك فيها وصوت خرير المياه المنحدرة من فروع الشعب إلى وسطه يسايرنا
وقد يهبط بنا الطريق إلى قلب الشعب فنمر على حافة غدران مترعة بالماء إذا
ما داعبت الريح صفحته تجعد وترجرج في لطاف ومنظر بديع للخاية .

ومناظر الشعب كلها جميلة خلابة فاتنة فالسائر فيه لا يشعر بوهج الشمس
ولا وضوح ضوئها ولو كان سيره في الظهيرة من تكاثف الشجر وتشابك أغصانه
والريح لا تهب فيه إلا رحية لينة ، فكان كما قيل :

يصد الشمس أنا واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم

سرنا منتشين مبتهجين بما وصفته لك من مناظره الساحرة نحو ساعة
ونصف خرجنا منه في نهايتها إلى وادي « سدوان » .

بلاد بني شهر^(١)

وفي طرف الوادي الشمالي بتنا في أحد المنازل إلى الصبح ثم استأنفنا
المسير وبعد أربع ساعات مررنا أثناءها بجبال لا تخلو صفاحها الغريبة من
إخضرار تسمى بـ « الدهناء » وهي الجد الفاصل بين منازل قبيلة بالأسمر
وبين قبيلة بني شهر . وصلنا قرية آل زخران فجزناها إلى باحة « تنومه » .

وفي قرية من قرى الباحة يقال لها قرية « ابن العَرِيف » قبلنا إلى الساعة
التاسعة عصرًا ثم شهدنا سوق السبت وهو سوق يقام في باحة تنومه
كل يوم سبت أكبر أسواق بني شهر ومع ذلك فلم يكن شيئاً بالنسبة لسوق
الأحد بالشعبين أو لسوق أبها .

وباحة تنومة باحة واسعة تشتمل على عدة قرى والجبال المحيطة بها
جرداء إلا ما واجه الغرب فلا يخلو من بعض الأشجار ومناخها دافئ ، فدرجة

(١) الشائع على السنة أهل هذه الجهات بني شهر بكسر الشين ولكنني وجدتها
في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني طبع لا بد من مضبوطة في عدة مواضع منه بالفتح

الحرارة كانت ظهراً عشرين درجة . وفي طرفها الغربي عقبة تسمى (ساقين) بعد أن قضينا حوائجنا من السوق استأنفنا السير مترفين فمررنا بوادي « مَلِيح » وفيه عدة منازل ولم تخل جباله من شجر العرعر لا سيما قرب عقبة القامة . قطعنا الوادي ورقينا عقبة القامة في نحو ساعة وربع ، ومررنا في سطحها على قرية الظهارة فاجتزناها واجتزنا بعدها قرية « آل مشهور » أو بنى مشهور وفي نحو الساعة الواحدة بعد الغروب وصلنا قرية النماص . وكانت طريقنا من باحة تنومة إلى النماص فضة^(١) فكنا نضطر إلى المشي على الأقدام في كثير من الأحيان على أن الطريق جميعه كان وعراً شاقاً اعترضتنا في أثناءه عدة عقبات كنا نمشيها تحرزاً واحتياطاً من السقوط عن الدواب .

النماص

والنماص باحة تشبه سطح الهدا^(٢) ولكن ، تزيد عليه في السعة والقرية كائنة في الطرف الشرقي من الباحة لا تتجاوز بيوتها المائة بل عددها يتأ يتأ فكانت ثمانية وتسعين لا غير .

وأكثر البيوت من ثلاث طبقات وبيوت العسيلة شيوخ بنى شهر بمحصة من الداخل والخارج وجميعها من الحجارة بل وجميع بيوت قبائل بالأحمر وبالأسمر التي مررنا عليها في قراهم من الحجارة أيضاً عدا بعض بيوت في وادي عبل من منازل بالأحمر فقد كان نصفها الأسفل من الحجارة ونصفها الأعلى من اللبن .

(١) الأرض الفضة هي المشورة عليها الصخار والأحجار بعضها فوق بعض

(٢) الهدا هو سطح جبل كرى في الطريق الجبلي بين مكة والطائف عليه غدة قري وبساتين فيها مختلف الثمار ويكثر فيها شجر الورد .

وسكان قرية الناص لا يتجاوزون الخمسة على أكثر تقدير معظمهم من الكلاثة بطن من بني شهر .

والبيوت إلا النادر غير نظيفة من الداخل ولا تحوى الحجرة سوى نافذة واحدة مربعة لا تتجاوز سعتها ثلث المتر لشدة البرد في الناص ولهذا ففي أغلب الأوقات تجد الغرفة ضعيفة الضوء ويسمون النافذة « بدآية » . وليس في البيوت مراحيض ولا هي مزخرفة من الداخل كبيوت أهلها أو رجال بل مليطة بالطين فقط .

ولا يوجد في القرية سوى دكان واحد غير واف بما يحتاجه المرء ولو لا أننا نحسبنا معنا مقداراً من السكر والشاي لما ذقناه مدة مقامنا بها .



« صورة بعض بيوت قرية الناص »

واللحم لا يحرفونه إلا مرة في الأسبوع ففي القرية سوق صغيرة جداً تقام يوم الثلاثاء من كل أسبوع . وأكثر ما يذبحون يوم السوق ، البقر على أن المواشى الأخرى موجودة لديهم لكنهم لا يذبحونها إلا في المواسم والولائم ولضيف عزيز يطرقهم .

وعادات أهل النماص وبنى شهر عموما تتقارب وعادات أمثالهم من سكان
جبال الحجاز كغامد وزهران وغيرهم .

واستبدلهم أم بال قليل جداً في كلامهم أما الجيم فضائعة لا تجد لها أثراً
فيقولون يام بدلاً من جاء واليماء بدلاً من الجماء .

وألوانهم هي الألوان العربية على أن منهم من هو أبيض البشرة ووردى
الوجنت لبرودة المناخ وارتفاع النماص وعلوها فهي تعلو سطح البحر على
ما قيل لنا بألفين وثمانمائة متراً .

ودرجة الحرارة في الأيام الخمسة التي أقفنا فيها لم ترتفع نهاراً عن ثمانية
عشر درجة وتهبط ليلاً إلى العاشرة مع أننا كنا في أشهر الربيع .

ولباس سكان النماص الثياب البيضاء للرجال والسوداء أو الملونة
للنساء مع فارق بالطبع في الشكل فيما يختص بكل جنس .

أما التهاميون منهم وهم كثير فلباس الرجال الوزرة على غرار سكان
تهامة عسير حتى الرؤوس قائمها حاسرة وافرقة الشعر .

أما النساء منهم فيلبسن الثياب ويعتدن لبس الطفشات التي سبق وصفها
لشدة الشمس والحر في تهامة . ولم يتسن لي مشاهدة شيء من ألباسهم
وأفراحهم وأخاها لا تختلف كثيراً عن عادات من يجاورهم مما سبق وصفه .

وفي سطح النماص عدة مزارع للحنطة والشعير والعدس والذرة
والسيالة وليس بها من أشجار الثمار ومن الخضار ما يستحق الذكر . ولكن
حول قرية النماص نحو سبع عشرة قرية تنخفض عنها قليلاً يوجد بها كثير
من الأشجار المثمرة والخضار بسائر أنواعها وفي بعض بساتين العسالة في قرية
النماص توجد بعض شجرات للجوز « القعقع » .

ومن مزرعات قرى بني شهر التهامية الدخان الأخضر والبصل والثوم
وهي وافرة لديهم يصعدونها إلى من جاورهم من القبائل والقرى ولا تخلو
صدور جبالهم المواجهة للغرب من أشجار اللب ولكنها قلة

حدود بنو شهر

وبنو شهر قبيلة وافرة العدد تمتد منازلهم شرقاً إلى قبائل شهران وغرباً
تصل منازل من يرجع فيهم من سكان التهام إلى قرب ثغر القنفذه وشمالاً
تحدهم قبيلة بني عمرو وجنوباً منازل بالأسمر التي سبق ذكرها
ومن يصادقهم من القبائل التهامية مما يلي الغرب أهل وادي الريش وآل
موسى والجمدة وربيعة المقاطر .

ومن أرفع الأمكنة في بلاد بني شهر جبلان في مواجهة الناص يعرفان
بـ « بَلَّحَصْن » ، كنا نراها من الناص في الجهة الجنوبية الغربية منه شاهقة
الذرى معممة رؤوسها بقطع السحاب .

وأمام عقبة الناص مما يلي الغرب إلى تهامة ثلاثة جبال شاهقات إلا أنها
منفصلة عن سلسلة جبال السراة فهي تحسب من جبال تهامة العالية وسكانها
يعدون في بني شهر واسم أحد هذه الجبال « تَرْبَان »^(١) ، والثاني « نَهْو »
والثالث « رَيْسَمَان »^(٢) ، وذرى هذه الجبال على ما قيل لى لا تقل ارتفاعاً عن
سطح الناص .

(١) جاء في صحيح الأخبار للعلامة بن بلهدى تعليقه على أقوال البكري . قوله
وهناك جبل ثان في بلاد زهران منهم من يسميه تربان ومنهم من يسميه نربان بالثاء .
ولا أدري هل يعني هذا الجبل أم غيره لأن موقع هذا الجبل لا يوازي منازل زهران
بل يوازي بلاد بن شهر .

(٢) ذكر هذا الجبل وأنه من الجبال المشهورة الهمداني في كتاب صفة
جزيرة العرب ص ١٢٥

رجال الحِجْر

وبنو شهر ينقسمون إلى قسمين : سلامان وائله ويقال لهم وللبالاسمر
وبالاحمر « رجال الحِجْر » ، وأخال انهم أبناء عمومة يتقاربون في الاصول
غير البعيدة .

الحضارة تغزو

ومع خلو النماص من كثير من الضروريات فضلاً عن الكماليات
وبعدها وعسر الطريق إليها فقد سمعت في ليلة من الليالي الست التي قضيتها
بها « الراديو » ، في بيت شيخ بنى شهر وكانت ليلة فريدة تشفت فيها أسماعنا
بصوت بليلة الشرق الأنسة أم كلثوم .

في طريق العودة إلى رجال

قضيت مهادتي في النماص واعتزمت العودة إلى مقرى رجال وفي صباح يوم
الجمعة في نحو الساعة الثانية تقريباً شددنا رحالنا وبارحنا القرية نقصد « تنومه » ،
وبعد أن اجتزنا عقبة القامة تعرض لرفيقي أصهاره وأزمونا بالمبيت لديهم فلم
نر بدا من القبول والاستجابة للدعوة ولم يقصر مضيفنا ، فقد ذبح لنا كبشاً ،
وذلك يعد في هذه الجهات غاية الإكرام ، وقد لاحظت أن طريقةهم مع الضيوف
في تقديم الضيافة تختلف عن عادة أهل عسير وطريقتهم ، فشهران وعسير
والمع يقدمون الطعام ويتركون الضيف وحده يتصرف كيف شاء ، بل يلقون
عليه الحجرة كما سبق القول عند الكلام على قرية الخيس في شهران .

تقاليد وعادات

أما بنو شهر كما شهدت من مضيفنا ، فإنهم يشاركون الضيف في الجلوس
على المائدة ، وبعد أن يحضروا كامل الذبيحة يخرج الضيف قسماً منها لأهل
البيت ويسمونه قسم المعزبة ثم يوزعون الباقي من الذبيحة على الحاضرين
من الضيوف ومن شاركهم الجلوس من أهل البيت على المائدة .

بتنا وأصبحنا وقدّم لنا مضيفنا طبقاً من التمر تناولناه صرفاً على القهوة ثم استأنفنا المسير، وبعد ساعتين وصلنا باحة تنومة، وشهدنا قيام سوق السبت مرة ثانية، وظللنا في تنومة حوالى أربع ساعات، كنت أراود نفسي خلالها أن لا نعود عن طريق السراة التي قدمنا منها، بل نهبط إلى تهامة، فإن في باحة تنومة عقبة تسمى ساقين، كما سبق القول توصل إلى قرية تسمى نَعُص^(١) وقيل لنا أن العقبة رغم طولها فإنها سهلة المسالك، وأن المسافة فيها إلى نعص خمس ساعات. ومن نعص نسير وسط واد إلى محایل حوالى خمس ساعات أخرى. ومن محایل إلى رجال عشر ساعات في طريق سهل بالنسبة لطريق السراة التي طالما اضطررنا فيها المشى على الأقدام. ولكنى لم أتبين في رفيق الارتياح لهذه الرغبة. فرأيت رعاية ما يريد وعدنا من حيث جئنا.

استضيفناهم كرها

كان رفيقى يعرض كل الحرص على أن لا يمسى علينا الليل دون أن نكون في بيت من بيوت أحد التمرى التي تصادفها في طريقنا حتى أنه في ما أتانا أذكرنا الليل في أثناء المسير قبل أن ندرك أحد البيوت، فنزل عن حماره يستحثه وحمارى على السير إلى أن وصلنا بيتاً من البيوت فطرقناه لاستضيف أهلهم فأبوا فتحه، لأنهم يخشون أمثالنا لما يلحقهم من البعض من أذى، غير أن صاحبي كان جريئاً فتسور الجدار وفتح باب الخطيرة من الداخل وأدخلنا دوابنا فيه واستضيفناهم كرها، ولكنهم حمدوا حالنا بعد ذلك واطمأنوا إلينا.

(١) أسفل عقبة ساقين واد يسمى «بَقْرَه»، والقاصد محایل يمكن له ألا يرج على قرية نَعُص. بل يأخذ طريقه من وادى بقره إلى قرية المَسْطَر ومنه إلى قرية حصن التابعة للريش ومنها إلى محایل، وهو طريق أقصر من طريق قرية نَعُص على ما قيل لى.

وكنيت كرهت هذا الفعل من رفيق ، وأبديت له ذلك فاعتذر لي بأن الموقف كان حرجاً وقال أن في المسير بعد الغروب في هذه الديار مخاطرة ، فهي كثيرة السباع المفترسة وبالحصوص النور . والنمر حيوان لا يقتل خطراً عن الأسد ، بل هو أكثر غدرآ واختلا وأخف حركة منه . وصلنا أبها سالمين وقيت فيها يومين استجهم بعض ما فقدته من الراحة ، ثم نزلت إلى رجال .

نظرة عامة

هذا كل ما عرفته من أحوال جبل عسير وسكانه ومن جاورهم من جاء ذكرهم . وأرى قبل أن يقف البيان وينتهي بالقول أن أذكر ما لمست وتبينته من أخلاقهم ومزاياهم النفسية . ومدى استعدادهم الطيب وما أكسبتهم البيئة من طبائع وأخلاق . فالعسيرون على العموم أصفاء السريرة في سداجة فطرية بالغة ، أذكيا ، دقيقوا الملاحظة سريعا الإدراك كرام مضيافون حريصون على حسن السمعة في هذا السبيل ، شجمان شديدا الأباء لما لم يألفوا ، يرتابون في الضرب الطارق منازلهم ويألفونه إذا اطمأنوا إليه . وبالاختصار فإن الطباع والسجايا العربية متجلية فيهم بكل وضوح . وما يحمداهم ويدل على دماثة أخلاقهم ، إطلاقهم كلمة الجار والجاراة على من يستخدمونه للعمل تكريما وإعزازا له عن كلمة خادم .

وفي بعض نطقهم فصاحة تذكر بكلام العرب القدماء ، ولا يزال في ألفاظهم كلمات على نطقها الصحيح ، فيقولون في الاستفهام لم ولماذا ، وإذا كان استنكارياً قالوا فم ، مستمينين بحركة الوجه ونجمه ، ويستعملون كم بمعنى هناك وسمعت منهم بعض كلمات أظن أن استعمالها قد اندثر عند غيرهم

فقد كنت عند جار لنا في رجال وانفلت له ثور وهرب يقصد أعلى الشص الموالى للبيت . وكان رفيقاً له في أسفله ، فأخذ يصيح فيه إدرك اللاي إدرك اللاي ، مما لم أفهمه إلا من مشاهدة الحادث ، فإن اللاي في اللغة الثور

الوحشي ، وكثير غير ذلك مما لا يحضر في ذكره الآن (١) .

وقد لمست في أبناء قرية رجال من فرط الذكاء وسرعة الفهم والأدراك لما يتلقونه من دروس ما أعجبت به جداً . وعندما تقدمت لمديرية المعارف بمكة بنتائج اختبارهم النهائي في السنة الثانية لقيام المدرسة ، وأطلعت على مبلغ ما وصل إليه معظم الطلبة من إجادة في رسم الحروف وصحة الاملاء وصواب الاجابة فيما قدمته لها من أوراق الاختبار التحريري ، بعثت إلى بمذكرة شكر وتقدير لما لمسته من ذلك .

الأقبال على التعليم في رجال

وقد كان الأقبال على الالتحاق بالمدرسة من أهل القرية فائقاً جداً فلم تزد السنة الأولى إلا وقد بلغ تلامذتها مائة وأربعين تلميذاً مع صغر القرية ، وهذا الأقبال وهذه الوفرة تضافرت على إيجادها أسباب عدة .

أولاً — ان أهل القرية معظمهم بل جميعهم من المتكسبة بالبيع والشراء ، فهم في حاجة إلى الإفادة من تعليم أولادهم القراءة والكتابة والحساب ، ولأن منهم العائلة الحفظية ، وهم أولو سابقية في تقدير العلم والعرفان ، وبيتهم بيت علم .

ثانياً — انني لم أتقيد في قبول الطالب بما اشترطته المعارف من سن ، بل تساهلت بعض التساهل غير المخل ، كما لم أراع ما يقتضيه المنهج من أوقات الدراسة ، بل راعيت في ذلك وضع سكان القرية في حياتهم اليومية .

(١) كان المرحوم مصطفى صادق الرافعي يسمى الشيشة « الأركلية » المكررة ويقول أن العرب في بعض الأحيان تسمى الشيء بصوته ، وهكذا سميت الشيشة عربية لم تتجاوز السادسة فقد كنت في أمسية بعض الأيام جالسا في الغرفة في البيت الذي نزلناه أول ما قدمنا إليها أدخن الشيشة وحولى صاحبة البيت وأبناؤها الثلاثة ، فسألت الأم إحدى البنات ، ماهذه ياظبية؟ فقالت على الفور المكررة ، ورحم الله الرافعي .

فكنا نبدأ الدرس الأول مع شروق الشمس ، وجعلت الفسحة الكبرى والتي تكون عادة بعد صلاة الظهر لتناول الغذاء - في ضحوة النهار ، يتناول في أثنائها الطلبة طعام الإفطار ويسمونہ دَقرُوعاً .

كما قصرت البرنامج اليومي من وقت الدراسة إلى ما بعد الظهر بقليل في سائر فصول السنة وطول أيام الدراسة . مما يسر لأولياء الطلبة أن ينتفعوا بهم في مصالحهم الخاصة في نصف النهار الأخير .

ثالثاً — حبيت للطلبة وأوليائهم التعلق بالمدرسة والحرص على الانتساب إليها ، فأنى عندما علمت أن جلالة الملك (عبد العزيز آل سعود) حفظه الله تفضل فمنح أعانة شهرية قدرها ريالين لكل يتيم من أبناء مدرسة أبها ، تقدمت بطلب مثل ذلك لأيتام مدرسة رجال ، ولما حصلت الإجابة لم أتورع ونظمت معظم طلبتها في سلك الأيتام ، مراعيًا في ذلك من كان وليه فقير الحال .

رابعاً — جعلت من غرفة الادارة وفناء المدرسة منتدى للسمر والاجتماع بأهل القرية وايفاع الطلبة في معظم أيام الأسبوع ولياليه .

حاجة القرية الى طبيب

كنت قد جلبت ممي مقداراً من الأدوية البسيطة والنباتية ومالا حرج من الاشارة به من غير الطبيب وأشياء من وسائل الأسعاف كالمراهم ومستلزماتها من قطن ولفائف معقمة وغير ذلك من أدوية التطهير ، فلم أقصر في استعمالها علينا فقط ، بل اشركت مع الطلبة أولياهم من أهل القرية في الانتفاع بها .

ولما رأيت التهافت على ذلك وشدة الحاجة إليه ، كتبت لمديرية المعارف لتكتب إلى إدارة الصحة لتمدني بقسم وافر من العقاقير ، ففعلت وزودتني إدارة الصحة بالكثير بما ذكرت .

وخصصت ساعتين بعد الظهر لممارسة تطهير وتضميد جراح من به جراحة . وكنت أتعاون وزميلي مراسل المدرسة على هذا العمل . مما جعل المدرسة عيادة صحية أولية ، وشيء خير من لأشياء على كل حال ، ولعل الحكومة

وقفها الله كما عثت بتأسيس مدرسة في هذه القرية أن تعنى بتأسيس مصحة ، ولو بطبيب واحد ، فإن في قرية رجال وما حولها من القرى من يعدون بالآلاف من الناس والعناية بصحة الأبدان وسلامة المجتمع من الال السارية لا يقل وجوباً عن العناية بصحة الأذهان وتنقيف العقول وترقيتها ، بل لا يكون العلم الصحيح إلا في الجسم الصحيح .

العطلة الصيفية والرجوع إلى مكة

أنقضت الدورة الدراسية وحل وقت العطلة ، فرجعت إلى مكة والنفس لا زالت عالقة بالتوسع في ارتياد هذه الجهات وزيادة التعرف عليها ، فقررت الاستمرار في عملي ، وما أن انتهى وقت العطلة حتى رجعت .

مهمة جديدة — رحلة إلى تهامة

وفي أثناء عودتي وأنا بأهمل أهبط رجال بعد ، تلقيت برقية من مدير المعارف يكلفني بأن أقوم بدورة تفتيشية على مدارس تهامة في صيدا وأبو عريش وجيزان ، فصادف ذلك هوى في نفسي وكانت فرصة سنحت لمشاهدة تلك الجهات والاصقاع .

وصلت رجال وأقمت بها نحو شهر رتبت في أثناءه شؤون الدراسة على ما تقتضيه غيبي ، وعهدت إلى زميلي الأستاذ عيسى فهم في إدارتها .

في الطريق إلى الساحل

انتهزت فرصة سفر بعض أهل قرية رجال إلى درب بني شعبة الواقع في طريق لأن لهم مزارع في منطقة الدرب يملكونها ويجنون حاصلاتها في مثل هذه الفصول واستأجرت حمارين لي ولزميلي مراسل المدرسة محمد الحربي الذي رأيت أن يصحبني بعد أن أقمت شخصاً من أهل القرية ينوب عنه في عمله بالمدرسة .

وفي يوم الاثنين الخامس عشر ذى القعدة سنة ١٣٦١ سافرنا من رجال
في رفقة من ذكرت من أهلها ، وبعد أن تجاوزنا قرية البتيلة أخذنا وسط
وادي كسان منحدرين إلى سوق السبت الواقع في آخر الوادي نمشي بين
منحرفة من أشجار السدر والجميز والأثب كأنما قامت على تنظيمها يد الإنسان .

وبعد أن سرنا ثلاث ساعات في طريق كله على ما وصفت ، وصلنا « بر
ابن داحة » واختار الرفاق أن نزل عندها وتناول عشاءنا ، ثم نستأنف
المسير لأنها آخر بر تصادفنا في طريقنا إلى الدرب .

قضينا في تناول العشاء وما إليه حوالى ساعتين ، ثم استأنفنا سيرنا منحرفين
إلى الجنوب تاركين وراءنا آخر حدود قبائل الملع من هذه الجهة .

ولازلنا في سير متواصل مررنا أثناءه بمكان يقال له « الرّهوة » ، ثم
« بالجوفاء » ، ثم با « الحمة (١) » ، ثم « الجبيل » ، ثم بالمدايرية ،
فا « الجفمر » ، وفي نحو الساعة التاسعة ليلا وصلنا وادي « ريم » ،

وهو واد غل تكبر على حفافيه أشجار الدوم ، والدوم من الأشجار
التي يكثر وجودها في هذه الجهات .

وعلى جانب إحدى غدران الوادي بدأنا إلى الصبح ، وفي الساعة الحادية
عشرة استيقظنا ، وبعد أن أدينا الفريضة وتناولنا ما تيسر من الطعام
استأنفنا المسير .

(١) جاء في كتاب صحيح الاخبار ص ٦٥ ج ٤ فقلاعن ياقوت ج ٢ ص ٣٢١
قال ابن شميل الحمة حجارة سوداء تراها لازقة بالأرض تغور في الليلة والليلتين
والثلاث والأرض تحت الحجارة تكون جلد وسهولة والحجارة تكون متدانية
ومتفرقة ، وهي في هذا المكان كذلك ، وقد عدد ياقوت أماكن كثيرة تسمى بالحمة وقال
والحمة الأسود من كل شيء . . وروى عن نصر (الحمة جبل أو واد بالحجاز) ولعلها
تكون هذه الحمة فإنها في أطراف جبل الحجاز .

درب بني شعبة

وفي الساعة الواحدة والنصف بعد شروق الشمس من يوم الثلاثاء وصلنا الدرب « درب بني شعبة » ، فاختار أحد من أنس به من الرفاق أن أصبح في النزول عند قيم مزارعه التي يملكها في الدرب ويُس ما اختار .

فقد دخل بنا أحد أكواخ القرية ، وهو وإن لم يختلف عن أمثاله من مساكنها . إلا أن أهله كانوا في غاية القذارة . فما كادت أقدامنا تخطو باب الكوخ حتى هاج علينا الذباب من داخله في كتل كأنها قطع الليل .

ولم يكن في وسعي لما أنا عليه من تعب ونصب أن أعدل عن الإقامة فيه . وأحتمل عباء البحث عن منزل آخر غيره ، فقد أضناني السير والركوب مدة لا تقل عن اثنتي عشرة ساعة إن لم تزد . فإنا منذ أن بارحنا بئر بن داحة في آخر وادي كسان لم نزل عن ظهر الحول كما يسميه أهل هذه الجهات إلى أن وصلنا وادي ريم . ولم يكن اغفأؤنا في وادي ريم يوماً بمعناه الحقيقي . كما كان والطريق وعرا متعباً للراكب يكاد يكون معظمه أرضاً فضة تتلقاها بالهبوط والصعود من ربوة إلى أخرى ، ومن ظهر إلى شعب ملتو .

دخلت الكوخ أو العشة ، كما يسمونها وعلى أحد الأسرة من الشريط ويعرفونها بالقعايد ، طرحت بحسبي وتلفلفت بغطاء أحتسب به من الذباب رغم حرارة الطقس ، وأسليت عيني للكرى ، فلم أتنبه من نومي إلا قبيل العصر بقليل .

موضع الدرب

والدرب ، أو درب بني شعبة ، قرية في وسط وادي عتود المنحدر بميلى عقبة ضلّح وغيرها من جبال السراة . ومعظم مساكنها على حافة الوادي اليمنى ، وسكانها حوالى الألف .

من هم بنو شعبة^(١)

وقد كان بنو شعبة هؤلاء في سابق الزمن أولى بأس وشدة ، والمقول أنهم ليسوا من البدن النمانية ، بل يرجعون في قيس . نزحوا من نواحي وادي الدواسر شرقي جبال الحجاز جاءوا منتجعين فاستطابوا المقام على هذا الوادي

(١) ذكر صاحب نقح العود في سيرة الشريف حمود ما يأتي :

درب بني شعبة ويعرف قديماً « بدرب ملوح » سماه هكذا أهل السير عند الكلام على غزوة المهدي أحمد بن محمد إلى الحجاز إلى سرح من آل حب بن اثمار حين سبا نساءهم في أيام المتوكل على الله اسماعيل : وأن بني شعبة هؤلاء اختلف الناس في تسميتهم منهم من يزعم أنهم من تغلب بن وائل بن قاسط بن هيثم بن قصي بن عمرو بن أسد بن ربيعة بن نزار وليس على هذه الدعوى شاهد . وإنما هم يسمون بني شعبة تغلباً . وفهمت من بعض رؤسائهم أنهم من أكلب وأكلب من خثعم نمانية وليست نزارية على أصح الأقوال . لأن رأيت محمد بن قتيبة ذكر أن من ولد ربيعة أكلب نزار وربيعة منهم أناس دخلوا في خثعم وهم قبائل وبطون ليست إلى خثعم .

ويمكن أن بني شعبة من أكلب من ربيعة الداخلين في خثعم . بالحلف وظهور لي من بعد أنهم ليسوا من بني شعبة هؤلاء ، وإنما هم من بلاد شمران وبلاد بيشة ، وقيل أن هناك محل يسمى شعبة نسبوا إليه وجاءوا الدرب وتغلبوا على أهله وسكنوه . وكانوا قبل وصول دعوة ابن عبد الوهاب أهل عز ومنعة يحمون الجار والذمار وما كان أمرهم فيهم إلى رجل منهم لعظمة نفوسهم كل رجل يرى نفسه أميراً . بل عند حدوث حادث ينصبون شيخاً منهم يتقدمهم في الأمر ولم يكن لهم كسب سوى بالخيول العتاق والبيض الرقاق والسماهر الطوال والسوائر الثقال اهـ .

ويقول صاحب كتاب قلب جزيرة العرب ص ١٥٩ - ١٦٠ بنو شعبة ، تقيم هذه القبيلة حول « أتود » إلى مرتقى ضلع ومعظم القبيلة بالرغم عن ادعائها أنهم من قحطان - من أصل سوداني ومن القبائل الرحل فيها آل خضرة وآل حشان .

وأحال أن ما ذكره صاحب نقح العود أقرب إلى الحقيقة إلا أن عوادي الزمن هصرتهم وهضمهم الإقليم واندجوا فيمن جاوروه كما سبق القول ، وقد جاءت فيما ذكره صاحب قلب جزيرة العرب كلمة « أتود » محرقة عن عتود وكأنه نقل ذلك عن بعض كتب الفرنجة .

وتأصلوا فيه . وكانت لهم شهرة في اقتناء الخيل على عادة أهل المشرق .
وكانوا أولى فروسية وشجاعة ، أما الآن فقد أمسوا مزارعين لا أثر لما عرف
عنهم فيما سبق ، فقد اختلط بهم غيرهم . وصهرتهم بوتقة الأفلح وهضمهم
قتلاشوا فبمن جاوروهم وفقدوا ما كان لهم من خلال .

بنو شعبة اليوم

وهم الآن ينقسمون إلى تسعة أفخاذ « آل كدره » ، و « آل نخلة » ،
و « الصبغة » ، و « الصبانية » ، نسبة إلى صبيا و « الأشراف » ، و « آل الياس » .
و « الرهاوية » ، نسبة لسكنى الرهوة آخر منازلهم من جهة قبائل الماع ، وهي
التي سبق أن مررنا عليها في طريقنا .

والدرب أكبر قراهم ، متوسطة بينها على طول وادي عتود ، وتبعد عن
البحر الأحمر بنحو ساعتين أو أكثر قليلا على الدابة ما يلي الشقيق » .

قرى بني شعبة

وقراهم تسع قرى : وهي عبارة عن منازل في جوار المزارع على طول
الوادي وامتداده ، واليك اسمائها

- ١ — « الدرب » ٢ — « الغرار » ٣ — الشقيبي ، ٤ — قائم آل زيد ،
- ٥ — قائم النعجة ٦ — « رملان » ٧ — « القضب » ٨ — « السداد » ٩ — « الزبارة » .

الزراعة والمزارع في الدرب

وأهل الدرب يطلقون على المزارع كلمة « المعامل » ويسمون الركب
« معاد » وهو الوحدة الزراعية لقطع الأرض المزدرع كالقدان ، إلا أنه
كما هو الجاري في الحجاز في الركب أيضاً لاضابط لمقاسه فقد يكون المعاد
كبيرا وقد يكون صغيرا (١) .

(١) جاء في تقرير حضرة الأستاذ السيد عبد الله الدباغ الخبير الزراعي عن
هذه المنطقة بأن المعاد يتراوح عادة بين ٣٥ في ٣٥ باعاً : والباع مقاس بدائي وهو
يؤدر ذراعي الرجل العادي منفردتين أي طول متر ونصف متر .

وأغلب مزارعهم الذرة بأنواعها (١) ثم الدخن ، وأرضها جيدة النبات بل أغلب أراضي تهامة كذلك ، ولقد قُست أحد أعواد الذرة ، فكان طوله سبعة أذرع (٢) .

وإذا ماسال الوادى وسقى المزارع وكان السيل قوياً أمكن زرع الأرض ثلاث أو أربع مرات فى السنة بتلك السقيا فقط دون الحاجة إلى غيرها .

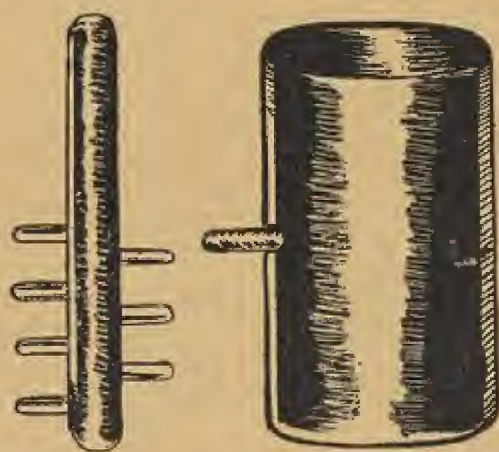
وما شهدته فى الدرب « ويوجد فى غيره من جهات تهامة نبات يسمونه « الحوركة » ورقة ونبتة يشبه ورق ونبت السنمكى أو أدق قليلاً له بذر فى حجم حبة الدخن أدهم اللون يستخرجون من أوراقه صبغاً أزرق اللون « التيلة » ويستعد نبات الحورة للجنى بعد تسعين يوماً من زرعها . ويدوم شجره خمس سنوات يصرمونه فى كل خمس وأربعين يوماً مرة كالبرسيم وطريقة إخراج الصبغة منه بسيطة جداً فهم بعد أن يصرمون النبات يخرطون الورق من الأعواد ثم يحففونه فإذا ما جف تماماً وضعوه فى ماعون من الفخار مثقوب من نحو الثلث منه ، ثم يسدون الثقب بعود وملأون الماعون ماء ويأتون بعصاذات شخائب متخالفة ويبدآن بعصد الورق فى الماعون بالعصا مدة ساعتين

(١) جاء فى تقرير الأستاذ الدباغ أيضاً أنها أربعة أنواع : الحمراء والزبدية والقهرية والشهلاء . وأن الزبدية والقهرية كليهما أبيض اللون . إلا أن سنبل الزبدية يحمر عادة منعكفا على عوده ، أما القهرية فإن سنبلها يكون مستقيماً إلى أعلا والشهلاء بين الأبيض والأحمر :

وجاء فى تقرير البعثة الأمريكية عن المنطقة فى ص ١٩١ أن الذرة البيضاء ضعيفة فى التغذية لنقص مادة الفيتامين فيها سواء أكلت بالخضار أو بدونها ، إلا أنها سرت عندما رأت أهل هذه الجهة يخلطون معها فى عمل الخبز الذرة الحمراء وهى غنية بالفيتامين ، وسبحان الملمهم .

(٢) جاء فى تقرير البعثة الأمريكية المشار إليها ص ١٣ تحت عنوان تهامة . الدرب . نيش . صيبا . أبو عريش . قولها أن هذه الأماكن الفسيحة الامتداد تزرع بمياه السيول فقط . وتنتبت من محاصيل الذرة والدخن نباتاً يدعو إلى الدهشة .

أو أكثر على حسب اللزوم ، فإذا تبينوا خروج الصبغة من الورق بعد العصد تركوا العصد ريثما ترسب المادة الصابغة المنفصلة عن الورق في أسفل الماعون فيطلقون الماء من الثقب ولا يزالون يروقون الراسب مرة بعد مرة ثم يفرغونه على حصيرة ويعرضونه للجفاف ، وبعد ذلك يجمعونه ويبيعونه ، أما بالقطعة أو بالوزن .



« المصدة والماعون »

ويستعملون هذه الصبغة في صبغ ملابسهم ، وقيمة العيبة من الورق الجاف وهي توازي ملء كيس من الخيش تساوي ثلاثة ريالات وتهبط أحيانا إلى نصف ريال حسب جودة المحصول ووفرته ، أو ضعفه وقاته .

مساكن الدرب

وعدد مساكن الدرب لا يتجاوز الثلاثمائة جميعها بل معظمها عشاش . (أكواخ) تحاط أفنيتهما بمخازن من الوشيع ، والعشاش من الداخل مبلطة بالطين كما لو كانت مبنية بالحجارة ، وفي القرية خمسة مساجد من الحجر ، أعظمها المسجد الجامع ، ولكنه خرب مخرق السقف وغير معني به . وجوها حار ، فدرجة الحرارة فيها في فصل القوس آخر فصول الحريف ترتفع ظهرا إلى خمس وثلاثين درجة ، ولا تهبط ليلا عن الخمس والعشرين .

عادات وتقاليد في تهامة

وأهل الدرب يطلقون على الأولاد كلبة ، الجهلة ، . والسرر التي يجلسون عليها داخل العشة كلها من المجدولة بالشريط من الخوص ، وما كان منها واطناً قريباً من الأرض ، قالوا عنه شبرية وإذا كان السرير عالياً لا مساند له ، سموه « كرسى » ، والقعانيد إذا كانت مزخرفة ومحلاة قالوا عنها « تركية » .

ويعتمدون في طعامهم على الذرة والقهوة ، ولا بد أن تكون وجبة العشاء من « الحبيسة » ، وهي عبارة عن فتيت خبز الذرة مسقى بالحليب ومجلى بالسكر إن تيسر وذوو اليسار منهم يضعون عليه مقدارا من السمن ، ويطلقون على طعام الإفطار كلبة « فؤال » ، واستعمالهم للخضار قليل جدا ، والدباء بأنواعها والطاطم ، مما يوجد عندهم بكثرة ، ويسمون الفحم « بخش » ،

وأواني الطبخ والطعام عندهم جميعها من الفخار ، الخزف ،

وأهل الدرب سمر الألوان تخاف الأبدان ، عدى شيخهم « الشيخ محمد



، صورة بعض الاواني الخزفية ،

ابن هادي بن هزاع ، فانه عريض جسم في غاية الطول ، يزيد منظره ضخامة
دقة أجسام بقية أهل الدرب وضمورها مما جعله طرفة بينهم وشيئاً عظيماً .
ولباس الرجال صدر ذات أكمام يسمونها «كُورْتَه» أو صديري ، وأسفل
ذلك الوزرة ، مما تيسر من قماش ، كل بحسب سعة حاله . أما الرأس فعليه
طاقية من الخيزران ، مما سبق القول بوصفه عند الكلام على محابيل ، ويسمونها
«قُبُوع» .



« صورتان يدويتان تمثلان معظم لباس أهالي الدرب من الرجال ،

على أن الكثير من الرجال يكتفي بالوزرة فقط ، ويكون نصفه الأعلى
عارياً لشدة الحر التي تجعل اللباس عبئاً ولا حاجة إليه .

أما النساء فلباسهن ثياب لا أكمام لها واسعة الأردان مصبغة بالزيلة إذا حسرت المرأة الثوب عن كتفها بان طرف ثديها وجنبها ويجعلون الثياب قصيرة للركبة وتحتها إزار مصبوغ أيضا ، ويلتفعن بالخر ويلبسن القبعات الخوص أحيانا لا سماحين العمل في الشمس .

بيش أو أم الخشب

أقنا في الدرب إلى مساء اليوم الثاني واستأجرنا بواسطة شيخ القرية ، حمارين وشخصاً يدلنا على الطريق ثم سرنا نقصد ، أم الخشب (١) ، والطريق من الدرب إلى « أم الخشب » معظمه أخاديد وأراضي رملية ومسابل ضيقة لا تصلح بها عمارة . وأشجار الدوم والسلم منتشرة فيه بكثرة . وبعد سير نحو خمس ساعات وصلنا واد يسمى « سَمَرَة » ، بعد أن مررنا بمكان يقال له « الجبلين » لأن الطريق عنده بين جبلين صغيرين . ومكان يقال له « رملان » وآخر يسمى « الدبر » وواد يقال له « بيش » .

ووادى سمرة كائن في منتصف الطريق . نزلنا فيه على حافة نبع من الماء كائن في بطن الوادى وتعشيننا ، وفي الساعة الثالثة استأنفنا السير مارين بمكان يقال له « المَعْفَر » ثم بحثت البقر إلى أن وصلنا « بئر على » في الساعة السادسة والنصف فأقنا عندها إلى الصبح ثم سرنا مغذين وفي حوالى الساعة الثانية والنصف صباحا وصلنا أم الخشب ويقال لها بيش (١) باسم الوادى جميعه من باب إطلاق الكل على الجزء ، وهى بذلك أشهر . لم نكن نعرف بالقرية أحدا أو بيتاً نقصده ، فأرشدنا مرافقنا من الدرب أن

(١) جاء في كتاب المستر فلي *Arabian Highlands* ص ٦٥٤ إن ارتفاع أم الخشب عن سطح البحر ٤٩٠ قدما تقريبا .

تقصّد مجلس الامارة ؛ ونستضيف الأمير ، فذلك على ما قال سيرة معروفة متبعة لا سيما ممن يمت إلى الحكومة بصلة .

لمزبدا من اتباع ما أشار إليه رفيقنا فوافقناه مكرهين ، وقصدنا مجلس الأمير كما قال ، فكان عبارة عن عشاء لا يتجاوز وسعها المترين في مثلها وفي صدر العشاء كرسي من الشريط ، قعاده ، ولم يكن بها أحد ، فخططنا رحالنا وربطنا حميرنا في ردهة بجانب العشاء تتصل ببית من الحجر الرضخ من طابق واحد خلناه في أول الأمر مسكن الأمير الخاص ، ثم تبين لنا أنه لأحد أقربائه ، ثم جلسنا في العشاء على القعادة ننظر من يأتي ، وبعد نصف ساعة قدم علينا فتى في ريعان شبابه حاسر الرأس مرجل الشعر مئزر يزار من المصانف ، عليه صديري ومتمنطق بخنجر أو شامية كما يقولون على سيانه شهامة ، وفي خلقه وسامة ، تبينا منها أنه الأمير فقمنا لتحيته فحياها شاشاً باشاً ، وبعد التعريف والاستئناس طلب لنا القهوة ثم الشاي وأبدى استعداداه لتأمين ما يلزمنا ، ولم يكن سوى أن نتحصل على حمير تنقلنا إلى صيبا ، فإن ما استأجرناه من الدرب لم يكن إلا لام الخشب فقط .

وهو أمر من أعسر الأمور ، لأن أهل المنطقة جميعاً يرتاعون من تأجيرها على أمثالنا لكثرة مرافقتنا وحملنا ولما يفعله البعض بها من اعتات وارهاق في السير وضرب مبرح ، فأبدينا له حاجتنا هذه ، ومن فوره كلف أحد جلا وزته أن يحضرها فأحضر لنا حمارين

جلسنا مع الأمير مدة تحدث ثم دعانا لتناول الطعام ، ودخل بنا البيت الرضخ المجاور للعشاء ، وقدم لنا مقدارا من اللحم مطبوخاً في صفحة من الفخار وقليلاً من التمر وأقراصا من خبز الذرة . وبعد أن تناولنا ما طاب لنا مما تقدم عدنا الى العشاء في مجلسنا السابق

النعمة الصغرى والنعمة الكبرى

سألنا عن اسم الأمير فقيل لنا أنه الأمير محمد بن قاسم ، ممن

يعرفون بآل النعمة الصغرى ، فانه يوجد نخذ آخر منهم يعرف بآل النعمة الكبرى ، وقد كان للأشراف الحسنية في سابق العهود امارة على المخلاف جميعه .

المساكن والسكان في أم الخشب

وقرية أم الخشب أكبر قرى وادى بيش (١) ، وفيها من المساكن العتش ، ما يقارب الألف ، وسكانها حوالى ثلاثة آلاف نسمة ، وحول القرية الكثير من المزارع أو المعامل كما يسمونها .

ومعظم المزروعات من الذرة والدخن والسمسم على شاكلة الدرب . وسقيها بما يسيل به وادى بيش في موسم المطر ، وبها بضعة آبار للشرب وهي من القرى المشهورة المطروقة دواما فيما بين السراة ومدن تهامة وقراها .

في الطريق إلى صيدا

بعد أن انتهينا من ضيافة الأمير كما سبق القول وتهيأت لنا المراكب أستاذناه للسفر فأذن لنا . ورغب إلينا شخص من جهينة - أحد قبائل شمال الحجاز اتخذ جيزان مقراً له وقدم بيش مكلفاً من أحد تجار جيزان بشراء ما يتيسر له

(١) وادى بيش معروف منذ القدم بهذا الاسم فقد ذكره اليعقوبي المتوفى عام ٢٨٤ أو ٢٧٨ في كتابه « البندان » المطبوع في النجف بالعراق ص ٨٠ عند ذكره لمراحل الطريق بين مكة وصنعاء فقد قال أنها احدى وعشرون مرحلة على تقدير المرحلة ثمانية فراسخ : ذكر منها بيش ثم العرش . ثم قال في صفحة ٨١ « بيش أهلها الأزدي وبها قوم من بني كنانة » والفرسخ ١٢ ألف باع ، وعلى التقريب ثمانية كيلو متراً كما جاء في المنجد . وكلية الفرسخ فارسية .

وجاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني عند الكلام على مدن اليمن التهامية في ص ٤٥ قوله : ثم بيش وبه موالى قریش وساحله عَشْرُ وَاثْنِ عَشْرَ نَسَبِ الْأَسْوَدِ الَّذِي يُقَالُ لَهَا أَسْوَدُ عَشْرٍ وَأَسْوَدُ عَسْتُودَ وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ بَوَادِيهَا وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ مِقْبَلٍ فَقَالَ : جُلُوسُهَا الثَّمِ الْعَجَافُ كَانَهُمْ أَسْوَدُ يَسْرَجُ أَوْ أَسْوَدُ بَعْسُودَ (٩ الرِّحَالَات)

شراؤه من الحبوب والفلال رغب إلينا هذا الشخص في أن يرافقنا في المسير إلى صيبيا فرحبنا بذلك . وفي الساعة العاشرة والنصف من بعد العصر تحركنا وبعد أن سرنا نحو نصف ساعة وأشرفنا على قرية تسمى « السلامة العليا » ، أشار علينا الجيهني أن نخرج على قرية السلامة ، وأن نبيت بها إلى الصبح . لأن الطريق - وهو الخبير به - معظمه بين المزارع كثير المداخل والتعاريج وقد تعرض فيه مع سواد الليل للتعثر والضلال وأتينا لو سلكناه سالمين ، فلزاما أن نبيت على مقربة من صبا فأننا سنأتيها حوالى الساعة السابعة ، أى فى منتصف الليل وليس من الرشد دخولها فى ذلك الوقت .

قال لنا ذلك وتذكرنا المثل « وعند جهينة الخبر اليقين » فوافقناه لاسيما وقد ذكر لنا أنه يعرف أحد سرات القرية ، ومن الممكن أن نبيت فى رحابه ، فلنا إلى القرية وقصدنا دار من ذكر ، فلم يقصر أهله فى بذل ما استطاعوا من إكرام وعناية بنا وطيب ملاقة .

وقرية السلامة هذه ومايلها من القرى إلى صيبيا عبارة عن مساكن للزارعين فى جوار مزارعهم ، فهى أشبه بالعزب على حد تعبير المصريين .

أصبحنا ووجهتنا صيبيا وبعد أن سرنا نصف ساعة مررنا بقرية « أم نخريج » ، أى المخرج ثم بعد نصف ساعة أخرى مررنا بقرية « الملاحه » (١) ، ثم بعد ساعة تقريبا مررنا بقرية الشاخر ، . ومن قرية الملاحه إلى قرية الشاخر هبط بنا الطريق إلى وادى صيبيا ومسيل السيل إليها تاركين المزارع التى لم تنقطع عن شماننا ، ولم تخل حافة الوادى وروايه من أشجار الأراك منتشرة هنا وهناك ، أما بعد أن تجاوزنا قرية الشاخر ، فتد عاد بنا الطريق إلى حفافى المزارع وخليجان مشاربها من الوادى الفحل ..

(١) هى غير الملاحه التى بالسراة وغير الملحاه التى فى وادى تيه .

سرنا نحو ساعة وصلنا بعدها إلى قرية (الأخْبَصِيَّة) وهي من أكبر القرى القريبة من صيبا وأجودها تربة وأوسعها مزارع.

مررنا بها وبعد حوالي ساعة شارفنا صيبا، فلم نواصل السير، بل عرجنا على منخفض من الأرض كثير شجر الأراك والسدر والجيز، فيه بئر للسابلة.

في صيبا

حفظنا رحالنا وتناولنا بعض الطعام وشربنا الشاي، ثم دخلنا صيبا (١) وجهت مدرستها للنزول بها مؤقتا إن اتسعت لذلك، فلما وصلنا المدرسة وجدناها عبارة عن حظير من الوشيع في إحدى جوانبه عريش من الوشيع أيضا موزع إلى ثلاثة أقسام دون حواجز هي فصول الدراسة في المدرسة، وغرفة الإدارة عشة متواضعة لا تتسع لأكثر مما فيها من مكتب المدير وكرسی جلوسه. وكان الطلبة والمدرسون قد انصرفوا وليس بالمدرسة أحد سوى الحارس، فبعثناه أو أهريناه كما يقول أهل عسير السرام ليأتينا بأحد الأساتذة نستعين به في داللتنا على مكان نأوى إليه. فذهب وجاءنا بالأستاذ مدني زكري من أهل صيبا، وبعد أن حيانا وحيدناه وعلم ما نرغب أبي إلا أن يكون منزلا بيته، ولم يكن مناص من موافقته؛ فسرنا معه، وبذل لنا من الأكرام والرعاية ووافر العناية طيلة الأيام التي أقناها بصيبا ما نعجز عن واجب شكره عليه.

(١) قال ياقوت في معجمه ص ٣٣٧ ج ٦ صيبا من قرى عشر من ناحية اليمن : لعل عشر اسم الوادي وهو ما يعرف الآن بوادي صيبا منحدرًا من جبال هروب إلى ساحل البحر. ومن ذكر صيبا صاحب كتاب صفة جزيرة العرب ص ٥٤ على أنها من مدن اليمن النهامية.

حارات صيدا ومساكنها

ومدينة صيدا على نهد فسيح من الأرض^(١) سكانها على وجه التقريب حوالى ستة آلاف نسمة وتنقسم إلى خمس محال ، وهم يسمون المحلة « مركز » ويعرفونه إما بالجهة أو بالنسبة إلى أشهر أسرة فيه ومراكز صيدا هي :

- ١ - الشامي ٢ - اليماني الأسفل ٣ - اليماني الأعلى ٤ - المقامي
- ٥ - الخواجي . وهذه الأخيرة تشمل ما يعرف بصيدا الجديدة .

ومعظم مساكن صيدا وبيوتها أكواخ يسمونها « عششا » تتخذ من أعواد مختلف الأشجار الموجودة في المنطقة ، ويلبد ظاهرها بحشيش الضرم الصلب العود وتيجدها من تساقط الطل عليها ليلا وتطوع الشمس نهاراً كالحة مضرة اللون كثيفة المنظر . أما من الداخل فجميلة في غاية البهاء فانها مبلطة بالطين ومنورة بالجعن الأبيض الناصع ومخللة برغوف من الخشب موضوع عليها ما لدى أهل البيت من نفيس المرافق . وبعض عشش وجهاها في غاية السعة والتجميل .

وعدا ما في العشة من رغوف خشبية ، فان بهامشاجب يعلقون فيها زنايل من الخوص المصبغة بمختلف الألوان والمعن بزخرفتها ، يضعون داخلها ملابسهم وما إليها ، فهي بمقام الدواليب في المدن المنحضرة . كما يعلقون فيها شباكا من الخوص يسمونها « مسكالة » يضعون داخلها أكواب القهوة ومواعين طبخها من الفخار ، ويسمون ماعون طبخ القهوة « جبنة » ، ولا يعتادون فرش أرض البيوت بشيء ما بل هي مبلطة بالطين بعد خلطه بروت البقر الجاف ، ويسمونه ضفاح ويخططونها خطوطا مقوسة

(١) يقول المستر فلي في كتابه *Arabian Highlands* أن صيدا ليست مرتفعة عن سطح البحر بكثير ولعل ارتفاعها لا يتجاوز ٥٠ قدما على وجه التقريب وقدّر سكان صيدا القديمة والجديدة وبيت السيد بـ ٢٥٠٠٠ نسمة ص ٦٣ و٦٥

بشكل جلد السمك على نسق ما وصفت لك في أرض غرف بيوت رجال .
وجلسهم فيها على سرر يسمونها قعايد كما سبق شرح ذلك وبيانه في
الكلام على الدرب . وحتم أن يكون أمام باب العشة عرصة ناهضة عن الأرض
على غرار أرض العشة يسمونها (طراحه) يبرزون إليها بالكراسي ذات



« صورة يدوية تمثل شكل العشة »

المساند أيام الصيف . ولا تخلو صينيا من بيوت من الحجر لبعض سراتها
وأغنيائها لا تتجاوز الخمسين بيتاً بعضها بمحصى من الداخل والخارج ومزخرفة
حفافي أبوابها بنقوش لا بأس بأشكالها ولكنها لا تعدو في الارتفاع الطابق
الواحد ونادر منها ما كان من طابقين .

وقد رأيت أحدها مبنيا بالطوب على شكل عشة يخاله الناظر لأول وهلة
قبة ضريح أو جامع .

وعلى مقربة من محلة الخواجي بضعة بيوت من الحجر ومسجد جامع
وهي المعبر عنها بصييا الجديدة ويطلب على ظني أنها من إنشاء الأدارسة إبان أماراتهم
لهذه النواحي جعلوها مساكن خاصة لهم شهدت منها بيتاً من طابقين واسع
الأرجاء ولكنها جميعها الآن خالية خاوية تطرق إليها الخراب وتهدم بعض
جدارها .

وفي صييا حوالى ثلاثين مسجداً أكبرها المسجد الجامع مربع الشكل في
وسطه ردهة مكشوفة تحيط بها الأروقة .

والطرق والأزقة بين بيوت صييا ليست ضيقة ولكنها كثيرة التلوى
والتعارج .

السوق في صييا

ولصييا سوق دكا كينه خليط بعضها من الحجر وبعضها من الأخشاب
تبلغ نحو مائة دكان فيها الكثير مما يحتاجه سكان المدينة على اختلاف أنواعه
وشهدت في وسط السوق في العراء ثلاث معاصر لاستخراج زيت السمسم
تديرها الجمال ولا تخلو البلد من غيرها .

وفي طرف السوق مما يلي الشرق قلعة أو ثكنة مهدمة قديمة العهد من
أبنية الشرفاء آل خيريات أمراء الأقليم في العهد الأسبق ، تعاقب عليها
الإصلاح والترميم من الحكومات السابقة ، أما الآن فهي خراب مهملة وقد
شهدت على مقربة منها مدفعا قديما الطراز مدفون بعضه في الأرض يسمونه
المدفع العربي .

اللباس

ولباس أهالي صييا في الغالب الأزار والصديري ذو الأكام ، أما غطاء

الرأس قطواقي من الخيزران من جنس ما وصفته لك عند الكلام على محال
بوالدرب .

ولا تعد من أهلها من يلبس الثياب والمعاطف ، الأكوات ، ويعتم
بالأحاريم^(١) ، المصروفة والمعتاد عندنا استعمالها في الحجاز . هذا في الرجال ،
أما النساء فلباسهن القمصان ذات الأكمام القصار إلى المرفق ، ولا يعتدن لبس
السراويل بل المآزر تحت القميص ومظم من محجبات وحليهن معظمها من الفضة
لا تخرج في أشكالها وأنواعها عما وصفت لك عند الكلام على حلي نساء رجال

أهالي صيدا

بأهل صيدا على العموم سمر الألوان تخاف الأبدان في بشرتهم صفاء وفي
أقوام بعض نسايتهم سميرية مستملاحة :

الللهجة

والطمطمانية جارية في كلامهم إلا أنهم أحيانا ينطقون بلام التعريف
على الوجه الفصيح غير أنهم يستفتحون كلمة الفعل المضارع دائما بحرف الشين سيما
ما كان منها على وزن أفعل فيقولون في أفعل شَفْعَمَلْ وفي أنام شَنَام
وفي أقول لك شاقولك ويقولون شَنَجِي بمعنى نجى^(٢) ومن التراكيب التي

(١) مناديل مربعة كبيرة تتخذ من الحرير أو القطن المطرز أغلب ما تصنع
في سوريا وهي شائعة الاستعمال في مدن الحجاز

(٢) قرأت في الأهرام عدد ٢٤١٨٤ وناريخ ٣٠ - ١ - ٥٣ م تحت عنوان
في (لغتنا العامية) بحث الأستاذ عبد العزيز مطر في صدد أصل الفعل « شَنَسَكِل »
جاء فيه أن (أفعل) في اللغة العربية يقابله « شفعل » في اللغة الأكادية كما يقابله
« هفعل » و « سفعل » في المعينية والسبئية . ولا يبعد كما تبادر لحضرة الباحث أن
عنصر الشين في بعض الكلمات السامية أثر من أثار اللغة الأكادية السامية انقرض
استعماله في اللغة العربية الفصحى يؤكد ذلك ما ذكرته لك بل ومعظم سكان الساحل
الجنوبي للجزيرة العربية ينطقون هذا الفعل مسبوقاً بحرف الشين حتى اليوم .

يستعصى فهمها على غيرهم ما سمعته من قولهم « شَيْدَشِقُ الفانوس » بمعنى يشعل الفانوس « مالك مكعبِر » بمعنى لاى شئ جالس ويبدلون العين بالآلف في النطق فأبدالله بدلا من عبدالله وأم سؤدية بمعنى السعودية .

ومن غريب ما سمعته من شخص كان يسايرنا من أم الخشب إلى صيبا -
كلمة « أَبَاو » وهي كلمة يؤكد بها المتكلم ما يقول ومن كلماتهم الغريبة « بَيْح » بمعنى ثق

الطعام وأوانيه

ومن أطعمة صيبا . الخُصْثِير : يصنعونه من فتيت خبز الذرة مضافا إليه السمن والعسل أو السكر و : العَكِيد : وصنعه كالحضير إلا أن دقيق خبزه متخذ من الذرة الخضراء المجنية قبل أن تيبس في عودها .
والمعصوب : ويتخذ من دقيق البر الخالص يخبزه كالمقائف ثم يدقونه بآلة حادة إلى أن يمسى كقطع اللحم المفرومة فيضعونه في صفيحة الأكل كالقبة ويضعون حوله السمن والعسل وأحيانا يضعون على القبة قطعة وافرة من إلية الكباش المسلوقة ، يرون في ذلك امعانا في اكرام الضيف .
ويسمون صحاف الطعام « المفَسَّي » ومن أسماء أواني الطبخ عندهم - الخُفْشَه والكُرْمَه - والجفْرَه وكلها . عبارة عن قدور من الفخار أو الحجر على مختلف الأوضاع لكل وضع اسمه المخصوص .

مناخ صيبا

ومناخ صيبا حار رطب ، ودرجة الحرارة كانت تبلغ أثناء وجودى بها في فصل القوس ظهراً في الظل ستة وثلاثين درجة ، وتتراوح في طرفي النهار بين الثامنة والعشرين والرابعة والعشرين ، أما ليلاً فتهبط إلى الخامسة عشر درجة لأن ليلاً كثير الندى والظل . والماء في صيبا عذب المذاق .

وادی صیبا وقراه

ووادی صیبا واد فسیح ینحدر من جبال تسمى « هَرُوب » تمتد کثیر من الأودية المجاورة ، وعلى مقربة من صیبا فی جنوبها الشرقي غابة من شجر السدر البقی ریانة رائعة المنظر جدآ . تمتد شرقا إلى قرية المخرض ، وغربا إلى قرية الباهر ، وحول صیبا عدة قرى منها العدایا : « وُحُورِین » - « البَاحِرُ » - « القَرَی » - و - « صُلَیْبَةُ » - و - « الأَخْبَصِیَّة » .

الحاصلات الزراعية

ومتوجاتها الزراعية من الحبوب فی الأغلب الذرة ، ومن متوجاتها السمسّم والدخن والدجر « الکشری » ، وأهل مکة یفضلونه علی ما یردهم منه من الهند ینسبونه إلى جیزان ، واللویا ویقولون عنها (دجر) أيضا . ومن متوجاتها من الخضر : القرع ، والفجل ، والطاطم ، والبامیه ، والملوخیه ، وغير ذلك من أنواع الخضروات التي یصلح زرعها فی المناطق الحارة ونما یکثر فی صیبا غراس الفل والریحان والمرزنجوش^(١) ، ویسمونه « الوُزَّاب » ، والبابونج ، ویسمونه « سُکَب » .

ونما یجلب من الفواکه والثمار إلى سوق صیبا من البلاد الیمینة : الملاصقة للمنطقة الموز والأترج والفافوی ویسمونه عنبروت ، أو عنبة فلفل ، والآنّب^(٢) ویسمونه (عنبة کوع) والقشطة ویسمونها « شَفَلَح » ، یجلب إليها ما ذکر من قرية السَّضِیر وهی علی مرحلتین من صیبا کما قیل لی . کما یجلب إليها من صعدا أحيانا العنب والرمان والسفرجل .

(١) یقول له الحجازیون : الدوش (٢) المنجة

واخال ان ما يجلب إليها مما ذكرت لا يصل في حالة صلاح عدا الموز
والسفرجل لأن النضير بعيدة كما ذكرت وصعدا أبعد ، والقوم لا يحيطون
بمعرفة ما يوجب وصوله سالماً جيداً .

وما يوجد في هذه الضواحي ثم كأنه صغار البطيخ أو كبار الخنظل يكاد
جوفه كله يكون بزرًا في شكل بذر البطيخ الحبيب . يأكلونه محمصا كما يؤكل
بذر البطيخ الأخضر ، ويسمونه « زَعَقَة » ،

وما يزرع في ضواحي صبيا ، البطيخ الأخضر ، وقد ذقته فكان لا بأس
بخلأوه والخربز وقالوا لي أنه يكون شديد الخلأوة .

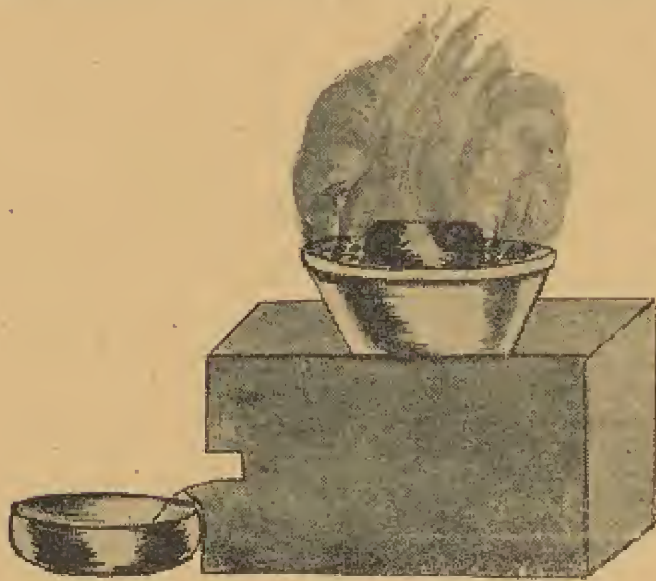
عملية استخلاص القطران النباتي

وما شهدته في طرف مدينة صبيا طريقة استخلاص القطران النباتي ، وذلك
أنهم يأتون بحجرة من الفخار ضيقة الفوهة فيحشونها بأعواد العثم الطرية الدقيقة
أو ما شاكله من أنواع الشجر المستعد لافراز المادة المذكورة ثم يضعونها
مقلوبة على بناية خاصة مربعة ترتفع عن الأرض بقدر شبر داخلها مفروش
بحجر واحد خفيف يجعلون طرفه بارزا من جهة كالميزاب ثم يحكمون سد ما بين
الحجرة والبناية المربعة بما أحاط بفوهة الحجرة وبعد ذلك يحيطون القسم البارز
من الحجرة بدائرة من الصفيح تعلو أطرافه ظهر الحجرة المفروسة في البناء ، ثم
يضعون على الظهر الفحم أو القش أو أى مادة قابلة للاحتراق كبر الجمال
أو روث البقر ، ثم يوقدونه فتصهر الأعواد في داخل الحجرة من أثر الحرارة
ويتقطر ما فيها من ماء ومادة سائلة من فوهة الحجرة على الحجر ، ويسيل من
طرفه البارز إلى الخارج فيتلقونه بقدر أو أى ماعون . ولا يزالون
يوقدون على أعلا الحجرة إلا أن يكف السائل وتحترق الأعواد تماماً .

يخرج السائل على ثلاثة أنواع : ماء محمر أصهب ومادة دهنية وسائل

عبيط هو القطران المعروف . ينشلون المادة الدهنية ويسموننها ، صفا ،
ويريحون الماء ويسموننه ، صفود ، .

أما القطران فعلوم جهة استعماله ، وأما الماء والدهن فانهم في هذه



صوره يدوية تمثل استخراج القطران

الجهات يستعملونه في غسل الرأس ودهنه لقتل ما يتولد فيه من القمل ، كما
سبق القول عند الكلام على رجال .

إمارة الأدارسة - نجم يتألق

ولما كانت مدينة صيا قبل بضعة عشر من السنين عاصمة للإمارة
الأدرسية سلف الحكومة الحاضرة ، فاستعرض لك بياناً موجزاً مقتضباً
عما سمعته من بعض أهلها عن الأدارسة وكيف نشأت إمارتهم وكيف تلاشت
ينسب السيد محمد الأدريسي رأس الأماراة الأدرسية إلى السيد أحمد
الأدريسي المخزني الذي قدم من المغرب في أوائل العقد الثالث من القرن الثالث
عشر إلى الحجاز ، ثم انتقل منه في سنة ١٢٤٤ إلى تهامه .

فهو السيد محمد ابن السيد علي ابن السيد محمد ابن السيد أحمد المشار إليه .
وكان السبب في نشوء إمارة السيد محمد ومبعث طموحه إلى تأسيس
حكومة في هذه المنطقة ، أنه بعد عودته بمدة وجيزة من رحلة إلى السودان
ومصر قضى فيها بضع سنوات منتسبا إلى الأزهر الشريف بمصر لطلب العلم
توفي أبوه السيد علي وكان السيد محمد أكبر أولاده ، تخلفه في طريقته الصوفية
وأُمسّت له نفس الحرمة والمكانة التي كانت لوالده . وكان سكان الأقليم
إذ ذاك في حالة من الفوضى والجهالة لتقصير الحكومة العثمانية وإهمالها .
وقبائل تلك الجهة في حالة جاهلية يعتدى بعضهم على بعض ، وينهب بعضهم
بعضاً ، ولم تعد للضعيف حرمة أو حماية بينهم . وكان بين سكان صيبا و قبيلة
الجعافرة بصفة خاصة ضغائن وإحسَن رأى بعض عقلائهم من الطرفين أن
يوسطوا السيد محمد في إزالتها وتصفية الخواطر مما عاقر بها من الحقد صيانة
لما بينهما من حقوق الجوار والمصالح المتبادلة ومنعا لتعدى بعضهم على بعض
فتوفق السيد إلى أن يصلح بينهما ورضى كل منهم بخفارتة وضمانه على صيانة
الحقوق وعدم التعدي . ومضى زمن والأمور مستقيمة والحقوق بينهما مصونة ،
غير أن بعض سفهاء صيبا من أهل مركز الشامي وإحدى محال صيبا - في أحد
أيام السوق الذي يقام عادة في صيبا في كل أسبوع ويأتيه الجعافرة وغيرهم
لتبادل العروض والمنافع اعتدوا على امرأة جعفرية ونهبوا ما معها مما كانت
أتت به لتبيعه في سوق صيبا . فاستعدت المرأة عليهم السيد محمد وشكت إليه
ما حصل عليها وبمقتضى خفارتة وضمانه بعث إلى المعتدين يطلب رد ما سلبوه
من المرأة وتعويضها على ما تقتضيه القواعد والعرف المرعى بينهم فأبى الفعلة
وأنكروا ما حصل منهم مما أغضب السيد والجاه أن يستنفر أهل مركزه
ويستنهضهم لحماية ضمانه ولو بقتال أهل مركز الشامي فاستجابوا لما يريد ، فان
حرمة حرمتهم واتهاكها انتهاك لحرمتهم .

ولما علم عقلاء مركز الشامي بالامر وما اعزمه السيد وأهل مركزه من قتالهم ، خافوا أن تنطور الأمور إلى ما لا تحمد عقباه لما للسيد من حرمة ومكانة دينية ، وبادروا بارغام الفعلة على الاعتراف ورد ما أخذوه من المرأة ، ولكن السيد لم يعد يرضيه ذلك بعد أن لمس صدق الخزيمة من أهل مركزه في شد أزره واستجابتهم حتى للقتال معه ، بل أصر على قتل من أخاف السبيل وانتهك حرمة السابلة وخفر الذمة والمهد .

وبعد مداولات وأخذ ورد تنازل السيد بأن يكتبي بجز نواصهم على ملا من الناس في يوم السوق إذ لا لهم وتشهير بهم . وجز النواصي عند العرب أشد مرارة من القتل ولكنهم لم يجدوا بدا ولا مناصا من الاستجابة فجرت نواصي المعتدين يوم السوق وشهر بهم أعظم تشهير .

هذه الحادثة أضفت على السيد فوق حرمة الدينية سطوة الحاكم وزادت من هيئته في النفوس ، وكان السيد حصيفا فامتثل الحادث بأوسع معنى الإستغلال ووسع دائرة الحلف والتماقد على صيانة الحقوق وحرمتها مع غير الجعافرة ممن له مصلحة في ارتياد شوق صبيا الأسبوعي من القبائل الأخرى .

وأعان السيد على ذلك ما كانت عليه نفوس القبائل من السأم والملل من حالة الفوضى التي هم عليها وتعدي بعضهم على البعض مما أدى إلى ضياع مصالحهم ، فقد كان الناس جميعا من أهل الأقليم في تعطش لحالة الاستقرار والأمن اللذين فقدوهما بسبب ضعف الحكومة التركية وإهمالها وسوء إدارتها .

فتوافد على السيد كثير من رؤساء القبائل المجاورة يطلبون منه الدخول فيما دخل فيه أمثالهم من حلف ، وذاع صيت السيد بينهم ، وانتشر ذكره بالثناء والحمد . مما لفت نظر والى الجديدة إذ ذاك ، فكتب إلى أصحاب الشأن

من رجال الحكومة العثمانية في استانبول يذهبهم ويلفت نظرهم إلى السيد وما يخشى منه .

لكن رجال الحكومة في استانبول حينئذ كانوا في شغل شاغل عن مثل هذه المناطق النائية عنهم بما هو جار بينهم من تنافس وتحفز بين كل من رجال حزب الاتحاد والترقي وحزب الائتلاف للوصول إلى كراسي الحكم والسلطة بعدما أعلن ما أسماه الدستور فاكتفت بأن تبعث مندوبين من طرفها لاستطلاع حقائق الأمور وجلب رأي أمير السيد محمد ونواياه ، وكان السيد ابناً حكيماً مع من اتصلوا به من المندوبين مما جعلهم يطمئنون إليه ويسندون إليه رتبة قائم مقام لصيا وما جاورها .

اشتد ساعد السيد محمد وازداد نفوذه انتشاراً وأصبحت له صفة الحاكم الشرعي ومضى على ذلك سنتان والأمور مستقرة والسيد موظف من موظفي الدولة فلم يرق هذا لبعض أشراف المخلاف من كان لهم سابق سلطان ونفوذ في البلاد وحسده على ما وصل إليه ، وكان أبرزهم في إظهار ما يضر من الضميمة والمجاهرة بها الشريف أحمد الخواجي من الإشراف الخواجية آل مهنا ولم تعد تخفى على السيد محمد حاله ومناقضته إياه فتربص به واتمس عليه بعض الهنات وأرسل له رسلاً يدعوته للحضور إليه فامتنع وحصلت بين رسل السيد وبعض خدام الشريف مشادة أدت إلى تراشق بالبنادق على عادة ما يجري بين اتباع رؤساء القبائل والعشائر .

فاتهر السيد محمد فرصة هذه الحادثة ، واتهم الشريف أنه من يريدون الفساد وإثارة النتن والقلاقل وجد حتى تمكن من القبض عليه وسجنه ثم قطع يديه من المرفقين .

بعد أن حصل على الشريف ما حصل استطاع أن يهرب إلى الحديدية ومنها إلى استانبول شاكياً على رجال الحكومة ما حصل عليه من بغي

ويستطاع ما أصبح عليه السيد من نفوذ وسلطان ما أوجب لديهم الريب والشك . في نواياه مرة أخرى .

فكتبوا إليه يطلبون منه الحضور إلى استانبول بصفته موظفاً من موظفي الحكومة للتحقيق معه في الحادث ومحاكمته ، فامتنع عن إجابتهم إلى ما طلبوا معتزاً بمن اتفق حوله من القبائل وبما أصبح له من مكانة وحرمة فوق حرمة الدينية متمثلاً لسان حاله بما قاله أحد أمراء مكة في أواخر العهد العباسي في قصة مماثلة .

ولى كف طرغام أصول بيطشها واشرى بها بين الورى وایسع
أجعلها تحت الرحى ثم أبتنى خلاصا لها أنى اذن لرقيع
وما أنا إلا المسك في أرض غيركم أضوع وأما عندكم فاضيع
كبر ذلك على الحكومة العثمانية فجهزت قوة من الجند تحت رئاسة المدعو محمد راغب وأرسلتها إلى جيزان وهو الثغر الوحيد الذى لا يزال لهم فيه نفوذ بفضل من كان يعسكر فيه من الحامية وأمره باقتفاء أثر السيد والقبض عليه والأتيان به إلى استانبول .

وصلت القوة جيزان وعلم السيد بأنها ليست من الكثرة والاستعداد إلى الحد الذى لا يمكنه معه مقاتلتهم .

وما أن وصل القائد المذكور جيزان حتى كاتب السيد محمد يرغبه في الاستجابة لأوامر الدولة . وجرى بينهما أخذ ورد وتبوءت بينهم الرسل ولكن السيد أصر على الامتناع فزحف محمد راغب بما أتى به من قوة وكان السيد محمد قد استعد لملاقاته وقتاله وفى مكان يقال له الخفائر يبعد عن جيزان بأربعة كيلو مترات ، التقت القوتان ونشب القتال بينهما وانتهى بتراجع القوة التركية إلى جيزان ومطاردة جنود السيد محمد لها بما أوجب عليها الهرب في المراكب الشراعية والاتجاء إلى الحديدة واستيلاء السيد على جيزان وانقطاع دابر الحكومة التركية من المخلاف جميعه

في تلك الأثناء كانت الحكومة الإيطالية قد اعتدت على طرابلس الغرب
عن ممالك الحكومة العثمانية واحتلتها وأعلنت على العثمانيين الحرب .

ومن المعلوم أن للحكومة الإيطالية مستعمرة أرتريا الحبشية ونثرها مصوع
وهي واقعة على الساحل المقابل لسواحل تهامة عسير فانهزت حصول الفتنة
والثورة من السيد محمد وأخذت تبذل له بعض المعاونات وتمده بالمال والسلاح
لأنها كانت تطمع يوماً ما في الاستيلاء على هذه الجهات والتسلط عليها
مما تجلى على أتم وضوح في عهد موسولينى وكاد يقع لولا تصدى الانكليز
وممانعتهم استبقاء لانفرادهم بالنفوذ والسيطرة على الجزيرة وأمرائها .

ظلت المناوشات بين السيد وبين الحاميتين التركيتين المعسكرتين في الحديدية
وأبها قائمة مستمرة . وكان من أهمها محاصرة السيد محمد لمدينة أبها حوالى تسعة
شهور وتصدى أمير مكة حينئذ الشريف الحسين بن على مأموراً من طرف
الحكومة العثمانية لفك حصار أبها كما أوضحت ذلك في صدر هذه الرسالة
وشرحته بشيء من التبسط في تاريخ عسير السراة الملحق بهذه الرحلة .

فلما نشبت الحرب العالمية الأولى تنفس الزمن للسيد محمد وانصرفت
الحكومة العثمانية إلى ما هو أدهى وانتهت الحرب بهزيمتها وحليفتها المانيا
وانتصار الانكليز وحلفائهم وكان من أثر ذلك انسحابهم من البلاد العربية
جميعها .

وفي أبان الحرب وأثناء قيامها تمكن الانكليز بواسطة حاكم عدن من
الاتصال بالسيد محمد وعقد محالفة معه ضد الحكومة العثمانية . كان من جملة
بنودها استعمال كل الوسائط السياسية عند ختام الحرب في تأليف مطالب
السيد الادريسى مع الامام يحيى أو أى خصم آخر .

وكان السيد يطمع في الاستيلاء على الحديدية وقد احتلها الانكليز في أثناء

الحرب فلما أعلنت الهدنة بين الحكومة والحلفاء طلب السيد الاستيلاء على الحديدية فآخلاها له الانكليز لأن حكومة الين لم تكن على وفاق معهم فأتسعت بذلك رقعة إمارة السيد وازداد سلطانه .

كما حاول بعد أن رحلت الحامية التركية من أبها عاصمة عسير السراة أن يستولى عليها وأن يضم العسيريين تحت لوائه ولكنه فشل في محاولته السياسية والحربية ولم تتحقق رغبته كما سيحيى بيان كيفية ذلك في تاريخ عسير السراة في غضون مائة وخمسين سنة الملحق بفصول هذه الرحلة

أقول واضمحلال

ظل السيد محمد الأدرسي متمتعاً بما وصل إليه من انفراد بالسلطة والحكومة إلى أن توفي في يوم الثالث من شعبان سنة ١٣٤١ فاضطربت البلاد ووقع اختلاف فيمن يخلفه وأخيراً وبعد أن رفض أخوه السيد الحسن أن يقوم مقامه بويح ابنه السيد علي وكان إذ ذاك قتي لم يتجاوز السابعة عشر ظلت الأمور مستقرة مدة عام لم تختلف في أثنائه عما كان عليه الحال في حياة والده ولكن بعد ذلك دبّت دواعي الغيرة والتحاسد بين أعيان صديا ورجالها فقد كان ممن حصل له نفوذ ورعاية لدى السيد علي من أهالي صبيا يحي زكري والشريف حمود الحازمي فلم يرق ذلك في نظر غيرهم من أعيان المخلاف أمثال محمد يحي عوض باصهي والسيد محمد حيدر من سكان قرية الملح وسادتها فسعوا بن السيد علي وبين عمه الحسن بالآفساد وإيقار الصدور فسامت العلاقة بينهما .

وكان ممن قدم صبيا في عهد السيد محمد السيد مصطفى القرني أحد أفراد العائلة الأدرسية المقيمين بمصر من أبناء عم السيد محمد وظل بها إلى ما بعد وفاته فرأى السيد علي بعد توليه الإمارة وتوجسه أن المشار إليه ممن يوالون عمه السيد الحسن ويودون توليته الإمارة أن يتآلفه بما يبعده عن عمه السيد حسن ومحيط صبيا ، فاستند إليه ولاية الجديدة . .

وما كاد يستقر بها ويتمكن حتى نقض عهد السيد على وتظاهر باعلان بيعه السيد الحسن وموالاته ، مع أن السيد الحسن نفسه لم يكن قد تظاهر بقبول الدعوة له ، مما دل على أن هذه البيعة إنما كانت تليسا وتمويها لمقاصد خفية له لا تبعد أن تكون وراثة السيد محمد فيما شاده وابعاد ابنه وأخيه معا وتولية الامارة .

أعلن التمرد على السيد على وأخذ يجمع الجموع للقتال وفعلا زحف بما يجمع لديه من الحديد بقصد الاستيلاء على صيبا واستولى في طريقه على قريتي اللحيّة والزبدية من قرى الساحل فيما بين الحديد وصيبا .

فانبرى له السيد على ودار بين الفريقين القتال وانتهى بتقهقر قوة السيد مصطفى وتراجعها واندحارها ودخول السيد على الحديد ظافراً منتصراً وهروب السيد مصطفى والتجائه إلى قبيلة الزرانيق ثم عودته إلى مصر .

كان دخول السيد على الحديد في ابهة عظيمة من كثرة من النف حوله من القبائل فداخله شيء من الضرور والمجب فلما أن رجع صيبا وكان قد بلغه في أثناء سيره الكثير مما حيك ضده من دسائس بقصد خلعهم - جمع نحو أربعة عشر نفرا من أعيان صيبا وجيزان وأمرهم بمغادرة البلاد فغادروها كل إلى حيث عن له

بعد ثلاثة أشهر بما سرده لك من الحوادث انتزى إمام صنعاء فرصة هذا الشقاق والأرتباك وزحف على الحديد فانزعها ولم يكتف بذلك بل واصل جيشه الزحف إلى أن وصل إلى سامطة فانبرت له قبائل تلك الجهة من نفسها وقائلوه حتى أرجعوه إلى حررض وميدى .

لولا ذلك لاستمر في زحفه إلى جيزان وصيبا ولا يستطع السيد على مقاومته فان الأمور كانت من جراء عدم تصرفه التصرف الحسن في غاية الارتباك والاضطراب لأنه اتخذ بعد أن أبعد من ذكرنا من الأعيان بطانة ليسوا أهلا لأن تقوم بهم إمارة أو تساس حكومة .

كانت هذه الحوادث في أواخر عام ١٣٤٣ وفي أوائل عام ١٣٤٤ حل في المخلاف السيد الشريف أحمد السنوسي الطرابلسي المشهور لما بينه وبين الإدارة من وشائج الصلات الروحية فتوسط بين السيد علي وابن عمه السيد الحسن لازالة سوء التفاهم فلم ينجح لأن العداء كان قد باغ الذروة بينهما .

وكان السيد أحمد السنوسي يميل إلى السيد الحسن ويرجح توليه الإمارة فأخذ يناصر من يرى ذلك من أهل المخلاف إلى أن تمكنوا من تأليب القبائل على السيد علي وقتاله ومن معه في جيزان فانه كان قد ترك صيدا واتخذ جيزان مقراً له ابتعاداً عن عمه الحسن . وانهى القتال بهروب السيد علي ودخول أنصار السيد الحسن جيزان ، وأخيراً بخلع السيد علي وإعلان إمارة السيد الحسن . كان هروب السيد علي إلى جزيرة أمته القريبة من جيزان ثم انتقل منها إلى جزيرة فرسان وهي أيضا لا تبعد عن جيزان بأكثر من أربع ساعات بالزوارق الشراعية .

لم يطل انزواء السيد علي في فرسان بل بعد شهر تقريباً رجع إلى صيدا مستسلماً وظل في صيدا نحو أربعة عشر يوماً طالب أثناءها من عمه السيد الحسن أن يأذن له بالسفر إلى مصر لطلب العلم فأذن له بذلك . ولم يكن صادقا فيما أبداه من قصد طلب العلم بمصر بل سافر إلى مصر وعبدلاً من أن يقصد مصر كما قال ، قصد الحجاز ملتجئاً إلى الامام عبد العزيز آل سعود بمكة .

ظل السيد حسن متصرفاً في البلاد وفي نهاية عام ١٣٤٤ عاد من كان أبعدهم السيد علي من أعين صيدا وجيزان وحتى السيد مصطفى الزبيري فانه عاد إلى صيدا ولما عاد متديبا من إحدى شركات البترول الانكليزية لمفاوضة السيد الحسن في استثمار ما يوجد من البترول في جزيرة فرسان .

وفعلاً تم الاتفاق بأن تدفع الشركة مقدماً ومقابل احتكارها استخراج البترول مبلغ مائتي ألف جنيه وأن يكون الخمس مما تستخرجه من نصيب البلاد

الحماية السعودية

قبل مقدم السيد مصطفى لما ذكرناه كان السيد الحسن قد ضاق ذرعاً من تحمل أعباء الحكم وبيدوا إلى أنه كان متخوفاً من التجاء ابن أخيه للسعوديين وما قد يحدثه من متاعب فندب السيد محمد المرغني أحد أقرباء الإدارة إلى الامام عبد العزيز يطلب حمايته للبلاد . وبعد أخذ ورد وافق الامام عبد العزيز على طلب السيد وندب إليه أحد رجالاته وهو صالح عبد الواحد وأخذ في مد نفوذه ووسائل حمايته للبلاد .

وفي عام ١٣٤٨ كان المندوب من الحكومة السعودية حمد الشويعر ويبدو أنه لم يحسن العلاقة بالسيد الحسن فطلب من الامام عبد العزيز إبداله والتوسع في ندب مختصين في الأمور المالية بل وتولى حكم البلاد حكماً مباشراً فأجابته إلى طلبه وعين بدلاً من الشويعر فهد بن زعير وضم إليه بعض الحجازيين من موظفي المالية وغيرها .

على أن الصفاء بين هؤلاء والسيد الحسن لم يدم طويلاً فقد تعمكرت العلاقات بأكثر حدة وتوترت أعماسهم .

والمتبين أن السيد الحسن ندم على ما أبداه من طلب العون وخاب فيما كان يأمله من ذلك ، فثار يطلب التخلص مما ورط نفسه فيه ، ولكنه باء بالفشل فقد نجح في البلاد من بشائع الأوضاع الجديدة ويؤازرها ، وانتهى الأمر بهروب السيد الحسن التجائه ومن صحبه من أفراد العائلة الإدارية إلى امام صنعاء واستيلاء السعوديين استيلاء تاماً على البلاد .

وبعد سنة تقريباً وقعت الحرب المعروفة بين الصنعانيين والسعوديين وكان من نتائجها تسليم الصنعانيين السيد الحسن ومن معه من الإدارة للسعوديين وهم الآن محجوزون بمكة ولهم مرتبات شهرية يتقاضونها ، يحوطهم جلالة الملك عبد العزيز بمظفه ورعايته ، ولله في خلقه شؤون .

إلى « أبو عريش »

أقمت في صديا خمسة أيام انتهيت فيها مما أنا بسبيله من استطلاع حال الدراسة والمدرسة وفي جُهْمة ليلة الأربعاء الرابع من شهر ذى القعدة سنة ١٣٩١ شددنا رواحلتنا وسلكنا الطريق إلى أبو عريش وبعد مسير ساعتين وصلنا قرية « ظَبْيِيَه » وهي قرية في الطريق لاختلاف مساكنها عن أشكال مساكن صديا وكانت غابة العرج التي وصفتها لك في ضاحية صديا تلازمنا كما أن مزارع الذرة من الجانب الآخر لم تنقطع إلا فترات قصيرة .

مررنا بظبييه ولم نخرج عليها وارتفع بنا الطريق إلى خبت ليس به شيء من المعامل كما يقول أهل هذه الجهة غير قطع متناثرة فيها بعض زرع الدخن . سرنا في الخبت المشار إليه بقدر نصف ساعة أو يزيد قليلا فوصلنا قرية « خَضْرَة » وهي قرية كسابقتها « ظبييه » قائمة على واد ينسب إليها تحوطها بعض المزارع من الذرة . قطعنا وسط الوادي وفي ظل شجرة من شجر الأثل وما أكثره في طريقنا هذا حططنا رحالنا وتناولنا فطورنا وكانت الشمس قد ارتفعت فتعجلنا الرحيل وسرنا نصف ساعة بين مزارع (خضرة) ومعاملها ثم هبط بنا الطريق إلى غابة من الأراك يسمونها (الهيجَة) وعلى حد تعبيرهم (أُمُ هَيْجَة) .

بين الغابة والمزارع - فتنة وجمال

سرنا في الهيجَة ما يقارب الساعة وأشجار الأراك الناضرة ممتدة عن شمالنا ويمينا وعلى مد البصر من أمامنا .

ولم يترك أهل تلك الناحية ما بين شجر الأراك من فراغ هملا بل يثروه دخنا نبات واستوى على سوقه ومالت سنابل حبه بذرى أعواده فتوالت مناظر الغابة وغدت مباءة لشتى أنواع الطير على مختلف ألوانه ، عاكف على

التقاط حب الدخن من سنابله ، كان ينفر فرعاً كلما سمع خشخشة أرجل رواحلنا ويأوى إلى مخابئه فيما تشابك من شجر الأراك مرسلاً ، من الصدح والتفريد ما خلناه في ذلك المحيط كأصوات المثنائ والمثالث .

وقد كان الجو ندياً طرياً لم تؤثر فيه أشعة الشمس وحرارتها رغم أنها شارفت الإستواء والهواء ليناً رخياً تمر نسائته على وجوهنا مرور الآس العطوف . لحظات ودقائق مضت ونحن نسير في تعاريج الطريق بين أشجار الغابة لا بسنا فيها من السرور والاستئناس ما ودنا معه لو أن الطريق على حاله هذا يمتد بنا شهوراً وأياماً .

انتهت الغابة وباليتم لم تلتها وأشرفنا على واد عظيم يعرف بوادى جيزان تقوم على ضفافه الجنوبية قرية « القَعْدَه » مساكنها كأمتالها السابقة إلا أنها قرية صغيرة أجزناها ومزارعها ومال بنا الطريق إلى خبت آخر قطعناه في مسافة تقل عن المسافة التي قطعنا بها الخبت السابق ومن نهاية هذا الخبت بدت لنا أبو عريش .

مدينة أبو عريش

تقوم هذه المدينة على نهد من الأرض (١) مستطيلة الشكل من الشرق إلى الغرب معظم مساكنها من العشاش كهصيا إلا أن البيوت من الحجر تكثر فيها ولكنها من طابق واحد فقط ذات سقوف عالية فارعة .

(١) يقول المستر فلي في كتابه *Arabian Highlands* أن ارتفاع أبو عريش عن سطح البحر تقريباً ٢٥٠ قدماً صفحة ٥٧٢ وان طولها من أقصى الشمال الغربي إلى أقصى الجنوب الشرق أقل من ميل تقريباً وفي عرض مثله بحيث تمثل السطليسية الورق التي يلعب بها الأولاد .

ولعلم كانت تعرف قديماً « بالعرش » فقد جاء في كتاب البلدان لليعقوبى المتوفى عام ٢٧٨ عند ذكره المراحل بين مكة وصنعاء قوله (ثم يبا ثم المعفر ثم ضنكان ثم زنف ثم ريم ثم ييش ثم العرش من جازان) وأبو عريش اليوم قائمة على وادى جيزان .

وأبو عريش أعلى عن سطح البحر من صيبا والجبال لا تبعد عنها كثيراً
فدرجة الحرارة فيها ظهراً لم ترتفع عن إثنين وثلاثين درجة وتهبط ليلاً إلى
الواحد والعشرين ومناخها أجف من مناخ صيبا وأرضها أخشن تراباً .
وأهلها مضيافون يتوددون إلى الغريب وبالفوتة وهم أنشط حركة وأخف
روحاً من غيرهم من سكان هذه الجهات .

ويوتها لا تزيد عن ألفي بيت وتنقسم إلى أربع محال ويسمون المحلة
مركزاً ويعرفونه بالجهة كأهل صيبا وأحياناً يقولون (حَشْوَة) ولكنهم
أكثر ما يطلقون الحشوة على منازل الأسرة وأبناء العمومة المتقاربة في المحلة
وعادات أهلها وملابسهم لا تختلف عما وصفته لك في صيبا إلا أن
النساء يزدن في مخرجهن إلى جاراتهن بلبس ثوب أبيض واسع الأردان يمثل
الملاحة ومعظمهن محجبات كثيرات الاحتشام .

والطمطمانية في لهجتهم أكثر تفشياً من أهالي صيبا .

ولأبو عريش ماض مجيد فقد كانت عاصمة الأمراء آل خيرات حكام
الأقليم جميعه في العهد الأسبق . ومنهم الشريف حمود المعروف بأبو مسبار
عاصر العهد السعودي الأول وقد رأيت عند بعض أفاضل أهل رجال رسالة
في سيرته سماها مؤلفها نفع العود في سيرة الشريف حمود .

ومن آثاره في أبو عريش مسجد جامع سقفه من ثمانية عشر قبة له
حريم مكشوف بقدر سعة وهو الآن خراب ، وقيل لي أنه في عهد صلاحه
كان يتوسط البلدة لما كانت عليه من السعة والعمران ، أما موقعة الآن ففي
طرف حشوة الرفاعية بعض سكان أبو عريش .

وفيها حوالي أربعين مسجداً غيره . أقدمها عهداً مسجد ينسب لأحد
أئمة اليمن الصنعانيين ذو ثلاث قباب منها واحدة متهدمة رأيت على واجهة
محرابه هذين البيتين ولم أفقه لهما معنى .

أيها الناظر هذا من شريف ولي العزم وقاده
كان ما كان من المجد الذي أعمر البيت أعاده
وسكان مدينة أبو عريش على أكثر تقدير لا يتجاوزون أربعة آلاف
نسمة (١).

ومن طريف ما شهدته في مساكنها من الداخل — أطباق صغيرة من الصفيح
أو هي منافض السجائر المستعملة في الخواضر مخروقة ومعلقة بخيوط صفوفاً
فوق بعضها البعض يتخذونها زينة وتحلية للجدار فإذا هجمت الريح من باب
الحجرة أو العشة داعبتها فتصافقت وأحدثت رنيناً وشنشنة.

الموز ينبت من قرون البقر

كنا مدعوين للشاي والقهوة عند بعض أهل القرية وجرى الحديث في
الفواكه والثمار ما ينبت منها لديهم وما يجلب فقال بعض من شاركنا المجلس
من أهالي أبو عريش أن الموز ينبت من قرون البقر وأنه شهد في القرية
الفلائية نموه ونبته منها (٢).

فقلت له ربما أن بعض الزراع أراد تسميد شجر الموز لديه فدفن تحته
فضلات ذبيحته من البقر ومنها القرون فالتفت عليه العروق فظننت أنه نبت منها

(١) يقول المستر فلي في كتابه *Arbican Highlands* إن سكان أبو عريش
حسب الإحصاء الرسمي ٣٠٠٠ نسمة من الكبار ويقدر مجموع سكانه بـ ١٢٠٠٠
وأشك في هذا التقدير.

(٢) أدخل هذا الوهم على محدثي لسذاجته مشابهة ثمر الموز بقرن البقر وإن الموز
من الأشجار التي تضعف فيها تكون البذور لتوالدها بطريقة خضرية من طريق
الجرثومة والفسيلة وشجرة الموز لا تأتي بالثمرة غير مرة واحدة ثم تعقبها شجرة
أخرى من الجرثومة وهكذا. والموز من الثمار التي لا يتم نضجها إلا خارج الشجرة
ويتلف لو بقي فيها. وفي منابت الموز الأصلية بشرق آسيا وأفريقيا يوجد منه نوع
طويل حبة الثمرة، بقدر نصف المتر أو يزيد، ويوجد بداخلها حبوب سوداء
كحببات السبج الصغار، وهذا الصنف يستعمله أهل تلك الجهات طبخاً وقلياً
في السمن كالبطاطاء وقد شهدت هذا النوع من الموز يزرع في شبه جزيرة ملقا بالملايا.

فأبى ذلك منى وقال أن أمير جيزان ذكر له هذا فأنكره وجاؤه بقرن رمى بالشروش وانبعثت من طرفه نامية شجرة الموز وأصر على صحة ما يقول . وسبحان من فأتت بين خلقه في المدارك والعقول .

السوق في أبو عريش

ولأبو عريش سوق عامر تصغر عن سوق صيدا في الوقت الحاضر شهدت في طرفها سلسلة من الحوانيت المبنية بالحجر فتحاتها حنايا وسقوفها على شكل بناء القباب بالحجر أيضا ، اغماس ، تبلغ حوالى عشرين حانوتا مهجورة طمى عليها الرمل ، قيل لى أنها في عهد ازدهار أبو عريش كانت زاخرة بشتى المعروضات ، وكان الذين يدبرونها جماعة من البانيان الهندوكيين ، قدموا من عدن ، ثم لما اضطرب الأمن في هذه الجهات وكثرت الاغارة على المدن هجروها وانقطع بحيتهم . وجميع التجارة الداخلية كاللخن والذرة والسمن والدجاج والبيض واللحوم وغير ذلك رخيصة للغاية ، ولذلك فالحياة في هذه الجهات من هذه الناحية سهلة رخيصة . وهى كثيرة الآبار وماء الشرب فيها عذب المذاق ظللنا في أبو عريش أربعة أيام كنا أثناءها نبحث عن حير تحملنا إلى جيزان فان ذلك على أمثالنا غير يسير . وشهدنا لأحد أهل القرية حمارا فارها نشطا فساومناه على تأجيريه لنا فأبى ولكننا اطمعناه بالمزيد من الأجرة وكاد أن يوافقنا ويرضى لولا امرأة طلعت من داخل الحظير لمسكنه تصيح : ما نأجر ما نأجر أم سودية ظلمه تشاهم يقتلوا أم حمول ، فبكل عن الموافقة ولم نبدأ من الرجوع إلى الأمير ليحصل لنا على حمولين بأى طريقة كانت وإلا طال مكثنا دون ما لازم .

استأجر لنا الأمير حمارين كيفما اتفق وبألفهما من حمارين فقد كانت أرجلنا ونحن عليها من فوق الألففة تكاد تلامس الأرض من قصرهما .

وكانت البرادغ لا بظائن لها تحزمها على ظهر الحمار وليس إلا الطفر المشبوك في ذنبه فكنا وما عليها تتمايل حين المشى ذات اليمين وذات الشمال تمايلا يكاد يجمع الواحد منا بالأرض .

والمسافة بين أبو عريش وجيزان كالمسافة بينه وبين صيبا لا تزيد عن ست ساعات وهم يشكلون في وضعهم الجغرافي مثلثا متساوي الأضلاع^(١).

على أننا وقد كانت مراكبنا ما وصفته لك لم نستطع أن نصل جيزان إلا في ظهر اليوم الثاني لسفرنا من أبو عريش. فطلما حرنت الحمير وأبّت السير ونحن عليها فنضطر للنزول عندها وسوقها أمامنا ونحن مشاة على الأقدام.

إلى جيزان

بارحنا أبو عريش الساعة الثامنة بعد الظهر فررنا بقرية « القويصة » ثم « السلامه » ثم « الخشايبة » ثم « الواصلي » فرجعنا أن نبيت بها إلى الصباح فاننا لم نصلها سوى الساعة الثالثة بعد العشاء.

والطريق من أبو عريش إلى الواصلي قليل المزارع بل معدومة الامنثير من الدخن هنا وهناك عدا الواصلي فان بها بعض المعامل وزرع النرة.

بتنا في الواصلي ثم بارحناها قبل شروق الشمس فررنا « بالخرادلة » ثم « الخصاوية » ثم « عمير » وجميعها عبارة عن بضع عشاش على حفر للماء ليس للزرع فيها أثر وفي الساعة الخامسة بعد أن بلغت الروح منا الحلقوم من سير الحمير البطيء - وصلنا جيزان.

في جيزان

تحوط جيزان من البر سبخة يغمرها البحر بمائه أحيانا فتسمى زلقة لا تستقيم على المشي فيها أرجل دابة ولا انسان.

(١) جاء في تقرير الخبير الزراعي السيد عبد الله الدباغ أن المسافة ما بين أبو عريش وجيزان ٣٥ كيلو متراً تقريباً.

ومن المصادفات أن البحر غمرها بمائه عندما قاربناها ولولا أن صاح بنا شخص سائرنا الطريق من الواصلي ، أن تماسك على ظهور الدواب وأن تمشى بحذر ، وسرنا على ما نجهله من حالها ، لما دخلنا جيزان الإمطيين بحماتهما .

قطعنا السبخة في عشر دقائق أو تزيد قليلا ، كنا في أثناءها نرتجف خوفا من أن تنزلق أرجل الحمير فنسقط من عليها ، ولكن الله سلم ، وانتقل بنا الطريق إلى كئبان من الرمل تتصل بربوة المطلع قطعناها وجهتنا المدرسة وكلما سألنا عنها شخصا ممن نصادف قال لنا « هناك على البحر عند الجبل » .

واصلنا السير في أزقة جيزان على غير هدى نسير أحيانا في طريق كثير الالتواء وأزقة بين بيوت من العشاش وأحيانا بين بيوت من الحجر من طابق واحد أو طابقين . ومن طرف سوق جيزان الدائم وعلى جنوبه ترامت لنا المدرسة « هناك على البحر عند الجبل » .

لم نصل المدرسة إلا بعد أن صقرتنا الشمس بحرها وأصبحت المراتب تتذبذب في أعيننا من شدة وهجها ونحسب أن أرجلنا قد تماخضت من مفاصلها لكثرة ما كنا نهر بها الحمير لتمشى وهيئات فقد كانت حميراً بمعنى الكلمة وأحط مدلولها .

قلنسنا لمن تلقانا من أساتذة المدرسة أعطنا أولاً وقبل كل شيء بمكان ناوى إليه ولم يعد فينا مزع للكلام . فلم يقصر بل لوى بنا ونحن لا نزال على ظهور الحمير إلى حيث جئنا وبعد دقائق وقف بنا على حظير من الوشيع ودخله لينخل لنا مكانا فيه .

كان ذلك مسكنه وكان عبارة عن عشة وعريش صغير في الطرف الآخر من الجانب المواجه للعشة ، وكان الطيب الحليم حديث عهد بعروسة لم يمض على بنائه بها غير يومين ، علمنا ذلك من زميل له لحق بنا إلى البيت فخانا

أنفسنا سنكون بعد ما سمعنا قول زميله أثقل عليه من رضوى وثهلان لو طال بنا المسكك والمقام : لما عليه البيت من ضيق .

بادر المتفضل الكريم وأحضر لنا أقصى ما يمكن المتعجل أن يحضره من طعام فجمل وتجمل كما يقول أهل هذه الجهة ، فقد كنا في مسغبة ومحنة بل وسعار من الجوع ، فهدنا بما يسمى طعاماً من أبو عريش .

أكلنا وارتحنا ولا استرسل فيما لا طائل تحته من قول فقد وفقنا بواسطة أمير جيزان الأمير خالد السديري أن ننقل في تلك الليلة إلى مسكن يعد من أحسن مساكن جيزان مشرف على البحر علمت فيما بعد أن البعثة الأمريكية التي قدمت قبلنا بأيام للبحث والتنقيب في هذه الجهات كانت تسكنه ، وأنه على الدوام تحت إجازة البلدية تعده لمن يرد جيزان من ضيوف الحكومة .

كان المسكن عالياً مشرفاً على البحر كما قلت فهو طابق ثانٍ لمخازن تحته مكون من غرفة داخل غرفة « أو مجلس بصفه » على حد تعبير الحجازيين وغرفة أخرى مكشوفة : (خارجة) جهزته لنا البلدية بسريرين من الشريط وجرة ماء وفانوس للإضاءة ، ولم تكن في حاجة لغير ذلك فعنا من الفرش والأواني ما فيه الكفاية . ولم يكن يزجنا في هذا المكان إلا خروج السجناء في الصباح الباكر - فقد كان السجن في جواره تماماً - إلى ضحل الماء الذي أمامنا من سيف البحر للتطهر والوضوء وما يسبقه من كشف العورة لقضاء الضرورة مما حرمانه الاستمتاع في الصباح الباكر بمنظر البحر وتلقى هوائه .

مدينة جيزان

وجيزان أو جازان كما كانت تسمى قديماً (١) أكبر فرضة الآن في هذه الجهة ومنها إليها الصادر والوارد وقد تزايدت حركتها التجارية عن ذي قبل

(١) فقد سماها هكذا اليعقوبي المتوفى عام ٢٧٨ في كتابه البلدان الآتف الذكر

وكثر سكانها وأمسوا خليطاً من أهالي المملكة العربية السعودية فإن فيها من غير أهلها عدداً من النجديين والحجازيين بل فيها يمانيون أيضاً ، وأصبح لباس أهلها خليطاً مختلف الزى كل بما اعتاد على أن معظم أهلها من سكان الأقاليم وزيمهم هو زيمهم الذي وصفت لك غير مرة .

وذكر لي بعض أهلها أنه جرى إحصاء قبل مدة وجيزة لسكان جيزان فقاربوا التسعة آلاف نسمة ولا يبعد أنهم الآن عشرة آلاف نسمة . ويوتها خليط من العشاش والحجر وتكثر فيها العشاش المستطيلة الهرمية السقوف ويسمونها عريش . وأزقتها ضيقة كثيرة التعاريج .

سوق جيزان

وسوقها عظيمة بالنسبة لغيره من أسواق مدن هذه الجهة ، كثير التفاريع ، عامر بمختلف أنواع السلع وإليه وفيه تنصب معظم غلال الأقاليم ، وناهيك بها من غلال وافرة ، فقد قال لي بعض من عرفت أن زكاة الذرة وحدها بلغت في إحدى السنين السابقة « ١٠٢٢٧٠٠٠ » صاعاً جيزانياً والصاع الجيزاني أربعة أمداد والمد على ما أتذكر حوالى كيلة ونصف مكية . ومن صادرات جيزان المهمة ثمرة شجرة الدوم الموجود في المنطقة بكثرة يصدرونه إلى مصوع وعدن وغيرهما .

وتشرف على جيزان سلسلة جبال واطئة الذرى أخال أنها في سحيق القدم كانت مضمورة بالمياه ، وتتألف جيزان الآن من خمسة مراكز . محلات : (الحافه) و (الجبل) و (المسطح) ، و (الساحل) و (المطمع) وعلى الجبال والمرتفعات التي حولها خمسة حصون (حصن البرقية) لأن فيه الأخذة اللاسلكية و (حصن الشريف) و (قلعة البرج) ، و (قلعة الوسط) (قلعة المطمع) وتوجد قلعة سادسة على طريق قرية المضايا .

وفى جيزان حامية من الجند النظامى وإدارة للشرطة ودائرة للبلدية ودائرة للصحة من طبيب واحد ومحكمة شرعية وبها مديرية المال ترتبط

برأسة أموال عسير في أبها ، وبها مدرسة أولية ابتدائية طلبتها نحو مائة وخمسين طالبا .

ولأمير جيزان الهيمنة على سائر إقليم تهامة المعروف قديما بالمخلاف السليماني بل ما كان منه تحت حكم الأدارسة في آخر عهدهم وهو على ما أعلم يبدأ من القحمة شمالا إلى الموسم جنوبا ومن البحر غربا إلى صدور وادي ببش ودرب بني شعبة شرقا ، وفي كل قرية وقبيلة شيخ أو أمير يرجع إلى أمير جيزان ومنه يستمدون سلطتهم .

ماء الشرب في جيزان

وماء الشرب في جيزان شحيح فهو يجلب إليها على الجمال والحير من مسافة ساعات من حفائر يحفرونها ويمتحنون منها الماء فإذا تطرقت إلى ماء الحفير الملوحة من كثرة المتح طموه وحفروا غيره في جهة أخرى وهكذا ويا ويل أهلها إذا أمطرتهم السماء فإن السيخة التي وصفت لك عند دخوانا جيزان تذلق فيتعذر جلب الماء وأول ما يصنعه أهل جيزان عندئذ المبادرة إلى جرار الماء ومواعينه وختمها ولا يخرجون منها الماء إلا مقداراً بمقدار وللتشف والشرب فقط فقد يتعذر سير الجمال والحير في السيخة أياماً (١) .

معدن الملح في جيزان

وفي الطرف الجنوبي الشرقي من مدينة جيزان منجم عظيم للمالح الحجري

(١) علمت قبل أن أتمكن من طبع هذه الرحلة أن الحكومة بعد أن جرت إلى جدة بعض مياه عيون وادي فاطمه من أعمال مكة وتوفر فيها الماء نقلت آلة التقطير وكندانة ، التي كانت بجدة إلى جيزان وبذلك ألحمت مشكلة الماء في جيزان بعض الشيء .

شهدت استخراجها كما تستخرج الأحجار من مناجتها يعرفونه بالمضرب^(١) .
وفي جيزان من التعدين عدى الملح الجبس والنورة فان معدنها
متوفرة بها .

مصطلحات وعادات وتقاليد

ومن لطيف المصطلح عليه بين أهالي جيزان وحتى أهالي صبييا وأبو عريش
أنهم يلقبون من كان اسمه محمد بـ « عزى وعلى بـ » جمالي « ويحيى بـ » العباد ،
وأحمد بـ » الصنى ، وعبد الله بـ » الفخرى ، وحسن بـ » الضياء .

البر تقال الجيزاني

ومن المفارقات الطريفة في جيزان والتي يقع الغريب معها في مفاجأة
مضحكة أطلقهم كلمة « البر تقال » على النشوق الذى يتخذ من مسحوق أعواد

(١) جاء فى كتاب *Arbian Hi Ghlands* للسستر فلي أن الذى اكتشف
منجم الملح هذا فى عهد الإدارة مهندسوا شركة شل فى أثناء بحثهم عن البترول وان
التل الذى فيه المنجم لا يرتفع عن سطح البحر بأكثر من مائة قدم وأنه يشمل
مساحة ميلين أو ثلاثة فى مثلها صفحة ٤٧١ .

وجاء فى تقرير البعثة الأمريكية التى جابت المنطقة للدرس والاختبار ص ١٥
قولها ، يجرى فى جيزان تعدين الملح الصخرى ومن المحتمل أن يبرهن عدد صغير
من حفر التجارب التى تحفر هناك على وجود أطنان كبيرة إضافية فإذا وجدت
الأسواق التى يمكن تصدير الملح إليها وازداد التصريف فى داخل البلاد فان من
المحتمل أن يزداد الذى يحث منها زيادة لا يستهان بها . وقالت فى مكان آخر من
التقرير ما معناه ، أنه إذا وجدت الأسواق التى يتم فيها تصريف ناتج الملح لاسيما
إذا استعملت الآلات الحديثة - وسمت أنواعها - أمكن استرداد أرباح طائلة .
من هذا المنجم وضربت مثلاً بما وفق إليه الأتراك فى معدن الصريف بهامة اليمن
قبل حرب عام ١٩١٤ وقالت أيضا ، ومن الممكن أن يكون الهند سوقاً رابحة وملائمة
لتصريف الملح .

التمباك وتستعمله بعض طبقات العمال تخزيناً في الفم ، فقد ذكر لي صديق جاء
جيزان وسمع عرضاً كلمة البرتقال فبادر وبعث من يشتري له منه مقدارا
ليطفي بمصه أوار ما هو فيه من حر وإذا بالرسول يأتيه بالنشوق ويقول له
(جيتك يرتقال ناهي) يعني جيد .

وذكرتني هذه المفارقة في الاصطلاح مفارقة كنت منها في دهشة أول
ما قدمت دمشق فقد كنت أشهد على بعض المحال كلمة بوظة فاجفل من
ارتيادها لأنني لا أعرف البوظة إلا خمير الذرة أو كسر الحنظل الجاف المسكر .
وكم كانت دهشتي عند ما علمت أنها الدندمة (آيس كريم) يسميها أهل
دمشق بوظة .

ومما يعتاده أهالي تهامة عموماً رجالاً ونساء خضب أكف الأيدي
والأرجل بالحناء ويقولون أن ذلك يخفف عليهم أثر الحر .

مجلس القات

ومن المؤلف في جيزان وصديا وأبو عريش مضغ « القات » كأهل
اليمن عموماً ، والقات نبات شجر قائم الخضرة يستخلصون منه أعواده الطرية
ويتناولون منها النواهي الرأسية التي تشبه نواهي أوراق الليمون .

يتخذون لذلك جلسات خاصة غالب ما تكون بعد الظهر فيجتمع
الأصدقاء في بيت أحدهم كل على كرسي مخصوص من الكراسي التي سبق
وصفها وفي جواره حزمة القات ملفوفة في قطعة من القماش لتحتفظ بطراوتها
وفي الوسط قلال الماء المبرد وكثيراً ما يدخنون معه أثناء الجلسة الشيشة
ويسمونها « مداعة » .

يبتدئ الواحد فيتناول بعض النواهي من القات ويمضغه ويمتص ما
تحلب منه وتظل المضغة مخزونة في فمه يستحلبها شيئاً فشيئاً فإذا تفتت وانتهى
ما فيها من عصارة أخرجها واخزن غيرها ، وقد تطول الجلسة إلى الليل .

وقد ذقت القات لأختبر طعمه فوجدته على شيء من الخلاوة الخفيفة
المزوجة بيسير المرارة والغوصه وهو لذلك يلذ استعمال الماء البارد عليه .
وهم يزعمون أنه يورثهم شيئا من النشوة والنشاط ولم أقف على تحليله
الكيمائى . وذكر لى بعض اليمنيين ممن تعرفت بهم فى مصر أن فى حدائق
الحيوان بمصر بعضا من شجر القات وهو لا يزرع بتهامة عسير وإنما يجلب
إليها من البلاد اليمنية المصاحبة لها والقريبة منها ^(١) وقد يزرع أيضا بكمية
قليلة فى جبال فيفا الواقعة فى الجهة الشرقية من جيزان .

جزيرة فرسان

يقابل مدينة جيزان وعلى بعد أربع ساعات منها بالمراكب الشراعية
جزيرة فرسان ^(٢) أو جزر فرسان فأنها عدة جزر يفصل البحر بينها فصلا تاما
(١) جاء فى كتاب ملوك العرب للريحاني أن القات فى علم النبات يسمى
Catha Edulis ويقول أنه لا يشك فى أنه مضر بالصحة والنسل فهو يفقد المز
شبهة الأكل ويفسد أسباب الهضم ويحدث مثل الآفيون شللا فى بحارى البول
ولا يقوى الباه بل يضعفه ص ٩٢ .

(٢) جاء فى معجم ياقوت ص ٣٥٩ ح ٦ : فرسان بالفتح والتحريك وآخره
نون من نواحي فرسان ويقال سواحل فرسان قال ابن السكلى مال عتق من البحر
إلى حضرموت وناحية أبين وعدن ودكلك فاستطار ذلك العنق وطعن فى تهائم
الين فى بلاد فرسان والحكم بن سعد العشيرة وكل ذلك يقال له سواحل فرسان
قال ابن السكلى فرسان منهم من ينتسب إلى كنانة ومنهم من ينتسب إلى تغلب وقال
ابن الخائك : من جزائر الين فرسان وفرسان قبيلة من تغلب كانوا قديما نصارى ولهم
فى جزائر فرسان كنانس قد خربت وفيهم بأس وقد تحاربهم بنو بجيد ويحملون
التجار إلى بلد الحبش ولهم فى السنة سفرة وينضم إليهم كثير من الناس ونساب
حير يقولون أنهم من حير .

هذا ما قاله ياقوت أما ما يعرف بفرسان اليوم فليس إلا جزيرتين كبيرتين أحدهما
أصغر من الأخرى وحولهما بعض الجزر الصغيرة وهى واقعة بين سواحل تهامة
وبين سواحل أرتريا من بلاد الأحباش أى مصوع وما يليها ولكنها إلى سواحل تهامة
أقرب ، ولم يتيسر لى الوصول إليها ولا معرفة شيء عن أصول سكانها وفيمن يرجعون .
(١١ رحلة)

اثنتان منها كبيرتان تكاد أن تكونا ملتصقتين وحولهما بعض الجزر الصغيرة ولم يقدر لي الوصول إليها رغم طول مكثي بجيزان وإنما تعرفت في جيزان بأحد الفرسانيين من سكانها ولحمت فيه شيئاً من الفهم والدراية والادراك ، فاستوصفته الجزيرة وما فيها فشرح لي الكثير من حالها ومناخها ، فعلمت أنها أطيب مناخاً من جيزان وأنها ذات جبال واطئة الندى ، وفيها مقدار من النخيل وأشجار الثمار الممكن صلاحها في المناطق الحارة ، تسقى من آبار وينابيع عذبة الماء . وأن بها من الحيوان الغزال والأرنب وما قاله لي أن في بعض مجاهلها وخلائها توجد حمير توحشت وتوالدت فتكاثرت يتصيد أهلها إلى فرسان ثم يروضونها ويبيعونها في جيزان وصيدا .

وأن بأعماق البحر من سيفها ينابيع عذبة الماء ولذلك فإن بها مغاصات للؤلؤ يقوم أهل الجزيرة على استخراجها وهو من جملة موارد كسبهم (١)

(١) لما كانت كيفية نشوء اللؤلؤ في أصدافه قد لا يعلمها الكثير فأنى أذكر هنا ما كنت قرأته في التحفة النهائية في تاريخ جزيرة البحرين لأستاذنا العلامة الشيخ محمد خليفة النبهاني وما فهمته من ذلك من محدثي الفرساني .

أغلب ما يتكون اللؤلؤ وينشأ في البحار ذات الينابيع الحلوة في أعماقها وكلما كانت الينابيع أكثر وأغزر كلما كان اللؤلؤ المتولد حيالها أكثر ضياء . ولعانا والصدف نوعان كبير وهو المسمى بالصدف وصغير ويطلق عليه البابليل . تلقى الصدفة من النوعين بزرها على شكل بزر الخشخاش أصفر اللون لا يزال هذا البذر يتدحرج ويتطاوح مع تيارات الماء ناميا إلى أن يكون في حجم حبة الذرة أو العدس ولا يزال في تدحرجه إلى أن يصطدم بصخر أو شجر بما في قاع البحر فيرسب عندها ويرى بشروش تشبه العروق رفيعة كالخيوط خضراء اللون شديدة قوة فتلتصق بالأرض الصلبة أو الصخرة أو الشجر وتظل كذلك نامية ، ولهذا الدور أيام ذكرها لي الفرساني ونسبها أظنه قال خمسة أو ستة شهور . تكون الصدفة في أثناءها قد كبرت وبدأت تفتح فاهها ويخرج من جوفها الحمار ملتقطا طعامه مما حوله من الأعشاب والديدان البحرية ويتكون اللؤلؤ داخل الصدفة نتيجة لإفراز يحصل من مرض أو انحراف

وبها ما ذكرت عند الكلام على إمارة الأدارسة من ينابيع للبترول إلا
أن استخراجهم معطل ولم تباشر الشركة التي تصدت لاستخراج العمل
حتى الآن لعدم أقرار الحكومة الحاضرة ما جرى من تعاقد بينها وبين
السيد الحسن آخر الأمراء الأدارسة، لما رأته من غبن في التعاقد واجحاف
بمحقوق البلاد . وقد اتخذت الحكومة السعودية الجزيرة منى استصلاحها
لأولى الجرائم ومرتكبي الموبقات في الحجاز .

ومن طريف ما رواه لي الفرسانى عند التحدث معه عن مناخ جيزان
وحالها العمرانى ما قاله . من أن أحد مواطنيه من تجار اللؤلؤ سافر إلى بمباى
أحد ثغور الهند العظيمة لبيع ماله من لؤلؤ ثم أب إلى جيزان في طريقه
إلى بلده . وفي مسامرة مع بعض أهل جيزان أخذ يصف لهم ما شاهده في
بمباى من عمران وحضارة فكان أحد الحاضرين من أهل جيزان عن

== يعترى الصدفة بدخول جسم غريب في جوفها كذرة رمل أو حيوان أى شئ . آخر
يضيقها وجوده . وما يتكون من اللؤلؤ داخل جسم الصدفة اللحمى الذى هو المخار
يكون أكثر صفاء وتكورا أما إذا تكون بما يلي جدار الصدفة الصلب أو لامسه فإنه يكون
أقل صفاء ولمعانا ويفقد صفة التكور لصلابة الصدفة ومقاومتها نمو من جرتها
وأذكر أن الأستاذ محمد خليفه ذكر في كتابه المشار إليه أن قوة التصاق الصدفة
في الأرض توازى ثقل ستة ارطال انكليزية عند ما يريد الانسان حملها
ورفعها من الأرض ، وما قاله لي الفرسانى أنهم في فرسان يحتالون على جذب بذر
الصدف بطرح بعض جزوع النخيل وأعواد الشجر في الأعماق القريبة من سيف
البحر فيجتمع حولها البذر ويلتصق بها فيتركوه المدة التي ذكرت ثم يقتلعونه وبالحظ
والنصيب فكثيرا ما تكون الصدفة خالية من اللؤلؤ وأحيانا يجدون الكثير منه
والثروة إن وجدوا حبة فاخرة تامة التدوير قوية اللبعان والبريق فإنها تساوى
مبلغا من المال يقدر بالآلاف . ومن أراد المزيد من البيان فليرجع إلى تاريخ
استاذنا النبهاى .

لم يخرجوا منها قط كلما تكلم عن ناحية من نواحي بمبای و حضارتها عارضه
بماثلاً ذلك ببعض ما يتفق وما ذكره في الأسم بما في جيزان ، بما ضاق معه الفرسانى .
ذرعاً فالتفت إليه قائلاً :

(جيزان إيش جيزان إن كان للدنيا طين فطينها جيزان)

مناخ جيزان

وللفرسانى بعض الحق فيما شبه فإن جيزان كثية المنظر رطبة المناخ
شديدة الحرارة ليس فيها نبتة خضراء وماء الشرب فيها شحيح ديج تحالطه
الملوحة وقد يعدم أياماً كما سبق القول ، وحسبى أن أدلل لك على شدة حرها
بأننا دخلنا المسجد لصلاة الجمعة فإذا عبدان على رأس الأمير فى مصلاه قائمان
بيد كل منهما مروحة لتخفيف وطأة الحر عنه ريثما تقوم الصلاة .

هذا ونحن فى الشتاء فكيف حالها فى الصيف وقد كنا طول مقامنا بها
ننام أغلب الليالى والنوافذ مفتحة دون غطاء .

ويقول الريحانى فى كتابه ملوك العرب عند وصفه حر جيزان «خبرت
الحر فى أماكن كثيرة من المكسيك إلى عدن إلى العراق فما وجدت حرأ
جامعا بحسن الحر كلها وفى أعلى درجة منها مثل حر جيزان ، أن الشمس
هاهنا قريبة جدا منك كأنها على الأرض تشتعل فتُرسل أشعتها عكساً إلى
كبد السماء » .

كان من جملة ما قعدنى عن الوصول إلى فرسان ومشاهدتها ما ألم بى فى
أخريات أيامى فى جيزان من توعك فى الصحة من أثر نزلة حادة أصبت بها
من شدة رطوبة الجو نشأ معها حمى لم يفدنى فيها علاج طبيب جيزان إفادة
تامة بما تضايقت معه من البقاء فى جيزان وما أن علمت أن مدير مدرستها قد
وصل أبها فى طريقه إلى جيزان وكانت مديرية المعارف قد طلبت بقاءى إلى
حضوره — حتى أبرقت لها مستأذناً فى مبارحة جيزان فأذنت ومن فورى .
تأجرت لى ولرفيقى حمارين رأساً إلى الدرب .

في العودة إلى رجال

وفي يوم السبت الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة ٣٦١ سافرنا من
جيزان متوجهين إلى صيدا فوصلناها بعد الظهر وبتنا فيها ليلتنا ثم سافرنا منها
إلى أم الحشب فوصلناها ظهر آ .

أقنا في أم الحشب إلى سحر يوم الاثنين ثم بارحناها من نفس الطريق
الذي قدمنا منه إليها أول مرة . وفي سيرنا في خبت البقر شهدت منظرآ رائعآ
من مناظر تنازع البقاء وتسائط القوى على الضعيف من مخلوقات هذا العالم .
فقد رأيت غزالة ترعى بعض أغصان شجر السفى الطرية عالقة بفمها
لا هية تقضم منه وعلى بعد أمتار منها وبين خبايا بعض الأشجار ذئب فارح لمحها
فأخذ يتهاى جامعاً نفسه لينقض عليها ويفترسها ولم يعر الذئب صلصلة دوابنا
التفاتا وأخاله كان متجهآ بكل حواسه للفريسة .

ود رفيقي أن ينفر الغزال فنبعته خشية أن تقع مع الذئب في مشكلة فقد
كنا عزلا إلا من عصى دقيقة نسوق بها الحمير لا تفتى قليلا لوهاجنا .

تركنا الغزال والذئب لما قدر لهما وسرنا وقبل العصر وصلنا درب
بنى شعبة وسلمنا الحمير لشيخه كما قال لنا أصحابها .

بتنا في الدرب وأصبحنا نبحث عن حمير ورفيق لنسافر إلى رجال ولم
يطل بنا البحث والانتظار فقد وفقنا إلى حمارين لبعض أهل رجال وعلمنا أن
شخصآ من أهل البتيلة سيسافر إليها فاتصلنا به واتفقنا وإياه أن يبارح الدرب
في سحر ليلة الأربعاء وكان ذلك

بارحنا الدرب جادين في المسير نأمل أن نصل رجال قبيل العصر ولكننا
وصلنا الرهوة أول حدود قبائل المع وكان الصواب بعد أن نهبط من أكامها
أن نظل في سيرنا متجهين جنوبآ ثم نلوى شرقآ في وادى كسان غير أن رفيقنا
البتيلي - وكان المفروض أن يكون أبصر بمعالم الطريق منا بعد - أن تركنا الرهوة
مال بنا حالا إلى الشرق .

ضللنا الطريق

فبعد أن سرنا نحو نصف ساعة لاحظت أنا ورفيقي أن الطريق مختلف عما سلكناه في مجيئنا فقلنا لدليلنا لعنا أخطأنا الطريق فقال لا وسرنا وإذا بنا نعلو آكاماً يكثرفيها شجر السلم تحققتنا منها أننا في طريق غير ما نقصد فأبيت المسير خشية أن ينتهي النهار ونحن ممنون في الضلال وقلت للبتيلى تعرف الطريق وأشرف من هذه الذروة لعلك تهتدى أو تجد بعض الرعاة فيدلنا على الصواب ففعل وأخذ يصيح بعبارة تقليدية معروفة بينهم ينادى بها من يطلب الهداية ويستعلم وإذا بصبية تبدو علينا معها بعض الأغنام ترعاهما ولكنها ما أن رأتنا وأكثرت زينا حتى أمعنت في الهرب تطرد أغنامها أمامها إلى أن اختفت ، وقفنا حيارى وقلت للبتيلى زد فصيح عله يأتينا غيرها فأخذ ينادى وإذا بشيخ ليس عليه سوى طمرة تستر عورته فقط منحني الظهر يبدو علينا من بين الشجر فأخذ البتيلى يستوضحه الطريق وبدلاً من أن يهديننا لما نريد أخذ يفتح لنا محضر تحقيق واستعلام عن نحن وما أتى بنا وكما أردناه أن يسرع فيفيدنا حاد وتلكح فرأيت أن أقطع عليه مهاملة لنا في الارشاد وقلت له هاك خمسة قروش وسر معنا إلى أول وادى كسان فقال هات فناولته خمسة القروش وصرها في طرف ازاره ومشى بنا وعلينا منه ونحن نسايره أننا في أول وادى ريم من منازل الصواعة (بطن من شحب إحدى قبائل المع) وقد كانوا إلى أيام متمردين على الحكومة .

سرنا معه حوالى عشر دقائق أشرفنا بعدها على شعب متسكس وقف بنا عنده وقال بدلاً من أن تعودوا من حيث جئتم ثم تحودوا على الطريق أهبطوا من هنا وفى نهاية الشعب وأسفله تملون شرقاً وبعد مسير بضع دقائق تكونون في أول وادى كسان ، ثم أعطانا ظهره .

أراد صاحبنا البتيلى لجهله بالطريق ألا تتبع ما أشار به الضحجي ولكن تبينت منه الصدق فسرنا على ما رسمه لنا وبعد أن اتهمنا من الشعب كاد البتيلى

أعبائه وجهله أن يضلنا مرة أخرى فقد وجدنا طريقين أراد أن يسلك بنا أولهما وكنت فطناً لما رسمه الشبحي فأبيت عليه وسرنا في الثاني وكان الصواب فيما فعلت فلو ذهبنا حيث أراد لرجعنا مرة أخرى إلى حيث كنا فقد بدت علينا بعد دقائق مزارع وادى كسان وعرفناها وعرفها صاحبنا البتيلي فحجل ما حصل . سرنا جادين إلى أن وصلنا البتيلة ففارقناه وسلكنا وحدنا الطريق إلى رجال فقد كنا على علم به .

روضة على ضفاف جدول

في وسط الطريق بين البتيلة ورجال مضيق بين جبليين يعكس اتجاه الطريق فيجعل من الجنوب للشمال بدلاً من الغرب إلى الشرق وكانت السماء بعد أن فارقنا رجال قد جادت على المنطقة بمطر وابل غزير سالت منه الأودية . وازدانت الجبال اخضراً .

وصلنا المضيق فإذا به جنة يانعة وحديقة مزدهرة وإذا جدول من الماء يتدفق من طرفه في غير ما ريت ولا عجل يصفعه الريح فيشكل على صفحته تتعايد كالحلق المفرغ بعضها في بعض وقد امتد على حفاف الجدول طراز من العشب الأخضر الناضر . ونمت على طول امتداده في ما أنخفض من الأرض . كتل من النباتات ذات الزهر بمختلف الألوان وكان الوقت في أخريات الأصيل والهواء رطب عليل . وزمرة من الطير المصروف بسعيدة تنتقل من شجرة إلى شجرة مرسله من التبريد والتصويت أشجي الألحان وبعض القمارى مما آوى إلى الشجر للمبيت يسجع ويغنى .

فقلت لصاحبي أو نهرج هذا المكان دون أن نقضى به ساعة نشرب فيها الشاي على ضفاف هذا الجدول ؟

فقال أننا في أخريات الشهر ونخشى أن يلبسنا الليل سواده فتعثر في الأجراف والأخاديد التي دون رجال أو نلاقى في ظلمته ما نكره فقلت ولو

كان ذلك ولم يسعه إلا الموافقة وأنزل ما على الدواب من فرش بسطناه على طرف الجدول وأوقدنا السموار وقضيناها ساعة تعدل دهرأ ما كان أطيبها وأهنأها .

لا أكون مغالياً إذا قلت لك أن بلاد عسير تمثل بحق زمردة خضراء في طرف سلسلة جبال الحجاز الجنوبية . ولكنها وبالأسف لازالت ولازال أهلها على حالة بدائية مشينة . فانها حتى الساعة تكاد تكون على الوضع الذي وجدت عليه في اليوم السادس من خلق السموات والأرض ومعظم أهلها على حالة من الجبال والسذاجة جعلتهم مع خصب البلاد وراثتها في فقر مدقع وشظف من العيش .

ومن حالة هذا التأخر الواقع في هذه البلاد رغم استعدادها الطبيعي يلس بجلاء قصور الحكومات التي تصرف فيها وحكمتها من قبل .

وليس هذا الشأن في عسير وحدها فالجزيرة العربية جميعها بعد عهد الخلفاء الراشدين لم تلق من الحكومات الإسلامية منذ فجر تاريخها « لا فرق بين عربيها وأعجمها » ما تستحق من العناية مما جعلها في هذا التأخير المشين وأبعد الشوط بينها وبين بقية ممالك العالم الأخرى فيما وصلت إليه في هذا العصر من حضارة ومدنية ورقى .

ولا يقوم لها عذر بأن معظم أنحاء الجزيرة صحار وحزون تستعصى على الإصلاح والازدهار فإن فيها من الأقاليم والواحات ما لو أعير ما يستحق من عناية لأصبح لا يقل عما عليه أشباهه الآن من بلاد العالم في غير الجزيرة وحسبك باليمن وما كان عليه في سالف الزمن من حضارة وازدهار لا يزال صدى أخبارها يتجاوب ويرتفع عالياً من أعماق التاريخ .

ولكن القوم بعد عصر الخلفاء الراشدين أنصرفت أنظارهم عن الجزيرة ونقلوا مركز سلطانهم إلى ما استطابوا من الأقاليم المجاورة لها وشغل أولياء

الأمور بالتساع الفتوحات فقصروا فيما كان واجبا عليهم نحوها وبقيت على حالة الفطرة وبتوالي الزمن وكثرة الهجرة من أهلها إلى ما اتسع إليه الفتح (١) وانحلال الخلافة العربية وضعفها عاد إليها الكثير من التقاليد التي كانت عليها في جاهليتها وأمسّت فرقا وقيائل اشتاتا يحارب بعضهم البعض وينهب بعضهم البعض كأنها لم تكن منشأ تلك الموجات التي تدفقت على العالم فأوجدت فيه من الأحداث ما هيا للحكومات العربية والإسلامية من المجد والعزة ما امتلأت به بطون التواريخ وهذا ماعد من معائب الحكومات العربية بعد العهد الرشيد فمن يشهد أهلها اليوم ويحبر حالهم فيها يكاد لا يصدق أنهم أخلاف أولئك الذين أنساحوا على العالم وأسسوا فيه من عظيم الملك وجيل العمران ما سطع سطوع الشمس في رابعة النهار .

ولعل الأقدار التي هيأت اليوم لمعظم أنحاء الجزيرة بفضل أسدها الرئيل جلالة الملك عبد العزيز بن سعود من الوحدة والالتام ما هيأت أن تقدر لها إطراد ذلك حتى يعم جميعها وأن يهيئ لها من الأسباب ما تصل به إلى ما يجب أن تكون عليه من عز ومنعة ورفق وازدهار .

بارحنا المكان الذي وصفت وحوالي الساعة الواحدة بعد الغروب وصلنا رجال وألقت عصاها واستقر بها النوى غير أن صحتي لم تزل معتلة بما ألم بها

(١) جاء في كتاب امراء البيان لمحمد كرد علي أن في أراسط الدولة الأموية كثرت هجرة العرب إلى البلاد التي أظلمت الراية الأموية كفارس والعراق والشام ومصر وأفريقية والأندلس وأن الدولة عاونتهم وشجعتهم على ذلك باقتطاعهم الأرض الشاغرة وجعلت في بعض الأقطار جزية أهل الذمة طعمة للمهاجرين ترغيبا لمن وراءهم للاتحاق بهم فبدأ النقص في سكان جزيرة العرب .

هذا ولا ريب من جملة ما أدى إلى خمود الحيوية في من بقي من سكان الجزيرة وزاده إهمال الخلفاء لها وانصرافهم عن أي اصلاح فيها أو رعاية حقبة لمن تبقى من سكانها بما قاوت ولا شك بينها وبين بقية أجزاء المملكة حتى في ذلك العصر وأدى بها وبهم إلى أسوء مصير .

من انحراف في جيزان وأخذ يصيدني أسهال يعقبه دوار يشبه الغيرة مما كنت أحس معه الموت في بعض الأحيان ، لم يفدني فيه كل ما كان معي من وسائل الإسعاف والعلاج ولم يكن بد من طلوعي إلى أبها لاستشارة طبيبها .

طلعت أبها وظللت بها أسبوعاً لم أتفع فيه بكل ما أعطانيه الطبيب من دواء بل جدمعى شيء آخر وهي بشور تلتثر في صدرى ومعضى مصحوبة بحكة تحتقى ثم تعود فأشار على الطبيب أن أذهب إلى مكة للمعالجة .

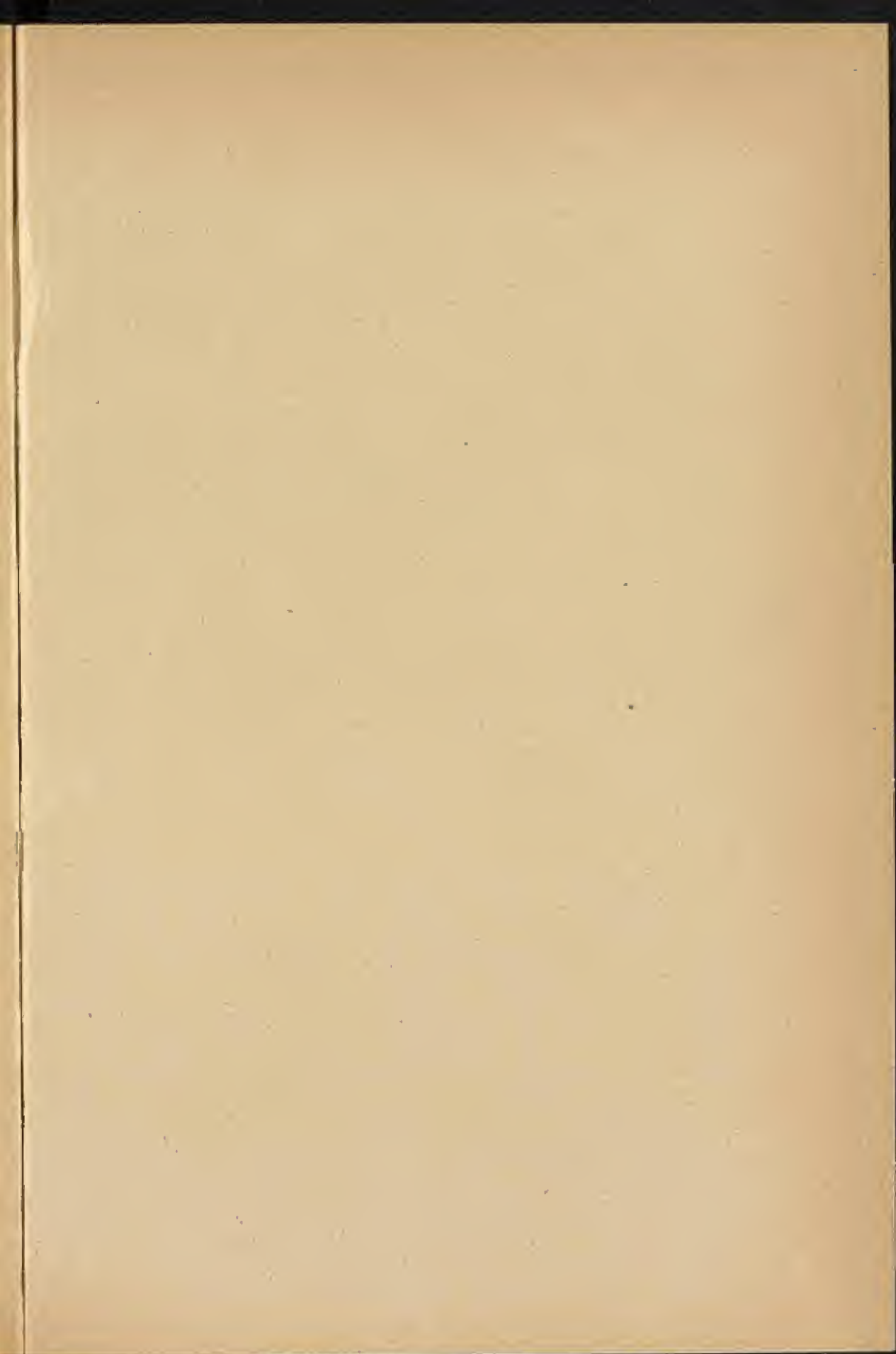
كتبت لزميلي الأستاذ عيسى بالواقع وأنا آسف لما تحتم على من مفارقة هذه الجهات فقد كانت النفس لازالت عالقة بالتجول فيها ومعرفة مالم أكن قد عرفت واستطلعت من أحوال بقية قرأها وقبائلها وكان في العزم أن أجعل عودتى لو كنت سليماً عن طريق السراة وسلسلة جبال الحجاز حتى الطائف لأتعرّف أحوال سكانها وعاداتهم بالمشاهدة فإن السلسلة معمورة بالقرى والمنازل وكثير من مناطقها وصفاح جبالها الخريبة إلى ما يقارب الطائف لا يقل خصوبة عن جبل عسير على ما أسمع من بعض أهلها ممن يرتادون مكة في أثناء موسم الحج للعمل والتكسب .

فلم يمد من عذر أن نجعل بلادنا بعد أن شملها الأمن من أقصاها لأقصاها بفضل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وحزمه في إدارتها ومن العار أن يعرف الفرجة الغرباء عنها من أحوالها وأخبارها وخفاياها ما لا نعرف بعضه . ولقد بذل الأسلاف - كما يقول الدكتور عبد الوهاب عزام في مقدمة كتابه مهد العرب - عناية مشكورة فكشبوها في أوصافها وأخبارها وبقينا عالة عليهم ولم نفتق آثارهم فرجعنا إلى الكتب القديمة التي تركوها لنا أو أخذنا عن الأوروبيين ما كتبوه عنها ونحن أولى بمعرفة أرضنا وأقدر على التجوال فيها ومخالطة أهلها وأعرف بلغتها وتاريخها وعاداتها .

ولعل الأقدار تسعف وتحقق ما تمناه حضرته من قيام بعث فيه من المؤرخين والأدباء والجغرافيين والمهندسين ليضعوا مصورات للجزيرة

ويبينوا لنا المواضع التي ذكرت في التاريخ والأدب ويحققوا الوقائع التاريخية
ومنازل القبائل القديمة فيربطوا بذلك حديثها بقديمها ويبرزوها لنا جليلة
واضحة ، فإن ذلك أوفى من عمل الفرد وأجزل تحقيقاً وأعم فائدة .

كتبت لزميلي كما ذكرت لينوب عني في إدارة أعمال المدرسة وفارقت
عسير وكان ذلك آخر عهدي بها .



الْقِسْمُ الثَّانِي

تَلْخِصُ عَشْرِ السَّيِّئَاتِ

فِي عِصْيَانِ مِائَةِ وَخَمْسِينَ سَنَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عسير في التاريخ

لم يكن من المعروف في العهد الجاهلي وحتى عهد صدر الإسلام في تقاسيم بلاد العرب إقليم باسم عسير ، وكل ما جاء في أقوال الأقدمين هو ما ذكره أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب صفة جزيرة العرب المتوفى سنة ٥٣٤ هـ . قوله : « ثم يواطن حزيمة من شامها عسير قبائل من عَنَز وعسير يمانية تنزرت ودخلت في عَنَز ، فأوطان عسير إلى رأس تَيْه وهي عقبة من أشراف تهامة ، وهي أبها وفيها قبر ذى القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس الثلاثمائة من تاريخ الهجرة . والدَّارَةُ ، والفَتْيْحَاءُ ، واللَّصْبَةُ ، والمَلْحَةِ ، وَطَبَبُ ، وَأَتَانَةُ ، وَعَبِل ، والمِغْنُوثُ ، ومُجْرَشَةُ ، والحَدَبَةُ ، هذه أودية عسير كلها .

والذي يبدو لي أن هذه القرى والمنازل التي سماها الهمداني ولا يزال معظمها يعرف بهذه الأسماء حتى الآن كانت في عهد صدر الإسلام وأبان سطوة الخلافة وما قبل ذلك من الأعصر تعتبر قسما من جبال الحجاز وتعرف بالسراة كما كانت جبال السراة تُعرف بأسماء أشهر القبائل من ساكنيها وتحدد بمنازلهم منها . (١) .

فلما تفككت الجامعة الإسلامية بضعف خلفاء الدولة العباسية وأصبح في كل إقليم من أقاليم الدولة حكومة لها أمير مخصوص مستقل أطلق على مجموعهم اسم ملوك الطوائف وانتهى الأمر بأن اجتاحت التتار العراق فانقرضت الخلافة العباسية منه تماما ، أصبح إقليم الحجاز واليمن يتبع في أغلب الأحيان

(١) جعل ياقوت في تحديده جبال الحجاز من الجهة الجنوبية بلاد مذحج ووادي ثلثيت هي الحد الفاصل فما بعدها . يقال عنه يمنا (ج ٣ ص ٢١٩) وقال الأصمعي فيها حكاه عنه ياقوت أيضاً . الطود جبل مشرف على عرفه ينقاد إلى صنعاء . يقال له السراة وإنما يسمى بذلك لعلوه وسراة كل شيء ظهره . يقال سراة تيفف . ثم سراة فهم وعدوان . ثم سراة الأزد .

الحكومة القائمة بمصر . ولما استولى السلطان سليم العثماني المعروف بياوز سليم على مصر عام ٩٢٢ وانقرضت على يده حكومة المماليك الجراكسة وتلاشت الخلافة العباسية التي كانت قائمة بمصر تمثل تلك المهزلة التي بدأت من عصر الظاهر بيبرس في تنصيب خليفة ليس له من الحول والطول شيء . بادر أمير مكة في ذلك العهد وهو الشريف بركات وتقدم بالطاعة والاذعان إلى السلطان سليم فأقره على ما بيده من إمارة مكة وما والاها .

ونظراً لما للجزيرة العربية وخصوصاً الحجاز من القيمة المعنوية والصفة الدينية فقد اكتفى السلطان سليم بهذا الارتباط وتتابع هذا الاكتفاء من خلفه ، ولم يظهر للدولة العثمانية في كثير من نواحي الجزيرة أثر قوى للسلطة والتصرف بالحكم ، وظل بعضها يحكم بأمراء محليين وبعضها برؤساء ومشايخ دستورهم عوائدهم القبلية على ما كانت عليه حالتهم في سابق العصور مما أوجد نكسة بالغة الأثر بالعودة إلى ما كان الاسلام قد قضى عليه وأزاله من سبب العادات والعصبيات القبلية .

دامت هذه الحالة قائمة مستمرة نحو قرنين من الزمان كانت الحكومة العثمانية تعد فيها من أعظم دول العالم وأقواها ، غير أنه بعد ذلك أخذت مكانتها في الانحطاط والتلاشي وقامت الثورات والفتن في كثير من ولايتها وما يرتبط بها من ممالك .

وقد كان من أعظم الثورات وأبعدها أثراً وأشدّها خطراً في شبه جزيرة العرب إندفاع السعوديين أمراء بعض قسم العارض من نجد واستيلائهم على معظم ما كان مرتبطاً بالحكومة العثمانية من الممالك والأمارات فيها .

ففي عام ١١٢٧ هـ لم يكن حفيد مقرن بن مرخان الذي تنسب إليه العائلة السعودية المجيدة وهو الأمير محمد بن سعود سوى أمير للدرعية وما حولها فقط .

فلما ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بمبادئه الدينية الإصلاحية المعروفة والدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح ، واتخذ الدرعية له مقاماً تصدى الأمير المشار إليه لحماية الدعوة والنود عنها بحدا الحسام ، وما أن بدت طلائع القرن الثالث عشر الهجري حتى كانت الدعوة قد انتشرت في معظم أنحاء الجزيرة يماشيا نفوذ آل سعود وسلطانهم جنباً إلى جنب .

آل سعود في عسير

في هذه الأثناء كانت بلاد قبائل عسير كأمثالها من بقية بلاد شبه الجزيرة تحكم برؤساء ومشايخ محليين لا تربطهم رابطة ولا تجمعهم غاية .

فلما أن شارفت مغازي آل سعود ما جاور عسير من البلاد الشرقية وتراى إلى بعض أهلها ورؤساء العشائر فيها أخبار دعوتهم الدينية هاجر إلى الدرعية من آل المتحصى من قبيلة ربيعة رفيده (إحدى قبائل عسير) محمد بن عامر المعروف بأبو نقطة وأخوه عبد الوهاب رغبة منهما في الأخذ بهذه المبادئ الجديدة وبالتالي استمداداً لما يجعل لهما السلطة والسيادة على قبائلهما في عسير .

فاتهر الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود هذه الفرصة وجهز سرية لغزو عسير تحت إمرة « رئيس » بن زيد ، أمير وادي الدواسر ^(١) وأرفق به محمد بن عامر أبو نقطة وأخاه عبد الوهاب ، وما انتصف عام ١٢١٥ هـ حتى دخل سائر أهل عسير السراة في طاعة السعوديين وموالاتهم ^(٢) .

(١) وادي الدواسر من أودية نجد الجنوبية .

(٢) يقول أحد علماء الحفاظية المعاصرين (والذي اقتبست معظم حوادث عسير في ذلك العهد من مذكراته (ولم يذكر اسمه فيها) أن الجيش الذي غزا عسيرا من الدواسر ألزم من دخل في الطاعة خلق رأسه اظهارا لقبول الدعوة والتخلي عما كانوا عليه من عوائد الجاهلية وان ذلك العام تسمى في عسير « بعام الدّرَمَاح » ،

بعد ذلك أخذت السرايا من الجيش النجدي ومن والاه من قبائل عسير
تتابع الغزو شمالاً على بنى شهر^(١) وغيرهم وغرباً على تهامة والخلاف السليماني^(٢)
فانه إذ ذاك كان تحت إمارة الأشراف الحسنية من آل خيرات المرتبطين
اسمياً بحكومة صنعاء وامام اليمن .

الدبلوماسية السعودية السعودية أو سياسة الحماية

امارة محمد أبو نقطة - خلاف وتسوية

ولما لم يكن من المستطاع أن يحكم السعوديون هذه الجهات حكماً مباشراً
لبعدها عن مقر أمارتهم ، وبعد أن أتم الجيش الفاح عملياته ، أقام الأمير
عبد العزيز بن سعود - محمد بن عامر أبو نقطة أميراً على عسير السراة وما إليها
وكان ذلك مبدءاً لاشتهار عسير كقسم من بلاد العرب ذا كيان سياسى خاص .
كان أول عمل لأبو نقطة أن نزل إلى قرية رجال حاضرة قبائل ألمع ،
ودعاهم إلى الطاعة فأجابوه^(٣) وتآلفاً لهم لم يجمع منهم الحلقة وأعفاهم من الخلق .
فلم يرق ذلك لبعض من بالدرعية عندما علموا به ، فقد جاء فى أوائل عام
١٢١٧ هـ المدعو زاهر بكتاب للأمير أبو نقطة من الامام عبد العزيز بن محمد
بأمره فيه بجمع حلقة قبائل ألمع وتنكيلهم ، فلم ير الأمير محمد أبو نقطة

(١) بنو شهر قبيلة يسكن معظمها جبال الحجاز وهى قبيلة وافرة العدد انظر
الرحلة ص ١١٢ .

(٢) الخلاف السليماني يقال أنه فى عهد الخميريين كان الخلاف السابع من مخالفات
حكومتهم وهو القسم الذى يلى سراة عسير من تهامة انظر الرحلة ص ٥٥ .
(٣) يقول أحد علماء الحفاظية المعاصرين من سكان قرية رجال « ومن ذلك
الشهر قبل دخول الدولة هدمنا القباب (يعنى قبايا كانت على أضرحة بعض أسلافهم)
وتوليت ذلك يبدى طاعة واحتساباً »

ومن العلماء الحفاظية من ناصر الدعوة وسعى جاهداً فى تأييدها وألف فى
ذلك الكتب وأنشأ القصائد المطولات .

ذلك من المصلحة ، فسافر إلى الدرعة مصطحباً معه جماعة من أعيان أهل السراة وقبائل ألمع ، وبعد تسوية الأمور وما نشأ من اشتباه لعدم جمع الحلقة من قبائل ألمع عاد مؤيداً في أمارته ولكنه في أثناء رجوعه أصيب بالجدرى ووافته منيته ، فمات في طريقه قبل أن يصل إلى عسير .

كانت مدة أماره محمد بن عامر أبو نقطة نحو ستين منها عشرة أشهر أماره عامة ، هي الأولى من نوعها في عسير السراة كما سبق القول .

أماره عبد الوهاب بن عامر

غزو وتوسع

وصل خبر وفاة الأمير محمد بن عامر أبو نقطه إلى عسير فأجمع أولو الشأن فيها على مبايعة أخيه عبد الوهاب أميراً عاماً عليهم وأقره الإمام عبد العزيز على ذلك بعد أن اشترط عليه محاربة الشريف حمود صاحب « أبو عريش » (١) .

ظل عبد الوهاب بن عامر المتحمي أميراً عاماً من قبل السعوديين من عام ١٢١٧ هـ إلى عام ١٢٢٤ هـ نحو سبع سنوات قام في أثناءها بجملته من المغازي ، وكان أهم ما قام به هجومه على أبو عريش واستيلاؤه عليها وحرقها وإدخال الشريف حمود في طاعة السعوديين وموالاتهم واشتراكه في محاربة السعوديين لأمير مكة الشريف غالب بن مساعد فان السعوديين حينما فتحوا مكة في أول عام ١٢١٨ هـ كان من الحامية التي ركوها فيها نحو أربعائة من رجالات عسير أعاد عليهم الشريف غالب الكرة وأخرجهم منها .

فتوجه الأمير عبد الوهاب إلى الحجاز في جمع عظيم من قبائل عسير

(١) أبو عريش مدينة من مدن تهامة ، المخلاف الساماني ، أنظر الرحلة ص ١٥٠

وأقام مرابطاً بالقرب من جبل يللم^(١) سبعين ليلة غزا فيها الشريف غالب ثلاث عشرة غزوة كان له فيها جميعاً التفوق والغلبة .

ولم تقتصر إمارة عبد الوهاب على عسير السراه وما صافها ، بل مد السعوديون في سلطته إلى المخلاف السليمانى عندما أدخل أمراءه في موالاتهم وطاعتهم .

غير أن ذلك لم يطل فقد توصل الشريف حمود أمير أبو عريش وابن عمه منصور بن ناصر المنتصب على مدينة صبيا لرفع نيره عنهما والارتباط مباشرة بالدرعية في أول عهد الإمام سعود الكبير^(٢) .

وانتهت إمارة عبد الوهاب بموته قتيلا في الموقعة التي جرت بينه وبين الشريف حمود في وادى بيش^(٣) عندما نقض الشريف عهد السعوديين وانحرف عن موالاتهم كما سيحى تفصيل ذلك بعد .

أماره طامى بن شعيب

فلما وصل خير مقتل عبد الوهاب إلى الدرعية أقام الإمام سعود طامى بن شعيب المتحمى أميراً على عسير بدلا عن الأمير عبد الوهاب واستمرت إمارة طامى من عام ١٢٢٥ هـ إلى عام ١٢٣٠ هـ أى نحو ست سنوات قام خلالها بعدة غزوات^(٤) منها غزوته بالاشتراك مع عثمان

(١) جبل يللم في الجنوب من مكة وعلى بعد ليلتين منها وهو الميقات الشرعى للأحرام بالحج والعمرة للقادم من اليمن .

(٢) نقلت ذلك عن تقع العود في سيرة الشريف حمود وسيأتى بعد هذا عند الكلام على سيرة الشريف حمود كيف جرى ذلك .

(٣) وادى بيش واد عظيم من قرأه أم الخشب ويطلق عليها اسم الوادى من باب إطلاق الكل على البعض .

(٤) ومن غزوات طامى المهمة ما ذكره ابن بشر في تاريخ نجد في حوادث عام ١٢٢٩ وخلاصته أن محمد على والى مصر أبان مقامه بمكة في شهر جمادى الآخرة =

المضايقي أمير الحجاز من طرف السعوديين لمالك الشريف حمود واصطدامه بجيشه في وادي وحله في مكان يسمى بَرْ بَرْ ووقوع قتال عنيف بينهما كانت الدائرة فيه على جيش الشريف حمود إلا أن جيش طامي لم يسلم من الخسائر العظيمة في الرجال فقد قتل كثير من سراوات جيشه منهم سعيد أخو عثمان المضايقي لذلك لم يستطع الأمير طامي ملاحقة الشريف إلى أبو عريش بل عاد راجعاً إلى السراة ، وإذ ذاك كان نجم آل سعود قد بدأ في الأفول .

== وجه إلى الجهات النمانية جيشاً كثيفاً بعضه عن طريق البحر وأخر القنفذة وبعضه عن طريق البر وكانت بالقنفذة حامية من عسائر نحو خمسمائة مقاتل باعتهم جنود محمد علي فاضطروا للتسليم صلحاً وكان الأمير طامي آن إذ قد جمع عدداً وفيراً من قبائله وقصد بهم مكة لمحاربة محمد علي فلما علم بالحادث انحرف عن طريقه إلى مكة وقصد ثغر القنفذة وقدر ابن بشر ما كان مع طامي من المقاتلة بأكثر من ثمانية آلاف مقاتل نازل بهم جيش محمد علي في القنفذة ونصر الله طامي وممكن له من الاستيلاء على جميع ما كان مع الجيش من عتاد وسلاح مما يضيق عنه الحصر والتعداد وكانت الخيل التي استولى عليها من الجيش المذكور نحو خمسمائة رأس واضطر جيش محمد علي أن يهرب إلى ما كان معه من سفن وقبض جيش طامي في هذه الموقعة على رئيس الجند فقد حصروه في مخيمه قبل أن يتمكن من الهرب إلى المراكب وقتلوه وذكر ابن بشر أيضاً واقعة أخرى جرت في شهر شوال من العام المذكور وخلاصتها أن طامي سار بجيش قدره بنحو عشرة آلاف مقاتل نازل به جيشاً لمحمد علي قدره بنحو عشرين ألفاً من الأتراك والمغاربة كانوا يصحرون في أودية قبيلة زهران بالسراة وانتهت الموقعة بينهما بتبديد جيش محمد علي وهزيمته واستيلاء طامي ومن معه على جميع ما كان في المعسكر من خيام وعتاد وما إلى ذلك ولم ينج من الجيش المذكور إلا من استطاع الهرب على فرسه ص ١٧٧ و ١٧٨

مصر في عسير

بعد انكسار طوسون بن محمد على باشا الى مصر في واقعة وادي الصفراء ^(١) التي جرت بينه وبين السعوديين في عام ١٢٢٦ هـ رأى محمد على أن يذهب إلى الحجاز وأن يتولى بنفسه مقاتلة السعوديين ورفع يدهم عنه ، وتيسر لطوسون بعد أن وصلته إمدادات جديدة من مصر احتلال مكة ، وتمكن محمد على من وصوله إلى الحجاز والأشراف بنفسه على سير القتال ، وجهز حملة كان هو بذاته على رأسها ، اتجهت نحو عسير عن طريق ترّبه ^(٢) ويشه ^(٣) لما بلغه أن السعوديين وحلفاءهم من عسير قد جمعوا في تلك الجهات جيشاً قدره له بأربعين ألفاً يقصدون به مكة .

وفي وادي بَسَل « بين الطائف وترّبه » في مستهل عام ١٢٣٠ هـ التقى محمد على بهذا الجيش وكان يقوده فيصل بن سعود وطامي بن شعيب أمير عسير ، وبعد قتال عنيف بين الفريقين انهزم الجيش السعودي وفر طامي إلى عسير وجمع الجوع من قبائله خاصة على يرد محمد على عن زحفه ، فلم يوفق ، واستطاع جيش محمد على أن يصل قرية طَبَسَب ^(٤) مقر آل المتحفي وأن يهدم حصونها

- (١) وادي الصفراء في الطريق بين مكة والمدينة بما يلي ينبع به نخيل رعيون جارية
- (٢) ترّبه قرية بينها وبين الطائف ثلاث مراحل أنظر الرحلة ص ٨ .
- (٣) يشه واد عليه عدة قرى أنظر الرحلة ص ١٧ .

(٤) طَبَسَب قرية على وادي يسمى بها وهي من قرى عسير من منازل ربيعة رفيده تقع في الشمال الغربي من أبها وتبعد عنها بأربع ساعات : وجاء في كتاب (عصر محمد على) أنه بعد أن تمت مراسم الحج تجدد الحرب وانفذ محمد على جنوده إلى الطائف تمهيداً للزحف وكان الوهازيون قد جمعوا من المقاتلة نحو عشرين ألفاً حشدوهم بقيادة فيصل بن سعود بين بَسَل وترّبه وكان لهم عدا ذلك احتياطي من نحو عشرة آلاف مقاتل ، وان محمد على زحف في نحو أربعة آلاف مقاتل على بَسَل في يناير سنة ١٨١٥ م ، وأن الجيش لما والى زحفه إلى ترّبه وورنيه ويشه لقي متاعب هائلة ولم يكن غذاؤه في الغالب سوى التمر . وكان محمد على يقاسمهم شظف العيش ويشجعهم على احتياله ص ١١٢ .

. وفر طامي منفرداً على فرسه إلى تهامة إلى قرية تسمى «مُسْلِيَّة»^(١) كان قد أنشأها إبان إمارته وأحدث حولها مزارع أقام فيها بعض عبيده .

آوى طامي إلى مسلييه ولكن الخوف والهلج كانا قد ملكا عليه نفسه ، فلم يقر له قرار فيها فاعتزم التحول عنها والالتجاء إلى الشريف حمود أمير «أبو عريش» والاحتفاء بكنفه فانتقل إلى قرية الدهناء^(٢) ونزل فيها ضيفاً على الشريف يحيى بن محسن وكاشفه بعزمه على اللجوء إلى الشريف حمود فخطأه في هذا الرأي لما بينه وبين الشريف حمود من الأحن والضغائن ، ولما كان يأتيه من غزوه باسم السعوديين وسلب رعاياه ونهبهم ، وأشار عليه أن يحتفى في بعض جبال تهامة الشرقية ، فأبى ذلك وأصر على عزمه

في أثناء ذلك ، كانت قد ترامت أخبار هذه الحوادث وما أصاب السعوديين وحلفاءهم العسيرين من كوارث إلى أبو عريش ، ولم يكن الشريف حمود إذ ذاك بها بل كان القائم بالأمر عنه فيها وزيره السيد الحسن بن خالد الحازمي ، فبادر بالهجوم على صيبا^(٣) التي كان طامي قد انتزعها منهم باسم السعوديين وامتلك قلعتها واستولى على صيبا وطرده الحامية العسيرية التي كانت تقيم فيها ثم أرسل رعيلاً من الخيل للقبض على طامي . التقت السرية بطامي في طريقه مع الشريف يحيى بن محسن فقبضت عليه وأتت به إلى صيبا مشدود الوثاق .

ربّ من ترجو به دفع الأذى عنك يأتيك الأذى من قبله .
كان جيش محمد علي بعد أن احتل طيب كما سبق القول وعلم بهروب طامي أرسل خلفه طليعة من الخيل تتعقبه لتقبض عليه ، وصادف أن السرية وصلت إلى أطراف صيبا في الوقت الذي تم فيه للسيد الحسن القبض على

(١) مسلية قرية لا زالت قائمة إلى الآن شرقي وادي ييش .

(٢) الدهناء من قرى وادي ضمد من أودية تهامة .

(٣) مدينة من مدن الخلاف السليمانى تبعد عن جيزان بست ساعات أنظر الرحلة

طامى وسجنه فطالبوه به وتفادياً للاضطدام بهم ودفعوا لما يجره الامتناع من
مشاكل سلمه اليهم .

وإذا خشيت من الأمور مقدراً وفررت منه فنجوه تتوجه

نهاية سيئة

انتهت بذلك إمارة طامى بن شعيب وكانت خاتمة حياته مؤلمة محزنة فإنه
سيق إلى مصر وظل بها سجيناً مدة من الزمن أرسل بعدها إلى استانبول
فطيف به في شوارعها ثم ضربت عنقه رحمه الله .

اكتفى جيش محمد على بما تم وبالقبط على طامى وترك حامية من بعض
جنوده في عسير وعاد راجعاً إلى الحجاز .

لم تطل إقامة محمد على باشا في الحجاز لأن أخباراً وردته من مصر تنبئ
بحصول فتنة في القاهرة فأقام عنه والياً في الحجاز، ثم سافر مسرعاً إلى مصر^(١)

كان القبض على طامى ورجوع محمد على من عسير في غضون شهر ربيع
الأول عام ١٢٣٠ هـ وقع الناس بعده في عسير في فترة ضنك واستخذاء
للحامية التي تركها محمد على .

إمارة محمد بن أحمد والأخذ بالتأمر

إلا أنه في شهر رمضان من العام نفسه تأمر محمد بن أحمد المنجمي من
أبناء عم طامى وكان شجاعاً قوى الشكيمة^(٢) فكان أول أعماله هجومه على
مقر الحامية واستنصاله شأفتهم قتلاً وأسراً .

(١) تاريخ نجد الحديث ص .

(٢) يقول صاحب نفع العود في سيرة الشريف حمود (ومحمد أحمد هذا كان
لابساً رداء الجهورت ، وسفاكاً للدماء من غير مراقبة الحق الذي لا يموت اجتمعت
على طاعته أهل السراة من عسير خوفاً ورهبة) .

ثم نزل إلى محایل ^(١) وكان أهلها يوالون العدو فانتهمهم وحرقها وعاد راجعاً إلى السراة .

ولما آنس منه التوفيق وما حصل عليه من المغنم في هجومه على محایل ونظراً لما بين سكان السراة وأهل المخلاف السليماني من الضغائن ، لاسيما وقد سلخوا طامى بعد أن لجأ إليهم لرجال محمد علي كما سبق ذكر ذلك ، اعتزم أن يحارب الشريف حمود وينتقم منه ويسترد صديا فجمع الجوع من أهل السراة ونزل بهم إلى درب بني شعبة ^(٢) وعلى مقربة منه التي بجيش الشريف حمود ووقع بينهما القتال ، فكانت الدائرة على محمد أحمد ومن معه ، ورجع مهزوماً لم يبلغ أمنيته . علم ولاية الأمر في الحجاز بما حل بالحامية التي تركها محمد علي في عسير وانتقاض أهلها عليهم ، وخشوا — إن هم أهملوا ذلك — أن يعظم ويكبر فيتسع الخرق على الراقع لاسيما وأن الاجراءات الحربية القائمة في نجد لم تدخل في دور حاسم بعد ، بل كان السعوديون لا يزالون يقاومون إبراهيم باشا ويقاتلونه فقررروا إرسال حملة إلى عسير لاسترداد سلطانهم عليها . كان ذلك في أواسط عام ١٢٣٢ هـ .

سارت الحملة بقيادة حسني باشا عن طريق وادي بيشة فلم تلق مقاومة تذكر ، إلى أن وصلت طَبَبْ مقر آل المتحمي واحتلتها . والظاهر أن الأمير محمد أحمد لم ير فائدة في المقاومة لحسني باشا والتصدى لقتاله فاخفى . وأن حسني باشا لما لم يجد من المقاومة ما يؤبه له اكتفى باحتلال طَبَبْ وترك حامية أخرى فيها وأخذ العهود والمواثيق على من أظهر الولاء من أهالي عسير وعاد أدراجه .

(١) محایل قرية من قرى وادي حلي وعلى ثلاثة مراحل من نغراقنفدة أنظر الرحلة ص ١٠٠ .

(٢) درب بني شعبة على مرحلتين من صديا ومرحلة من رجال أنظر الرحلة ص ١٢٠ .

ويبدو لي أن الأمير محمد أحمد ومن لف حوله من رجالات عسير أرادوا بعد مبارحة حسنى باشا مناوأة الحامية والانتفاض عليهم غير أن العسيرين في هذه المرة لم يكونوا متحدين في مراميهم ، بل تحاذل بعضهم والتزم جانب الوفاء للجيش المحتل .

فقد ذكر صاحب كتاب نفح العود في سيرة الشريف حمود في حوادث عام ١٢٣٢ هـ ما نصه .

وبعد وصول الشريف حمود وبصحبه السيد العلامة الحسن بن خالد كان ذلك في وقت طلوع الوزير الكبير للسلطان حسنى باشا بالأتراك في بلاد عسير . واستولى عليها لما ساعدته المقادير ، وبعد انفصاله عنها وقع منهم الخلاف والتظاهر بعد الائتلاف وكان إذ ذاك أميرهم محمد بن أحمد الرقيدي فوقعت المفاوضة بينه وبين علي بن مجشّل أنهم يستجدون الشريف لأن كلا من الرجلين في معقله ومعه جماعة من عشيرته وباقي عسير قائمون عليهم بالحرب ؛ صباحا مساء ، محافظة مع الأجناد التركية على الوفاء ، وأصبحوا الرسل بهدية « درع وحصان » .

الشريف حمود يهتبل الفرصة فتواتيه الأقدار

أقدم الأمير محمد أحمد المتحمى ومن لف حوله من رجال عسير على الاستعانة بنصمهم الشريف حمود لما عليه عشارهم من التخاذل والانحراف مع الجيش المحتل ولما آتته في الشريف من السطوة والقوة عند ما وقع بينهما القتال في درب بني شعية كما مر آنفاً . وهكذا تقضى المحن والظروف السيئة أن يتخذ المرء من عدوه صديقاً ومن خصمه حامياً ومجيراً
ترجع لدى الشريف حمود أن يستجيب لما طلبته عسير لعل الأقدار تسعفه بضم جبل السراة إلى مملكته ، فطالما ذاق سكان الخلاف السلبي

عن أهله الأمرين في عهد موالاتهم للسعوديين وانتدب للقيام بهذه المهمة وزيره السيد الحسن بن خالد الخازمي فتهيأ لذلك وعبا الجنود ورأى أن يقدم بين يديه سرية من الجيش عن طريق قرية رجال جعل على رأسها القاضي الحسن بن عطييف الحكيم. وما كادت السرية تصل الحمة^(١) حتى فوجئت

بغير وصول القائد جمعه بجيش من الأتراك ومعه الشريفان علي بن حيدر ومنصور بن ناصر، فأنهما كانا قد انشقا على ابن عمهما الشريف حمود ولجأ كل منهما إلى مكة يستمدان منها المعونة على حربه.

طيرت السرية هذا الخبر إلى السيد الحسن فلحقها بمن معه من الجنود والتحم الفريقان في معركة كانت الدائرة فيها على القائد جمعه ومن معه؛ فولوا الأدبار ونكصوا راجعين من حيث أتوا.

بعد هذه الملاحمة ازدادت آمال الوزير السيد الحسن في ضم بلاد السراة إلى مملكة مخدومه، فقدم بين يديه القاضي الحسن بن عطييف ومن كان معه على سابق الترتيب ثم لحقه ببقية الجيش.

وما أن استقر في السراة وتوسط بين شعابها وصخورها الصلاب — كما يقول صاحب سيرة الشريف حمود — حتى شعر بالغدر وقصد السوء والإيقاع به وبمن معه من الجنود من بعض رجال عسير، فلم يسعه إلا أن يبذل الرغائب ويتوسل إلى دفع شرورهم عنه بالدراهم والدنانير — التي تسهل بين بني الدنيا كل أمر عسير — كما يقول صاحب السيرة. ويكتب من السراة إلى مخدومه الشريف حمود يستصرخه ويستحثه لإيقاضه. فلم ير الشريف حمود بداً من أن يسير بنفسه فحشد ما استطاعه من قوة وزحف طالعا إلى السراة

(١) الحمة مكان بين درب بني شعبه وقرية رجال يقع بين الجوفاء والجبيل أنظر الرحلة ص ١١٩.

عن طريق عقبة ضالسع^(١) وبوصوله وما معه من قوة - خنس واستخذى من كانت حديثه نفسه من رجال عسير بالغدر والخيانة . وقد سبق القول أن رجال عسير لم يكونوا متحدى الكلمة ويتضح من سير الحوادث أنهم لم يكونوا أيضا على وفاق في الاستعانة بأمرأ تهامة ولم يرقهم أن يكونوا تبعاً لهم لا سيما بعد ما أتوه من سطو وغزو لسكان تهامة إبان اتصال السعوديين بهم وما كان عليه الحال قبل ذلك من احتقار التهاميين لسكان السراة والازدراء بهم .

استهل عام ١٢٣٣ والشريف حمود معسكر في السراة والعشائر من سكانها تقدم عليه لأداء البيعة والطاعة له وأخذ هو يرتب الأمور وينظمها على ما تقتضيه المصلحة .

حملة سنان أغا

ترامت أخبار هذه الحوادث إلى أولى الشأن من رجال الحملة التركية ومحمد علي باشا في الحجاز وعز عليهم مالحق بالقائد جمعه من الهزيمة والاندحار الذي سبق ذكره فسيروا حملة أخرى كان على رأسها المدعو سنان أغا . جاءت هذه الحملة من طريق الساحل ومجايل ومعهما الشريفان علي بن حيدر ومنصور بن ناصر وهما من كانا مع القائد جمعه كما سبق القول إلا أن الشريف علي بن حيدر فارق الجيش في أثناء السير وتأخر عن الطلوع إلى السراة وكان في ذلك سلامته .

فان الشريف حمود لما علم بخبر هذه الحملة وأن معهما ابني عمه المشار اليهما آنفا أدرك أنه المقصود فأنبى لملاقاتهم وجرى القتال بين الفريقين فكانت

(١) عقبه ضلع غربي أبها الجنوبي ومن طرقها الرئيسية إلى الساحل انظر الرحلة

الدائرة على جيش سنان أغا ومن معه وولوا هاربين لا يلون على شيء .

ولم تشارك قبائل عسير مع الشريف حمود في قتال هذه الحملة لأن مبايعتهم له لم تكن عن طواعية ورغبة منهم بل كانت خشية بأسه ، إلا أنهم حينما رأوا انهكسار جيش الحملة تفرقوا له في المضائق والشعاب وأمعنوا في الفارين منهم سلبا وقتلا ولحق جماعة منهم بسنان أغا في رأس عقبة شعار^(١) فقتلوه وقتلوا معه الشريف منصور بن ناصر وذهبت الحملة شذر مذر^(٢) .

رجع الشريف حمود بعد انتهاء القتال إلى مخيمه فرحا مسرورا بما ناله من الفوز وما حصل عليه من الانتصار ولكن الأقدار عاجلته ولم تمهله لجنى ثمرة أعماله في السراة وأدركته منيته فمات بعد بضعة أيام من الحادث ودفن في قرية الملاحة^(٣) .

تقفون والفلك المحرك دائر وتقدرتون فتضحك الأقدار

وباستيلاء الشريف حمود على السراة في هذه السنة كانت خاتمة إمارة آل المتحمي التي استندت في قيامها على نفوذ السعوديين وسلاطنتهم في عسير السراة كما كانت خاتمة إمارة آل سعود أنفسهم في دورها الأول .

ففي ٩ ذي القعدة سنة ١٢٣٣ اضطر الأمير عبد الله بن سعود أن يستسلم لأبراهيم باشا ابن محمد علي بعد مقاومة عنيفة وحروب دامت بينهم

(١) عقبة شعار غربي أبها الشالي ومن طرقها الرئيسية إلى محابيل وما بعدها انظر الرحلة ص ٦١

(٢) ذكر ابن بشر في تاريخه عنوان الجند هذه الحادثة إلا أنه قال ان سنان أغا تزين أي لجأ إلى نجر القنفذه ولم يقتل ص ٢١١ حوادث سنة ١٢٣٣

(٣) قرية الملاحة تبعد عن أبها بأربع ساعات وشمالا عنها وهي من قرى قبيلة بني مالك إحدى قبائل عسير

بضع سنوات وأخذ أسيراً إلى مصر ومنها إلى الاستانة حيث لا في حنقه
رحمه الله . ولم يبارح ابراهيم باشا نجدا حتى هدم بلدة الدرعية وتركها قاعاً
صفصفاً والله الأمر من قبل ومن بعد .

لم أقف فيما اطلعت عليه من المذكرات التي أستمدت هذه الحوادث منها
على خاتمة محمد أحمد المتحمي كيف كانت هل مات حنقاً أنه أو قتل في إحدى
المعارك أم ماذا كانت نهايته .

غير أن ما يتناقله الخلف عن السلف في عسير، أنه أخذ أسيراً بيد الترك
في إحدى حملاتهم على عسير .

ولأهل محال مثل يضربونه لمن يترك سيئة بعده فيقولون ، نخلية
محمد أحمد ، وذلك لأن الأتراك حينما مروا به مكبلاً في الحديد على محال
أخذ بعض سفهائهم يندرون عليه ويستهزء به فرغم لمن يتولى شأنه من رجال
الترك أن له في محال أموالاً ومواشي مما حفر الترك وجعلهم يطالبون أهل محال
بها ويضمنونهم بسبب قوله هذا خمسة آلاف ريال . وجاء في تاريخ نجد لابن بشر
أن عسكرياً من الأتراك معهم محمد بن عون الشريف أمسكوا في حملة لهم على
العسيرين بمحمد أحمد هذا وهو مريض وقتلوه^(١)

ومما وقفت عليه عند بعض الحفاظ من سكان قرية رجال قصيدة منسوبة
لمداوي بن محمد أحمد المتحمي ويعرف بأبي دواس بعث بها من مصر في أثناء
أساره فيها إلى العلامة الشيخ ابراهيم الحفظي الزمزمي يتشوق إليه وإلى عسير
ويصف فيها بعض حوادثه السابقة مما يدل على أن القوم كانوا على طرف من
المعارف والإلمام بالآداب وعلوم العربية في وقت كان الشعر في حواضر كثير
من الأقاليم العربية أبعد ما يكون عن الجزالة وجمال الأسلوب والقصيدة
في خمسين بيتاً وهي :

سلام على عرق اللوى^(١) عدد القطر
ديار اذا شمت من الغيث نفحة
سلام على أعلامها وأكامها
بحية صب قد برى الشوق جسمه
فيا حبذا تلك الديار وإن نأت
بها فتية مثل الريح لجارهم
ولاسيا في يوم كل كريمة
وما كنت ممن يبرى الشوق جسمه
إلى أن بدت لي من سعاد محاسن
لها شعر كالليل أسود فاحم
عسيرة العينين رومية اللام
وفي حبها كم قلت يوما لعاذلي
فدعك عذلي في هواها وأهلها
تذكرتها والليل قد مد جناحه
فجأزتهم ستصحبنا مشرفة
ويمت أرضنا لا أنيس بها يرى
كان عليها الغيث أصبح ساخطا
ومالي إلا الأسودان^(٢) معيشة
وصيرت أقدامي ذارعا لقفرها
فلما وصلناهم وجدنا أناسهم
أرادوا لنا كيدا أفاض عليهم
فان رغبت عني سعاد فأننى

وحيداه هطال يحليه بالزهر
تضوع منها طيب الثبت بالعطر
سلام على سكانها البدو والحضر
وأدمعه من حر نار الجوى تجرى
ولاحبذا مصر وإن كنت في مصر
ويحمونها بالبيض والذبل السور
يسير بها الركبان في البر والبحر
لغير القنا والبيض والضمر الشقر
سببت مهجتي من حيث أدري ولا تدري
وجيد كجيد الريم والوجه كالبدر
تمامة الساقين نجديّة الخضر
صدقت ولكن لاسميلي إلى الصبر
هو قدوتي حتى أوسد في قبري
وحولي حراس حراس على أسرى
كان على أعطافها هب الجمر
سوى الذئب يعوى من أمامي وفي أثرى
فليس بها شيء سوى الرمل والصخر
ومالي ظهر في فلاها سوى صبري
وقطعتها حتى وصلت بني شهر^(٣)
جياعا من التقوى شباعا من الكفر
وأبنا بحمد الله بالعر والنصر
أشد على خطب الزمان من الصخر

(١) عرق اللوى اسم مكان في بلاد عسير

(٢) الأسودان التمر والماء

(٣) سبق التعريف بهم

وإني بحمد الله أرجى وأتقى
ولي همة تعلو على كل همة
سلي إن جهلني سيرتي وسريتي
وليل سريناه بأرض بهية
وحولي أسيخ على كل سابع
رقوا من حصون المجد كل مشيد
ودانت لهم شرق البلاد وغربها
وكم من ملك غادرته سيوفنا
أنا بقوم أهل بأس وقوة
طحنهمو طحن الرما بشفالها
ودار أخذناها وقد برزت الوري
محصة أمست وهي مطمئة
فذاقت عذاباً ما رأت قط مثله
وقد كنت في عرق اللوى أسعد الوري
فطوراً تراني رأس حصن مشيد
وطوراً تراني بالتماري (١)
ويوماً بأعلا شعب قارة طاب لي
وقد طرزت كف الغمام رياضه
فيا أيها الريح اليمانية أبلغني
فلولا هموا ما حزني الين والنوى
ولولا إمام العلم والحلم والتقى
أمام لقد أضحي وحيد زمانه
أمام هدى من بيت غر وسودد

وان جارت الأعداء في طيشة العصر
تبلغني المقصود إن مد في عمري
فليس أخو جهل سواء ومن يدري
فن أين لي ليل يحاكيه في عصر
يرون لدى الهيجاء كالأنجم الزهر
إلى أن رؤا فوق الكواكب والبدر
وأستقو ملوك الأرض كأساً من الذعر
قتيلاً لدى الهيجاء للذئب والنسر
ولكن لقينا هم بقاصمة الظهر
ومن عاش من تلك الجنود في الأسر
طلعنا عليها بالهلاك مع الفجر
عليها ثياب لا ترام من الستر
وألبسها قومي ثياباً من القبر
وحولي قوم يعرفون به قدرى
وحينا بأبيات تراني من الشعر
وتارة بخوبر (٢) بين الشبح والرنند والنهر
نعمت بغيد فيه كالأغصن الخضر
بنيت نبي بين المسائل والوعز
بني عمنا مني سلاماً بلا حصر
فاني على ضم الزمان لنذر صبر
لما هزني صوت الحمامة والقمرى
هو الشيخ إبراهيم مرتفع القدر
منارهم فوق الكواكب والبدر

(١) مكان في غربي ايهام من منازل عسير (٢) اسم مكان في جبل عسير

بهم أصبحت تلك الديار منيرة وأحيوا بها تلك المساجد بالذكر
عليهم مدى الأيام متى تحية يفوق شذاها المسك والعنبر البحري
فجسمي بمصر والفؤاد لديهم ودمع عيوني بل تسكابه حجري
وأن جذبي شوقي فيني وبينهم قفار ترد الريح منطم الصدر
ولكنني أرجو الإله بمنة وفضل علينا يبدل العسر باليسر

وقف بنا القول في حوادث عسير عام ١٢٣٣ هـ عند وفاة الشريف حمود ولم يتعرض صاحب سيرته لمن قام بالأمر بعده ، ولا ماذا كانت نهاية جيشه في السراة مع كره العسيرين لاستيلائه عليهم ، والظاهر أن الجيش بعد أن فقد عميده ومبعث نشاطه وقوته ، ترك السراة لأهلها ، وكرز راجعاً إلى تهامة وجاء في تاريخ نجد لابن بشر أن الذي تولى الأمر بعد الشريف حمود أبنه أحمد وانه وقع بينه وبين حسن بن خالد الحازمي وزير أبيه مشاجات ثم اصطالحا ثم سار اليهم خليل أغا بصكر كشف من الترك وانتهى الأمر بأن قبض خليل أغا على الشريف أحمد بن حمود ونفاه إلى مصر ثم مات خليل أغا (١) .

دام نفوذ السعوديين في عسير من عام ١٢١٥ إلى عام ١٢٣٠ هـ أي خمس عشرة سنة ، وأمتدت إمارة بيت آل المتحمي ريب السلطة السعودية والمرتكز على حمايتها ثلاث سنوات أخرى . فان محمد أحمد المتحمي هو ابن عم طامي بن شعيب ولم ينقطع نصره إنقطاعاً تاماً إلا باستيلاء الشريف حمود أمير أبو عريش على عسير في سنة ١٢٣٣ هـ . ومن الحق أن تعتبر إمارة محمد أحمد المتحمي ، ذبلاً لمدة سلطة السعوديين على عسير وإمتداداً لها فان إمارته نشأت وهم لا يزالون يقاتلون الجيوس التركية أو بتعبير أدق جيوش محمد علي باشا والى مصر ، وفورة سلطانهم في عسير ما تزال على حرارتها .

كما أننا لا نبتعد عن الحقيقة والواقع إذا اعتبرنا امراء آل المتحمي شبه مستقلين بالأمانة في عسير رغم ما كان من نفوذ للسعوديين فيها .

فـعـصـر مـحـمـد بـن سـعـود و ابـنـه عـبـد العـزـيـز يـكـاد يـكـون عـصـر تـمـهـيـد و تـو طـئـة لـعـصـر الإـمـام سـعـود الكـبـيـر لـأن مـعـظـم أـعـمـالـهـا فـي الأـمـاكن النـقـاصـيـة هـي الدـعـوة ، ثـم الغـزـو و الـعـودـة بـخـمـس الغـنـائم ^(١) و عـهـد سـعـود الكـبـيـر و ان كان عـلـى شـيـء مـن الـاسـتـقـرار و بـسـطـة السـلـطـان ، فـقـد كان يـنـقـصـه الكـثـيـر مـن حـسـن الـإـدـارـة و الدـقـة و النـظـام ^(٢) و كـانـت السـيـاسـة العـلـيـا فـيـه لـاسـيـما مـع المـنـاطـق النـائـيـة و البـعـيـدة عـن مـقر اـمـارـة كـعـسـيـر مـثـلا سـائـرة عـلـى الـاكتـفـاء بـقـبـول الدـعـوة و إـظـهـار المـوـالـاه و الأـفـراط فـي مـحـابـات مـن كان لـهـم سـابـق شـوكة فـي البـلـاد ، أو مـن يـتـظـاهـر بـصـدق الـولـاء ، و القـنـاعـة بـما يـبـعـث بـه مـن الخـراج و الخـس فـي المـغـنـائم ، و الـقـاء حـبل إـدـارـة الدـاخـليـة عـلـى غـارب مـن تـسـند إلـيـه الأـمـارة يـتـصـرف فـيـها كـيـف شـاء .

(سـيـاسـيـة الـلامـركـزيـة)

فـكـثـيـراً ما كان يـشـن أـمـراء عـسـيـر الغـارـة عـلـى مـن و الـاهـم مـن القـبـائـل و مـالـك الـيـمـن مـن تـلقـاء أنـفـسـهـم و بـاسـم الدـعـوة ، و قد يـحـصـل نـزاع بـيـن أـمـيـريـن يـوـالـيـان آل سـعـود فـيـقـاتـل أحـدـهـم الآخـر و يـغـزـو قـبـائـله و قـراء دـون الـرجـوع إلـى الدـرعـيـة إلـا بـعد الحـادـث كما يـتـبيـن ذلـك مـما سـأـقـصـه فـي سـيـرة الشـريـف مـحـمـود لـأنـه مـن ثـمـلك عـسـيـر السـراة لـبـضـعة أشـهـر فـلـزـاماً أن أـلم يـسـيـر تـه بـعض الإـمـام لا سـيـما و أنـه كان شـجـاعاً فـي الحـرب و دـامـيـة فـي السـيـاسـة فـقـد خـضع لـلسـعـودـيـيـن و انـضـوى تـحت لـوائـهـم و عـادى حـكـومـة صـنـعـاء ، ثـم تـفـلت مـن السـعـودـيـيـن و صـانـع حـكـومـة الـيـمـن ثـم صـالـح السـعـودـيـيـن و عـاد فـتـنـكـر لـحـكـومـة صـنـعـاء و نـابـذـها و له مـع الأـمـراء العـسـيـريـيـن و قـائـع و وقـائـع و مـات و رايات النـصـر عـلـى رأسـه تـخـفـق ، كما يـقـول صـاحـب سـيـر تـه .

(١) تـارـيـخ نـجـد الحـدـيـث صـفـحـة (٥٥)

(٢) تـارـيـخ نـجـد الحـدـيـث صـفـحـة (٦٣)

سيرة الشريف حمود المعروف بأبو مسمار

كانت إمارة أبو عريش إلى عام ١٢١٣ وتبعها صيبا مرتبطة أسمى بحكومة صنعاء وكان الأمير علي أبو عريش في ذلك العام الشريف علي بن حيدر الحسني والمتنصب على صيبا ابن عمه الشريف منصور بن ناصر وكانت الدعوة الإصلاحية القائمة في نجد قد تسربت في هذه الأثناء إلى الخلاف فرحل إلى الدرعية من إشرافه المدعو أحمد بن حسين الفلق للأخذ بهذه المبادئ الإصلاحية والدعوة السلفية فاتهن الأمير عبدالعزيز بن محمد وصوله وأعاده رسولا يحمل منه لأشراف الخلاف وأمرائه كتابا بالدعوة جاء في أوله : من عبد العزيز بن سعود إلى من يراه من أهل الخلاف السليماني خصوصا الأشراف أولاد محمد بن حمود وناصر ويحيى وسائر إخوانهم وكذلك بني النعمة أشراف تهامة وفقنا الله وإياهم إلى سبيل الحق والهداية وجنتنا وإياهم طريق الشرك والغواية وأرشدنا وإياهم إلى اقتفاء آثار العناية أما بعد فالموجب لهذه الرسالة أن الشريف أحمد بن حسين وصل إلينا فرأى مانحن عليه وتحقق صحة ذلك لديه وبعد ذلك القس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه فتعرفوا به الأسلام الذي لا يقبل من أحد سواه الخ .

جاء الشريف أحمد بهذا الكتاب واستوطن أسفل وادي بيش عند بعض الأشراف من الجعافرة وأخذ في نشر ما تعلمه من مبادئ الدين الصحيحة والدعوة إلى نبد البدع والضلالات التي كانت فاشية في الخلاف فانضم إليه خلق كثير من قبائل وادي بيش وقرى الخلاف مما أفلق بال أمير صيبا فكتب للشريف علي بن حيدر أمير أبو عريش يخبره بحالية الحال ويدعوه للأخذ على أيديهم ، فلم يبادر أمير أبو عريش بالأجابة ، بل صبر إلى أن حل وقت الخرص والزكاة وأرسل إليهم من يخبرهم فطرده وأبوا عليه ذلك .

عندئذ جهز جيشا لمعاقتهم وأرسل لابن عمه الشريف حمود بن محمد ،

وكان إذ ذاك في جهة تعشر^(١) عند بعض أمواله ومزارعه ، ودعاه للمشاركة بعد أن كشف له تفاصيل الأمور ، قامت الحملة وخرج لمشاركتهم فيها أمير صيبا الشريف منصور بن ناصر وتمكنوا من العصاة وشتنوا شملهم وفرقوهم واستقرت الأمور في تلك الجهة .

وبعد شهر من الحادث دب الطمع في نفس الشريف حمود وتناولت إلى الاستئثار بالإمارة وإنزاعها من ابن عمه الشريف علي حيد ولم تضي غير أيام فلاتل حتى وثب ينازعه إياها ودام الحرب والقتال بينهما نحو ثمانية أشهر انتهت بتنازل الشريف علي بن حيدر للشريف حمود عن الإمارة وكتبوا لحكومة صنعاء بالواقع فأقرته وصدر المرسوم الإمامي بالموافقة على ما حصل وجاءته الكسوة والحصان على المراسيم المعتادة .

في هذه الأثناء كانت الدعوة السعودية المسلحة قد وصلت أطراف المخلاف . فقد وصل إلى درب بني شعبة حزام بن عامر على رأس ستماية من العجمان وانضم اليهم عرار بن شار أمير بني شعبة ، فانه كان قد استجاب للدعوة وتوجها جميعا إلى ضواحي صيبا يغيرون على ما هنالك من القرى فأنبى الشريف حمود لمقابلتهم ورد عاديتهم ، وجرت حوادث يطول شرحها ، انتهت بتراجع المغيين وفرار عرار ومن كانوا معه من العجمان . غير أن الأمور والأحوال لم تعد تعرف الاستقرار والطمأنينة فان الغزاة من أهل المشرق ومن والاهم من القبائل القريبة من المخلاف لم ينقطعوا عن الأغارة عليه ومهاجمة ما حول صيبا من القرى مما اضطر معه أمير صيبا الشريف منصور إلى الانفصال عن ابن عمه أمير أبو عريش والانضمام إلى السعوديين وموالاتهم . وانتهى الأمر عندما تأمر عبد الوهاب بن عامر من طرف السعوديين على قبائل عسير السراة في عام ١٢١٧ هـ واشترط عليه السعوديون محاربة الشريف حمود أن استسلم الشريف حمود نفسه وانضوى تحت لوأتهم .

(١) واد بين المضايا وأبو عريش بما يلي الساحل :

كان الشريف منصور بعد أن انفصل عن الارتباط بأبو عريش أخذ هو وعرار بن شار أمير بني شعبة يكتبان للامام عبد العزيز بالدرعية ويكبران له شأن أمير أبو عريش ويدعوانه إلى التعجيل بتجهيز حملة قوية نفل شوكته وتدخله في الطاعة .

على أن الشريف حمود هو الآخر أخذ بعد انفصال ابن عمه منصور عنه يكتب إلى إمام صنعاء يستحثه في إمداده بما يمكن له من رد الأمير منصور إلى طاعته ودفع غزاة نجد عن بلاده فلم يحصل من حكومة صنعاء على طائل ، وكانت الدرعية أسرع إجابة لنجدة من يواليها فقد صدر أمر الإمام عبد العزيز إلى الأمير عبد الوهاب أمير عسير بالتهيؤ لمقاتلة الشريف حمود وكتب لسائر من يواليه من أمراء تهامة بالنفير معه ، وأمدّه بعدد وافر من رجال نجد كما سبق القول بذلك وكتب للأمير وادى الدواسر وغيره من قبائل المشرق بالالتحاق بعبد الوهاب . حتى بلغ من انضم إليه من الجنود والمقاتلة نحو عشرين ألفاً .

زحف عبد الوهاب بهذا الجيش العرمرم دون أن يلاقى من أهل القرى الموالية للأمير أبو عريش غير التسليم والطاعة حتى كحيم قبلى أبو عريش وعلى مرأى العين من فيه ، ثم بعث أحد الأشراف المناهضة من والاه في زحفه بكتاب للشريف حمود يعرض عليه الدخول في الطاعة ، ويحذره عواقب القتال فرفض الشريف هذا الطلب وأصر على القتال .

أشار عرار بن شار بعد امتناع الشريف حمود على الأمير عبد الوهاب بأن يجعل الحملة أولاً على ديرة^(١) الأشراف فانها كانت منجزة في جانب من البلدة فاذا ما استسلموا وخضعوا انقاد بقية سكانها للطاعة من غير عناء ولا قتال .

(١) الديرة بمعنى الحسنة مؤنث دير واحد الديور جرى الاستعمال فيها على غير القياس واستعمال هذه اللفظة في ذلك شائع بين عرب الحجاز أيضاً .

بلغ ذلك الشريف منصور أمير صيبا ، فانه كان مشاركا لهم في هذه الحملة وعز عليه هذا الرأي حمية لنوويه وعشيرته ، وما زال يقتل في الذروة والغارب حتى حول عبد الوهاب عن هذا الرأي وأن يبدأ الحملة على البلدة أولا وكان من جملة ما أبداه أنه كفيفل إذا ما فتحت البلدة أن ينقاد إليه الاشراف جميعهم وأن يدخلوا في الطاعة .

وهكذا قدم ضعاف الرعايا المساكين طعمة للسيف ودرءاً للعنصر الممالك المتحكم .

لاح فجر يوم الجمعة الخامس من شهر رمضان سنة ٢١٧ هـ ولاحت معه بوارق سيوف المهاجرين ودوى رعد بنادقهم ، وما أن كادت شمس ذلك اليوم تغرب حتى كان المهاجمون يحوسون الأزقة ويفترعون البيوت داخل البلدة واستحرق القتل في أهالي أبو عريش حتى سالت الدماء كالميزاب كما يقول صاحب سيرة الشريف حمود ، فان الجند وضعوا السيوف دون رحمة أو شفقة .

ويقول المؤرخ المذكور إن الشريف حمود قاتل في ذلك اليوم قتال من يطلب الموت ويتمنى الهلاك .

(صلح واستسلام)

أمسى الليل وأرغى الظلام سدونه وانحاز من نجاة أهالي البلدة إلى ديرة الاشراف ، ولكن هيات أن يكون قد بقي للاشراف عزيمة أو همة للقتال فقد تجمعهم روا يطالبون الشريف حمود أن يصلح القوم ويسلمهم ليصرون دماهم وحریمهم من مثل ما وقع في أبو عريش .

أبى الشريف أول الأمر الاستجابة لما طلبه منه ذروه ولكنه عاد فوافق ، لأن الشريف على حميد سلفه في أماره أبو عريش سارع بتقديم الطاعة للجيش المهاجم .

نحى إن هو أصر على إباته أن يسبقه بالزلى فيضعف أمه في استبقائه على أماره أبو عريش وكان بطمع في ذلك .

نزل الشريف على حكم الواقع وتقدم الأمير عبد الوهاب في خيمه خارج

البلدة . فلم يحفل به بما كاد معه أن يهيم بالرجوع والتكول ، ولكنه تجدد وتقدم فبايع على الاسلام والتبرؤ من كل دين سواه ، وعلى السمع والطاعة لعبد العزيز بن سعود ومعادات من عاداه كما يقول صاحب سيرته . تشعبت آراء من كان مع عبد الوهاب من رؤساء الجند وأمراء العشائر في من يجعلونه أميراً على أبو دريش . وكان هوى كل واحد منهم مع من يتصل به ويرضاه من الأشراف ، فلم يسع عبد الوهاب إلا إسناد الأمانة للشريف حمود وتأبيده فيها تخلصاً من عواقب هذا الاختلاف . إلا أنه اشترط في ذلك موافقة الإمام عبد العزيز ورضاه به .

وجمع الأمير عبد الوهاب الأسلاب والمغانم وأخرج خمسها ثم وزع الباقي على جيشه ومن شاركه في القتال وطوى خيامه وعاد أدراجه إلى السراة .

محاولة انتفاض فاشلة

لم يكن الشريف حمود صادق النية ولا سالم الطوية في عهده ومبايعته ولا زال يأمل في معارضة حكومة صنعاء له وأغاثته وتخليصه فانتدب سرّاً صديقه وصفيه الشريف حسن بن خالد الحازمي وبعث به إلى الخليفة المنصور بصنعاء وأصحابه رسائل تتضمن حكاية الواقع ، فعل الشريف ذلك ، ولكنه نظر فوجد البلاد خراباً يباباً قد تفرق أهلها وذهب رجالها ، ولم يبق غير الخوافي من ذلك الریش ، فعزم على أن يتصيد من حوله من أهل القرى التي يرجع أمرها إلى حكومة اليمن ويدخلهم في طاعته باسم الدعوة السعودية والإصلاحات الدينية ليعوض بذلك ما فقده .

أقام رسول الشريف في صنعاء نحو ستة أشهر دون جدوى ولا فائدة فعاد أدراجه وكان الشريف قد توسع في التسلط على بعض القرى والقبائل المجاورة وازداد نشاطه عندما رجع رسوله بالخبيثة من صنعاء ، وتظاهر تظاهراً سافراً بموالة الدعوة وولى وجهه شطر الدرعية وأمعن في بلاد اليمن يغزو ويفتح مستعيناً بمن كان يفد عليه بين الفينة والفينة من الغزاة من أهل

الأقاليم والوديان الشرقية لجبل السراة ومن ينضم اليهم من قبائل عسير للغاية نفسها ، لهم المغنم وله الاستيلاء والتسيطر وكل ذلك باسم الدعوة وفي طاعة الإمام . ولذا لم يقصر في بعث البعث وارسال الهدايا وأخماس المغنم إلى الدرعية بما جعل الإمام عبد العزيز يوافق على إجراءات الأمير عبد الوهاب من بقاء الشريف حمود أميراً على أبو عريش ، ولكنه أوجب عليه أطاعة عبد الوهاب والتفكير معه إذا دعت الحاجة ، فلم يرق ذلك للشريف حمود ، وكان شجاً في خلقه لأن الأشراف في تهامة كانوا أولى حرمة وقدر عظيم يعيشون بين رعاياهم عيشة إجلال وتعظيم . وكان أهل السراة في نظر التهاميين بمنزلة الخدم لا يماشونهم في شيء ولا يرون لهم ما يروونه لغيرهم من الحق ، لما كان عليه أهل السراة من الوحشية والجهالة ولأنه لم يسبق لهم منذ أجيال أن تكون لهم وحدة أو تجمعهم أمانة ولكنهم بعد أن استجابوا لدعوة ابن عبد الوهاب عظمت هيبتهم في الصدور ومع فتكاتهم ارتاع منهم الجمهور ، هكذا يقول مؤرخ الشريف حمود وصاحب سيرته .

الفرصة السانحة

قلنا أن الشريف حمود داهية وبهمة ، وقد هبت رياح الأقدار بماهياً له نوال أمنيته من الأفراد بالتصرف والخلاص من علاقته بالأمير عبد الوهاب أمير السراة فانه في شهر رجب سنة ١٢١٨ هـ توفي الإمام عبد العزيز مقتولاً .

فلقد أُنْـدَس له في مسجد الدرعية بين جمهور المصابين رجل من الروافض سكان العراق جاء إلى الدرعية متكرراً وبادر الإمام وهو في الركعة الثانية أو الثالثة من صلاة العصر وطعنه طعنة أودت بحياته فمات ميتة عمرية وقام بالأمر بعده ابنه سعود المعروف بالكبير فانتبه الشريف حمود هذا الحادث واتفق وابن عمه الشريف منصور أمير صيبا بأن يسير منصور على رأس وفد إلى الدرعية لأداء واجب العزاء وتحديد البيعة والموالاتة للأمام سعود

والتوسل بما في الوسع للتخلص من الارتباط بأهل السراة وأميرهم
عبد الوهاب .

سار الوفد مزوداً بالنفائس من الهدايا وكان المنتدب فيه عن الشريف حمود
وزيره السيد الحسن بن خالد فتلقاهم الإمام سعود بالترحاب والتكريم وأجابه
إلى ما رغب ، وعاد يحمل من الدرعية الأوامر القاضية باستقلال الشريف
حمود بكافة شؤونه مع ارتباطه المباشر بالدرعية .

كما منح الشريف منصور حق التصرف منفرداً في إمارته لصديها علي
أن يكون فيما يتعلق بالنفير للجهاد والغزو مرتبطاً بعبد الوهاب ومستجيباً إليه كلما
دعاه لذلك . سر الشريف بهذا التفلت من نير عبد الوهاب والإستقلال بالعمل
وقويت بذلك عزائمته فأخذ يعمد في بلاد حكومة صنعاء غزواً ونهباً حتى
امتدت فتوحاته إلى زيد ، والمخا ، وبيت الفقيه ^(١) وغيرها بعد حروب
ومخادعات وأحاييل كان يتخذها مع عمال حكومة صنعاء تجلت فيها عبقريته
ودهاؤه وقد ذكر وقائعها صاحب سيرته بأسهاب يطول شرحه
ولقد استغل الشريف حمود إرتكازه على نفوذ السعوديين وسطوتهم استقلالاً
واسع النطاق أيد به مصالحه الخاصة فقد ذكر صاحب سيرته في نفخ العود ما يأتي
« عندما كان الشريف حمود موالياً للسعوديين أثناء أقامته في وادي ، خلب ،
ورد عليه غزاة من المشرق ومن قحطان ومن الدواسر ومن شهران ومن العجمان
ومن عسير ومعهم من الخيل والركاب ما ملأ الرحاب وأخبروه أن لهم إلى اليمن
نفوذ وأنهم لا ينفذون إلا معه أو يصحبهم أحداً من خاصته وأصحابه

استكثر الشريف تلك العصابة وامتلا بهم وطابه وعزم على الغزو بنفسه
فنادى في رجاله وعزم على من في حياله وتوجه أميراً على تلك الجنود وهو
يقصد اليمن وجل مقصده الحديدة وكتب إلى قاضيا وعاملها وكان القاضي يومئذ
هو العلامة الكبير والمجتهد النحرير محمد بن أحمد سحيم من علماء السنة ومفاخر اليمن

(١) هذه الثلاثة المدن من مدن تهامة اليمن على مقربة من الحديدة .

وقد استوعبت ترجمته في كتاب الوفيات لأنه عند هذه وقد درج إلى دار السلام
واسكنه الله دار الرضا والإفهام ، وكان العامل الفقيه صالح بن يحيى الغلطي العرشي
ومضمون تلك المكتتب دعوتهم إلى طاعته ودخولهم في جماعة وإلا فقد أعذر
من أنذر .

فتباطأ أهل الحديدية في الجواب ورجع الرسول عارى الأهاب فتقدم في آخر
ذلك اليوم أصحاب الشريف على أهل الحديدية وخرج اليهم جماعة من الصومال
والتوايع وبعض أهل البلد وحين رآه أقبال القوم لبسوا ثياب الانهزام وبلغ
هاربهم إلى البحر وانحاز الفقيه إلى القلعة الصديقية من أعظم معاقل الحديدية معمور
بالمدافع وآلات الحرب وضربت المدافع من جمع النوب وتقدم أصحاب الشريف
إلى أن دخلوا أكثر البلد فبادر الفقيه باحراق البيوت الخوص والعشاش ،
وأضرم فيها النار حتى كانت ترى على مرحلتين

تتورمها من أذرعها وأهلها يثرب أدنى دارها فنظر على على
ومع اضرام النار خرج أصحاب الشريف من البلد ورميات المدافع قد
ازعجت أهل الخيم وأصيب الشريف بسهم وقع في عرض ركبه ولم يؤثر أثراً
كبيراً لأنه وقع بارداً (١)

خبيسة أهل أو مجهود ضائع

كان الشريف يعمل أفيكاره في القدوم مرة أخرى على البلد
وأهل الحديدية في تلك الليلة قد تراجع رأيهم بتسليم مال للشريف على أن يرخل
عنهم وفي همهم أن يبعثوا إليه في الصباح من يتوسط بتسليم المال فراع الشريف
إلا دخول رؤساء الغزو من النجود والدواسر وقحطان ومن معهم وهم يقولون
القبول يا شريف ما بقي لنا طمع في هذه البلدة ما فيها إلا بندق ومدفع وحجارة
نريد الطرش من الإبل والماشية تريد الكسب والمغنم - فخالهم الشريف على البقاء.

(١) من هذا الحادث اتب الشريف حموداً يومئذ وأخذت شهرته من ذلك الوقت بهذا اللقب.

ولو تلك الليلة لعله يتقضى له بهم الحرام فلم يسعدوه وهم الكثرة والوفرة وما وسعه إلا الشديد معهم والارتحال وارتاح أهل الحديدة من الحصار وما كانوا هموا ببذله من النصار وتوجه الشريف بتلك الغازية إلى التحية من قرى زيد فدخلها القوم وانتهبوا ما فيها واستقر الشريف إلى أن غزا بعض الجند إلى اليمن وحصلوا على مرادهم من الهوش ثم قفل راجعا إلى الشام .

حقد ثور

قلنا أنه لم يرق الأمير عبد الوهاب أمير عسير نفلت الشريف حمود من نيره واستقلاله عنه بالعمل وأحذقه توسع الشريف في الجهات اليمنية وأمعانه في غزوها مفرداً فلما توجه الأمير عبد الوهاب إلى الحجاز لمناوشة الشريف غالب وقتاله عندما تقضى عهد السعوديين كما سبق القول بذلك عند الكلام على إمارته لعسير السراة كان في جملة جيشه ثلة من جنود عرار ابن شار أمير بني شعبه غضب عليهم عبد الوهاب لأمر أئوها وفي منصرفه من القتال وعودته إلى عسير سلب ما كان مع جنود عرار من خيل وسلاح وطردهم مهانين . بلغ ذلك عراراً فقاطعه وأخذ يعمل الحيلة في استمالة قبائل الملح (وقد كانوا يوالون عبد الوهاب) ويوقع بينهم وبين عبد الوهاب الفتن والخلاف وفطن عبد الوهاب لما يكيد له عرار فبادر بالغرب على يد من أنس منهم الغدر والإنتقال من رجال الملح وسحب بجنوده يقصد عراراً في مقره من قرية درب بني شعبه ، فلم يسع عراراً إلا الهرب بما استطاعه والالتجاء إلى حمى الشريف حمود ، فانتهاز عبد الوهاب ذلك وزحف إلى الدرب وحرق ما كان فيه من حصون ودور لعرار ، ونهب ما بقي له من متاع وتقدم يتعقبه واعتزم أن يقاتل الشريف حمود إن هو أصر على حماية عرار والذود عنه ، فانه كان يتلأ حقدًا حتى على الشريف كما سبق القول .

الالتجاء إلى الدرعية

في أثناء هذه الحوادث كان كل من عرار وعبد الوهاب والشريف حمود قد كتبوا إلى الدرعية يشكون بعضهم البعض

ومن التصادف أن رسل الأمير سعود بالأجابة على شكواهم كانوا قد وصلوا
ومعهم الأوامر بأن يقدم الجميع إلى الدرعية للفصل بينهم فاضطر الأمير عبد الوهاب
أن يحجم عما اتواء وأن يعود إلى السراة ويتأهب للسفر إلى الدرعية استجابة
لأمر الإمام

سافر عبد الوهاب إلى الدرعية وسافر أيضا الشريف منصور بن ناصر أمير
صديا وسافر معه عرار أمير بني شعبة ولكن الشريف حمود لم يسافر بذاته بل
نذب ولده وأرفق به وزيره الشريف الحسن بن خالد وأصحابهما من التحف
والهدايا كل غال ونفيس .

نتيجة المحاكمة

وصل الجميع الدرعية وبعد أخذ ورد أدان الأمير سعود الشريفين وعرارا
بالحجة وجعل الحق في جانب عبد الوهاب ولكنه عفى وصفح ولم يسعف
عبد الوهاب بأن يكون أمر الشريف اليه بل أبقى ما كان على ما كان غير أنه استبقى
عرارا لديه بالدرعية وحجزه عن العودة إلى مقره .

الامام سعود

يستجيب لعبد الوهاب

لم يرض ذلك عبد الوهاب بل زاد في حنقه وغيطه فأخذ يقتل في الذروة
والغارب لدى أهل الدرعية حتى أوجد الشك والريب في اخلاص الشريف وأوغر
صدورهم عليه. وفي ذلك الكثير من الحق فان الشريف حمودا لم يكن خالصا لاخلاص
العسيريين للدعوة ولم يكن صادق الموالاة وقد جرت بعد ذلك حوادث وقضايا
رجحت صدق أقوال عبد الوهاب فيه وصحتها . وكان من عادة الأمير سعود بعد
فتح مكة أن يحج كل عام ويجمع فيها برؤساء القبائل وأمراء العشائر من أغلب
الجمعات التي خضعت لسلطانه وفي منصرفه من عام ١٢٢٣ أمر عبد الوهاب
بالتقدم لقتال الشريف حمود والاستيلاء على ماله استيلاء تاما وأمر أمير

قحطان وأمير شهران بالنفير مع عبد الوهاب وعين لمرافقة الخلة رجالا من خاصته وكتب للشريف منصور أمير صيبا يذكره بالعهود ويدعوه لمحاربة عمه الشريف حمود كما كتب للشريف علي حيدر أمير « أبو عريش » السابق بمثل ذلك وصرح له بأنه سيجعله أميراً من بعده علي « أبو عريش » .

لم يخف ذلك علي الشريف حمود ، لأن الإمام سعوداً قبل سفره من الدرعية إلى مكة كتب له يلزمه بضرورة الوصول إلى مكة ومواجهته بها ، ولكن الشريف لم يفعل ، بل نذب عنه ابن عمه الشريف يحيى بن حيدر ، ويقول مؤرخه في رسالة نفح العهود وألقى إليه (أي إلى الشريف يحيى) ، أن يتعرف له ما انطوى عليه سعود وأن يتصل بسكبراء النجود فإن بقي للمصانعة مجال فإننا لا نبخل بالكثير ، وإن لم يبق لذلك مشرع ولا للجميل مترع فمعد إلينا وأسرع . وعند جبهة الخبر اليقين ، فلاقى الشريف يحيى سعوداً ولمح فيه للعدوان بروفاً وسمع منه بالتواعد وعوداً وصادف الشريف غالباً أمير مكة السابق فأخبره جلية الخبر وأشار عليه بسرعة العود إلى المستقر .

وضحح للشريف حمود أن القوم قد عزموا على انتزاع ملكة فأمرع بإرام صلح مع إمام صنعاء على التخلي له عن بعض بوادي المخا ، وعلى أن يمدد إمام صنعاء عند الحاجة بالجنود لمحاربة النجود وأن يكونا يداً واحدة عليهم ، وكان أول عمل أخذه بعد ذلك من دواعي الاحتياط أن بادر بضرب قبيلة الزرائق فقد كانوا خارجين عن الطاعة وخشى أن يكتبوا عبد الوهاب أمير عسير فتعظم بذلك المخنة ، ثم عجم عود ابن عمه منصور أمير صيبا وما زال يعمل حتى تأكدت له مناصرته إياه والانضمام إليه ، وكذلك فعل مع ابن عمه علي بن حيدر فوجده ثابتاً علي مؤازرته ، وصار يجمع الجند ويعبي الجيش ويستعد للقتال .

بعد أن رجع عبد الوهاب من مكة أخذ في جمع المقاتلة من عسير وقحطان وشهران ولحقت بهم عصابة من عدوان يرأسهم علي بن عبد الرحمن

المضايقي أخو عثمان المضايقي العدواني الذي انشق على الشريف غالب ووالى
السعوديين وأعانهم على فتح مكة في المرة الثانية .

بدء المعركة

(قتل عبد الوهاب واحتلال صديا)

زحف عبد الوهاب بما جمعه من الجيوش والجند إلى أن وصل وادى يش
فالتقى بجيش الشريف حمود وقام القتال بين الجيشين وانتهت المعركة بتفريق
جيش الشريف حمود وانهزام جنوده لا يلوون على شيء ولجأ هو ومن معه
من الأشراف أهل الخيل إلى صديا .

في مساء ذلك اليوم الذي وقع فيه القتال جاء إلى الشريف منصور أحد
الجنود بسلب فرس ممتاز قال إنه قتل صاحبها وانزعه منها ، وتبين أنه سلب
فرس الأمير عبد الوهاب نفسه ، عرف ذلك امرأة كانت فيه يعرفونها
من قبل فسر الشريف بهذا الواقع وكان له فيه بعض العزاء من الهزيمة التي
لحقته فلم شعته ورجع إلى « أبو عريش » لتحصينه وتقوية حاميته ، وظل
الشريف منصور بصديا مرابطاً فيها ، وعلم جيش عبد الوهاب بهلاكه فأجمع
أولو الرأي منهم على إقامة بعض الأشخاص أميراً على الجيش ريثما يصل الخبر
الدرعية فتعين من تشاء وزحفوا على صديا لتعقب الأشراف بها والاستيلاء
عليها ، وجرت مناوشات ومخاتلات أوجبت على الشريف منصور موالاته
الجيش السعودي وأن يقطع علاقته بأبن عمه الشريف حمود إلا أن موالاته
للجيش السعودي لم تدم طويلاً واضطر أن يترك صديا وأن يلجأ إلى « أبو
عريش » فاحتل الجيش صديا وترك بها حامية منه ورجع إلى السراة .

إمارة طامي بن شعيب

وصلت أخبار ما جرى و وفاة الأمير عبد الوهاب قتيلا إلى الدرعية فعين الإمام سعود طامي بن شعيب المنحى أميراً على عسير وأكده عليه وأمره بمواصلة قتال الشريف حمود لاستئصال شأفته فاستمر طامي يتابع الغزو ومنازلة الشريف في «أبو عريش» ولكن دون طائل فقد حصنها تحصيناً قوياً مكيناً فأصدر الإمام سعود أمره إلى عثمان المضايقي العدواني أمير الحجاز من طرفه كما سبق القول بالسير لمساعدة طامي في قتال الشريف حمود .

سار عثمان بجيش قدره صاحب سيرة الشريف بنحو خمسة آلاف مقاتل وبوصوله عسيرا انضم إليه طامي بما معه من مقاتلة عسير ونزلا من السراة يقصدان «أبو عريش» وقتال الشريف حمود ، وإذ ذلك كان قد وصل إلى الشريف عدد من رجال اليمن لمعاوته وبلغه أن الجيش الزاحف لمقاتلته وإن أشاع أن قصده التوجه إلى «أبو عريش» إلا أنه سيبدأ أولاً بغزو وادي مور ثم العودة إليه في «أبو عريش» فسارع لتعزيز حامية تلك الجهة ، ثم جهز ما استطاع تجهيزه من الجنود والمقاتلة وسار بهم يتبع خطى الغزاة مترقباً رجوعهم إليه .

كان الأمر كما بلغ الشريف فقد سار الجيش أولاً إلى جهة اليمن ونهب ما تمكن من نهبه في وادي مور ثم عاد فاصطدم في أثناء سيره بجيش الشريف في مكان يسمى «بربر» بالقرب من وحله والتحم بينهما القتال كما سبق الإلماح بذلك عند الكلام على إمارة طامي بن شعيب على عسير

هزيمة الشريف حمود وهربه إلى أبو عريش

وبعد منازلة شديدة استحر فيها القتل في كثير من أعيان الجيش وشجعانه انتهى القتال بهزيمة الشريف حمود وفراره إلى «أبو عريش» ، وعلى الرغم من

هزيمة الشريف وفراره فإن جيش طامي أصبح مما ناله من شدة القتال في حالة من الوهن لم يتمكن معها من اللحاق بالشريف ومتابعته وتعقبه ، بل اكتفى رؤسائه بما تم وقضوا بما وصلوا إليه من المغنم وعادوا أدراجهم إلى السراة

على أن مناوشة غزاة نجد وأهل المشرق والعسيريين للشريف والإغارة على ممالكه لم تنقطع . فقد دخل عام ١٢٢٦ والحال مستمرة على هذا المنوال يغير الشريف على مخلاف صديا وما جاوره (فقد انضم أهله إلى السعوديين) ويعود بالمغنم ويغير غزاة نجد على ممالك الشريف والقبائل الموالية له ويستلبون ما تصل إليه أيديهم ويعودون إلى السراة .

غير أنه في أثناء ذلك سعى محمد بن علي المنتسب إلى الإمام القاسم صاحب مدينة « صعدة » — وكأنه كان على ولاء للسعوديين ومضافة لهم — بين الشريف والإمام سعود بالصلح بأن يتنازل الشريف عن دعوى حقوقه في صديا والمخلاف « يعنى مخلاف وادى بيش » ويعترف للسعوديين بحق التملك فيهما ويقدم دفعات من المال معلومة يؤديها للإمام سعود في كل عام . تم الصلح واطمأن بال الشريف من جانب السعوديين وحلفائهم العسيريين وتعرضهم له فأخذ ينشئ المزارع ويبني المعقل ويصلح ما أفسدته في ممالكه الوقائع والحروب ، واستمر هذا الهدوء إلى عام ١٢٢٩ لأن السعوديين مع ما تم بينهم وبين الشريف من الصلح والاتفاق قد شغلوا بأنفسهم . فإن محمد علي باشا والى مصر قد بدأ معهم القتال من عام ١٢٢٦ « سنة الصلح مع الشريف حمود » وتمكن في عام ١٢٢٨ من انتزاع مكة والمدينة منهم وأخذ في مطاردتهم داخل بلادهم كما سبق ذكر ذلك عند الكلام على إمارة طامي بن شعيب أمير السراة .

حكومة صنعاء تحاول إعادة نفوذها

لم تكن هذه الحوادث لتخفى على حكومة صنعاء وقد ساء لها اتفاق الشريف مع السعوديين ومصالحهم فانتهزت الفرصة وجهزت جيشاً عظيماً لمحاربته واسترداد ما انتزعه منها من مدن تهامة اليمن وإعادة نفوذهم إلى إمارة «أبو عريش».

سار الجيش اليمني مسرعاً حتى وصل إلى مقربة من قرية «مختارة» وكان الشريف حمود يقيم بها إذ ذاك فبادر إلى جمع الجنود وبرز لملاقاتهم وتربت الصفوف من الجانبين والتحم القتال واشتد النضال وانتهت المعركة بتزعزع قوى الشريف ووهنها، فقد هلك الكثير من شعبان الجيش ونفق فيها من خيله نحو أربعين حصاناً.

تراجع كل إلى مخيمه ورأى الشريف أن لا طاقة له باستئناف القتال، فأعمل الرأي والحيلة ودس إلى رؤساء الجند اليمني كما يقول مؤرخه، في جنح الظلام من أوصل إليهم «البراطيل»، التي كم انتفع بها من غليل وانتفع بها من غليل فتنقضوا الخيام وعدلوا عما أتوا لأجله من طرف الإمام،

وبقية مسيرة الشريف ونهاية أمره قد مرت في تضاعيف الكلام على حوادث عسير السراة في عام ١٢٣٢ عند الكلام على إمارة محمد أحمد المتحمي الرفيدي فلا حاجة إلى تكراره.

ويقول أحد مؤرخي حوادث الشريف - حسن بن أحمد بن عبد الله الهيكلي في تذييله لنفح العود في سيرة الشريف حمود - وهو من أدرك آخر عصره وشاهد آثاره وبعض أعماله .

«استقصيت تواريخ من سلف ممن تملك هذا المخلاف السلاماني فلم أقف على أنه اتفق لأحد منهم ما اتفق لهذا الشريف أو بلغ مبلغه من العز والمنفعة أو داناها، فهو أول من استقل بالامارة من أهل بيته، وقد كان آباءه وذووه

ولا يتهم مستفادة من أئمة صنعاء وحكومتها وضرب باسمه سكة من النقود
وتعامل بها أهل مملكته التي امتدت من أطراف مدينة حصين باليمن إلى جبل
عسير بالسراة ، وإنه كان كريماً سخياً محباً للعلم والعلماء معظماً لهم ، وإنه وقف
الكثير من أملاكه على المصالح العامة وأعمال البر والخيرات .

أثر الدعوة الوهابية

ما لا شك فيه أن اندفاع السعوديين من أواسط الجزيرة العربية ومد
سلطانهم على معظم أطرافها قد نبه العرب من غشيتهم وما لحقهم من الخوذة ،
فانهم من أواخر الدولة العباسية أصبحوا كتلة مهمة في المجتمع الانساني ،
لا يعرف الناس عنهم إلا ما سطر في كتب التاريخ من عهدهم السالف كما أذكر
فيهم نار الحمية والأنفة من قبول زير الاجنبي ، فهذه قبائل عسير كانت قبل
انضوائها تحت لواء السعوديين ودخولها في جامعيتهم على حالة من الهمجية لم
تجعل لها مكاناً لأن تفكر في أكثر مما يفكر فيه الفرد من الاهتمام بالمطعم
والملبس ، وبعد أن انضوت تحت جامعيتهم وأصاب الجمامة ما أصابها من
الانهيار والتفكك ، وأراد الاجنبي أن يتسلط عليها أبت ذلك ورفضته بكل
أنفة وإباء وناضلت عن سيادتها وحريتها بما استطاعت من قوة ولم تترك
نفسها هملاً كسابق العهد ، بل أخذت تنصب الأمراء وتتحد تحت لوائهم كما
سأقصه عليك من سيرة أمراء عسير بعد انهيار الحكومة السعودية .

ولا يعيب هذا الأثر الجديد في نفوس سكان الجزيرة وما هياه فيها من
الأنفة والتطالع للوحدة واستغاثة مقتضياتها — ما صاحبه من إلهاب نار
الحرب والقتال في معظم أنحاء الجزيرة وما نشأ من ذلك من ويلات
ومحن أصابت الكثير من قبائلها وسكان مدنها — فإن محض الخير في الدنيا من
المستحيل وهل يسلم غيث من غيث (١) .

(١) تاريخ نجد الحديث للرحماني بتصرف

ولو قدر لهذه الجامعة أن تزداد انساعاً فتضوى تحت لوائها ما تبقى في الجنوب والشرق الجنوبي من إمارات وولايات ، وظلت متماسكة متآزرة ولايس أولى الأمر فيها ما كان ينقصهم من المرونة ولين الجانب وحسن المدخل والتصرف ^(١) ، لأصبحت الجزيرة في عز ومنعة وأصبح للعرب في المحيط الدولي من عظيم الشأن ما يغبطهم عليه كثير من شعوب العالم ، ولعاد إليهم ما كان لهم من مكانة ونفوذ في العالم الإسلامي .

فان الدعوة الإصلاحية الدينية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي آزرها آل سعود وكانت حجر الأساس فيما وصلوا إليه والتي عاشت نفوذهم إلى ما وصل إليه سلطانهم جنباً إلى جنب — لم يقتصر أثرها والانتباه إليها على سكان الجزيرة وحدهم بل لفتت نظر علماء المسلمين وقادتهم في سائر الأقطار إلى ما وصل إليه المسلمون من انحطاط وأصيب به الكثير منهم من انحراف عن تعاليم الدين وفضائله ومميزاته عن غيره من الأديان وعما كان عليه السلف الصالح ، فقام في كل صقع من أصقاعهم دعاة مصلحون يرددون صدى ما سمعوه من قلب الجزيرة من الدعوة ^(٢)

(١) جاء في كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين لصاحب المعالي وزير المملكة العربية السعودية في لندن الشيخ حافظ وهبه قوله : « وقد بلغت الدولة أيامه و يعني أيام سعود ، الكبير أوجها وغايتها إلا أن أغلظته السياسية والإدارية أوقعته في مشاكل مع الأتراك والمصريين وشدته صرفت عنه القلوب وجعلت الناس يتنهزون الفرصة للانقضاض عليه ص ٢١٣ ، كما ذكر في ص ٢٢٠ فصلاً وافياً تحت عنوان : أسباب سقوط الدولة السعودية ، فليرجع إليه من شاء .

(٢) لقد أعقب ما قام به شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الدعوة إلى الرجوع لعهد السلف واطراح ما علق بالعقيدة الإسلامية من أوصار وبدع دعاة عديدون ، فقد قام في الهند المرحوم نواب صديق حسن خان ملك بهوبال يدعو إلى ما دعى إليه شيخ الإسلام ، وقام في العراق علماء أفاضل من آل الألوسي منهم السيد نعمان الألوسي والسيد محمود الألوسي ، وفي الشام العلامة السيد جمال الدين القاسمي وفي مصر الشيخ محمد عبده ومن القادة السيد عبد الرحمن السكواكي

والكن اندفاع محمد على باشا وإلى مصر ذلك الاندفاع المجنون مسوقاً بما طاف في رأسه من أحلام بإقامة امبراطورية عربية يكون هو على رأسها وتمكنه من القضاء على الدعوة والقائمين بها وحمايتها في مهدمهم وتمزيق ما تلتف من جامعة عربية صميمة خالصة ثم فشله فيما سعى إليه وتراجعه عما وصل إليه قد أوجد في الجزيرة العربية من النكسة والتدهور ماضيق نطاق انتشار الدعوة الإصلاحية في بقية أقطار المسلمين وأضعف سريانها ،
« قضاء من المولى العلي أرادته ،

وسبحانه لا معقب لحكمه له الأمر من قبل ومن بعد .
على أن العناية الإلهية قد احتفظت للجزيرة وما كان قد التأم من أجزائها فأمدت بعونها في العصر الحاضر سليل آل سعود الأشاوس أسيد الجزيرة اليوم وصقرها الغلاب جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود فعاد إلى الاجتماع ما كان قد تفرق من أجزائها ، وإنني أكتب هذا وعلم التوحيد الخفاق يرفرف على معظم ما وصل إليه نفوذ أسلافه وسلطانهم إن لم يكن على جميعه^(١) .

والله المستول أن يوفق أمراء من بقى في أطراف الجزيرة وحكامها إلى ما فيه اتحادهم وتآزرهم واجتماع كلمتهم ، لما في ذلك من الخير والعز والمنفعة لهم جميعاً .

== صاحب رسالة أم القرى والسيد جمال الدين الأفغاني رحمهم الله ، وتابع هؤلاء غيرهم وغيرهم في معظم أقطار المسلمين ما نأى عن الجزيرة وما قرب منها عما يضيق معه النطاق عن ذكر أسمائهم وتعدادهم .

(١) كان الكاتب المشهور أمين الريحاني قد تصدى عقب الحرب العالمية الأولى التي نشبت عام سنة ١٩١٤ م لزيارة ملوك العرب وأمرائهم بقصد إصلاح ذات البين وإيجاد حلف بينهم يتضامنون به لدفع عادية الفرنجة وما أتوه في أطراف الجزيرة من غصب واستعمار لبعض الأقاليم وبسط نفوذهم على البعض الآخر وألف عن مسعاه هذا كتابه « ملوك العرب » جاءت في ختامه هذه الكلمة .
وأرى في البلاد العربية اليوم أربعة ملوك كبار وأرى في نفسية الرعايا رعاياهم ==

عود على بدء

وقف بنا الكلام على حوادث عسير السراة عند ذكر استيلاء الشريف حمود عليها في عام ١٢٢٣ ثم وفاته وما تميته بعد ذلك من رجوع جيشه إلى تهامة .

ويظهر لي أنه من عام ١٢٢٣ لغاية عام ١٢٣٨ كانت عسير فضاء (١) ليس لهم أمير عام وكانت الحملات التركية أو بعبارة أصح - حملات محمد علي - تترى على البلاد يشاركون فيها أمير مكة حينئذ الشريف محمد بن عون وكان الرأي والتدبير في مقاومة هذه الحملات مشتركاً بين رؤساء القبائل بل كان العسيريون مغلوبين على أمرهم لسطوة الفاتحين وتتابع حملاتهم .

فقد قال مؤرخنا الذي أنقل عنه معظم حوادث عسير في ذلك العصر في مذكراته ما يأتي : « في عام ١٢٣٤ دخل الترك أرض عسير » وخط (٢) ، الشريف راجح في قرية المغوث وفيها تولى ابن عون إمارة مكة واحتل طيب وانتشر البغي والفساد في بلاد عسير وفي عام ١٢٣٥ عمر جدنا مسجد القرية « يعني قرية رجال » وفي عام ١٢٣٦ ظهر أحمد باشا على عسير والملاحه في السابع عشر من جمادى الآخرة .

== نصا على شخصية أولئك الملوك وشرحاً على حالة تسرد سياستهم في البلاد رعية الملك حسين تطيعه ولا تحبه .

رعية ابن سعود تطيعه وتحبه

رعية الامام يحيى تطيعه دون حب ودون خوف .

رعية الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع إلا مكرهه

فن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق أن يسود ؟

وقد أجابت أحداث الزمن في بعض أقسام الجزيرة على هذا السؤال :

(١) نفر متفرقون (٢) بمعنى عسكر ونزل .

وفي عام ١٢٣٧ أخرج سعيد بن مسلط ومن معه من بني مغيد ومن معهم من رجال ألمع رتبة^(١) الترك التي في طيب وذلك في شهر جمادى الأولى وأمرهم إذ ذاك هزاع، استخلفه محمد بن عون على بلاد عسير وغزا وادى الدواسر^(٢) فرجع سعيد بن مسلط من الطريق بعد خصمة شلش^(٣) فيها الشريف بن عون على سعيد فرجع سعيد ورجع من معه من بني مغيد ورجال ألمع وبعض علمكم ومن شاء الله من عسير،

كان الشريف محمد بن عون حينما غزا وادى الدواسر جند معه أفيافاً من عسير فيهم سعيد بن مسلط فلما لحقه من الإهانة ما عبر عنه مؤرخنا بكلمة شلش رجع من الطريق غاضباً حانقاً وذكر مؤرخنا أنه بعد عودته اتهم فرصة اشتغال الشريف محمد بن عون بغزو وادى الدواسر وهجم على الحامية وعلى الشريف هزاع في طيب وأخرجهم منها وأحرق ما فيها من حصون وقصور.

فبلغ ذلك الشريف محمد بن عون فكرر راجعاً إلى عسير حتى وصل قرية خميس مشيط وعلم سعيد بذلك فجمع الجوع من والاه من قبائل عسير وتقدم بهم لقتال الشريف محمد بن عون ورده والتقى الجيشان في وادى عتود^(٤) وبعد قتال عنيف قتل فيه الشريف هزاع الذي كان أميراً على طيب وأخرجه العسيريون منها كما سبق القول — انهزم جيش الشريف محمد بن عون فعاد أدراجه.

(١) بمعنى حامية (٢) وادى الدواسر من أودية شرق الجزيرة الجنوبية تنصب فيه عدة أودية من الوديان المنحدرة من سطوح جبال السراة الشرقية والدواسر أحلاف تنسب إلى جزى العرب قحطان وعدنان أنظر قلب جزيرة العرب ص ١٤٩. (٣) شلش كلمة اصطلاحية ومعناها شوش عليه بما أغضبته وأثار حنقه وغيطه.

(٤) وادى عتود ينقسم قسمين قسم ينصب إلى الجهة الغربية من جبال السراة ويتصل بوادى ضلع المنحدر إلى درب بني شعبة وقسم ينصب إلى الجهة الشرقية ويتصل بوادى شهران وهو المقصود هنا.

إمارة سعيد بن مسلط

في هذه الموقعة ظهرت شجاعة سعيد بن مسلط ومهارته في الحرب فأقامه العسيريون أميراً عليهم ، ودام القتال والمناوشة بعد ذلك بين سرايا الشريف محمد بن عون وبين العسيريين وعلى رأسهم الأمير سعيد بن مسلط دون طائل مما دعا أحمد باشا وإلى الحجاز من طرف محمد على عام ١٢٣٩ أن يتقدم بنفسه على رأس جيش رتبته وجاء به من طريق الساحل وعقبة شعار وتمكن من اقتحام جبل عسير وعسكر في قرية الملاحة .

فانبرى له العسيريون يقاتلونه ، وبعد وقائع كانت الحرب فيها سجالاً انهزمت عسير ولجأ الأمير سعيد بن مسلط ومن معه من آل راجح إلى الأطوار (١) ، وسمي يوم الهزيمة « يوم زبران وذى أم سنون » لكثرة ما استحر فيه من القتل بين الفريقين .

ظلت سطوة هذه الحملة مستمرة في عسير إلى نصف العام ، وفي شعبان من الغمام نفسه اهتبل الأمير سعيد رجوع أحمد باشا إلى الحجاز فخرج من ملجئه بالطور ومدت له قبائل عسير يد المعاونة والمؤازرة فحاصر الحامية التي تركها أحمد باشا في قرية طنب وانتهى الحصار بخروج الحامية منها صلحاً واستيلاء سعيد عليها غير أن الشريف محمد بن عون لم يترك التعرض لعسير بالغزو والقتال ، فبعد أن تمكن الأمير سعيد بن مسلط من إخراج الحامية التي تركها أحمد باشا أعاد الشريف محمد بن عون الكرة للقتال عام ١٢٤٠ وعلم سعيد بذلك فانبرى لملاقاته قبل أن يصل حدود قبائل عسير ووقع بين الفريقين في وادي شبران قتال عنيف انتهى بالصلح والمهادنة بينهم إلى عام ١٢٤٢ .

وفي هذا العام توفي الأمير سعيد بن مسلط بعد إمارة دامت نحو ثلاث

(١) الأطوار واحدها طور وهو رأس الجبل العسر المرتقى أو ما ارتفع منه وأشرف على غيره ويطلق على الجبل أيضاً .

سنوات ونصف انحصرت كل جهوده فيها في مقاومة الحملات التركية وحملات
مواليهم أمير مكة الشريف محمد بن عون .

امارة علي بن مجثل^{وس}

وامارة سعيد هذه تعد مبدأ انتقال الإمارة العامة في عسير من آل المتحيمي
من قبيلة ربيعة ريفية إلى قبيلة بني مغيد فقد قام بالأمر بعده ابن عمه علي بن
مجثل المغيدي^(١).

كان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر اتصال السعوديين بالبلاد
وكان متشبعاً بمبادئ الدعوة الإصلاحية شديدة الحرص والتمسك بها وحمل
الناس عليها ، وكان مع ذلك على شيء من الدهاء وحصافة الرأي لجمع حوله
العلماء وأرباب النفوذ في عسير وأغدق عليهم العطاء والصلوات ولأسلاف
الحفاظية بعض سكان قرية رجال القدح المعلى في إمارته ، فقد كان منهم الدعاة
والوعاظ ومنهم القضاة فأشبهوا في ذلك آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في
عهد السعوديين .

وفوق هذا فإنه كان سعيد الطالع ميمون النقيبة ، فقد فترت حملات

(١) مما وهم فيه المرحوم السيد محمود الألوسي في كتابه تاريخ نجد قوله : إن
مشايخ عسير على عهد السعوديين الأول من ألمع ، كما كان الشيخ سليمان سحان في
تصحيحه في التتمة التي ألحقها بالتاريخ المذكور أشد وصفاً فقد قال الشيخ
سليمان في تصحيحه ص ١٢٤ وما بعدها . وليس الأمر كذلك فإن ملوك عسير من
مغيد ومغيد وعسير قبيلتنا ألمع ومساكنهم وقراهم في جبال تهامة بجاني الخبت
وأما القبيلة الثانية من عسير فهم مغيدوهم عسير السراة وهم قبائل شتى وملوكهم
إذذاك من قبيلة يقال لها بنو مالك ثم مغيد ورئيسهم والقائم بأمرهم في زمن
الدرعية وهو عبد الوهاب أبو نقطة إلى آخر ما جاء مما لم يسلم من غلط وأوهام
والصحيح في ذلك كله هو ما ذكرته مما مر عليك من أول التاريخ .

محمد علي وضعف تعرضه لعسير وتقاصرت مطامع أمير الحجاز الشريف محمد ابن عون عن التوسع في مد نفوذه إلى عسير .

لأن محمد علي باشا في ذلك العهد انتقض على الحكومة العثمانية وقلب لها ظهر المجن واشتغل عن عسير بزحفه على سوريا وفلسطين بل لم تقتصر أعماله الجريئة عليهما فانه استمر زاحفاً في قلب الأناضول إلى أن وصل قريباً من كوتاهية ، فخلا الجو للأمير علي ، وكان أول عمل له في عام ١٢٤٣ أن غزا قبيلة عبس^(١) وشاطرهم أموالهم ، ثم غزا بعد ذلك صديا فاستولى عليها وأخرج من بها من الترك وعرج علي « أبو عريش » الاستيلاء عليه وكان أميره إذ ذاك الشريف علي حيدر ، وبعد أن اصطفت جنود الفريقين للقتال توسط بعض الرؤساء بينهما بالصلح ورجع الأمير علي إلى السراة مكتفياً بما تم له من الاستيلاء على صديا .

وفي عام ١٢٤٤ لم يذكر مؤرخنا قيام الأمير علي بشيء من المغازي^(٢) . أما في عام ١٢٤٥ فقد غزا قبيلة وادعه^(٣) وأدخلها في طاعته بعد حرب

(١) قبيلة عبس من سكان شرق وادي مور وهو واد يبعد عن « أبو عريش » بمرحلتين وجنوباً منه .

(٢) بما ذكره في حوادث هذا العام قوله وفيه قدم إلى اليمن العلامة المجمع علي ولايته السيد احمد بن ادريس المغربي وأمير أبو عريش حينئذ الشريف علي حيدر وهو يخالف ما ذكره صاحب كتاب قلب جزيرة العرب من أن مجيء السيد أحمد المذكور كان في عام ١٢٤٦ في زمن إمارة الحسين بن علي حيدر ، والسيد أحمد الادريسي هو جد السادة الأدارسة الذين تأمروا على صديا وما جاورها عام ١٣٢٦ انظر الرحلة ص ١٣٩ عند الكلام على صديا .

(٣) وادعة قبيلة ترجع في همدان وتسكن وادي الظهران - ظهران اليمن - بما يلي الحدود اليمنية فان منازلهم تمتد إلى مالكة إمام صنعاء .

وقتل عظيم . وفي عام ١٢٤٦^(١) غزا إلى جهة اليمن وأستولى على جميع بلاد الكلفود^(٢) وما حولها وهدم ما فيها من القباب والقبور والحصون ورتب أمورها وبعث إليها بالعلامة الشيخ عبدالرحمن الحفظي مرشداً ومعلماً لأهلها

العساكر الالبانية في أبو عريش والحديدة

وفي عام ١٢٤٧ غزا حباطة بيش^(٣) فاستولى على عريان جبل القهر وقبيلة الصهايل^(٤) وفي عام ١٢٤٨ توجه مرة ثانية لحصار « أبو عريش » فصالحه أهلها على الطاعة وصار أمرها إليه وعاهده أشرفها على ذلك ، وقد كان أكبر عون له في الاستيلاء على « أبو عريش » وجود ثلة من العساكر الالبانية التي قدم بها محمد علي باشا في أثناء أعماله الحربية في الحجاز ، وهؤلاء الجنود نشأ منهم في الجهات الحجازية واليمانية كثير من المفساد والخن والاضطرابات ولا يزال في شيوخ مكة من يروى عن أبيه ما سمعه من حوادث هؤلاء الجنود وتعرضهم للاهالي بالأيذاء وفسادهم وعيبتهم^(٥) .

وقد كان سبب محي . هذه الشرذمة منهم اتهامه عسير أنهم في تلك السنة ثاروا على أولياء الأمر في الحجاز ونهبوا ما استطاعوا نهبه من المؤن والذخائر

(١) بما ذكره مؤرخنا في هذا العام ظهور وباء حصلت شدته في مكة مما ألجأ كثيراً من الحجاج إلى العودة دون أن يتموا مناسك الحج
(٢) الكلفود كان شيخا لقبائل صليل من قبائل وادي مور تسكن غرب الوادي في تهامة اليمن .

(٣) حباطة بيش يعني صدر وادي بيش ، والقهر جبل هناك في غاية المنعة عسر المالك

(٤) الصهايل قبيلة تسكن صدر وادي بيش والقهر معروف بهذا الاسم من القديم ذكره البكري في معجمه على أنه موضع وألشد فيه قول مزود بن ضرار

وشبت لنا ناران نر برهوة ونار بني عبد المدان لدى القهر

ج ٣ ص ١١٠٠ (٥) ويسمى أهل مكة الأرا نطة

واستولوا على بضعة مراكب وسفن شراعية وخرجوا بها إلى السواحل
اليمانية يعيشون فيها بالشر والفساد (١)

وصادف أن وصولهم إلى ضواحي أبو عريش كان أثناء محاصرة الأمير
على لها فرأى كبيرهم الذي سماه مؤرخنا تركي بن الماز ، (٢) أن ينحاز بجماعته

(١) ذكر صاحب كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٥٩ أن محمد علي
باشا والى مصر رأى في الإذعان لأوامر الباب العالي لمحاربة آل سعود ثلاث فوائد
كبيرة لنفسه :

الأولى : أنه يبعد جيشه الألباني غير المنظم والذي أكثر التمرد والعصيان
والفساد في مصر ليتمكن أثناء غيابه من تنظيم جيش مدرب على الطريقة الحديثة
الثانية : أن يأخذ من الدولة الأموال اللازمة التي كان في حاجة إليها بحجة
لزمها لتفقات الحرب المقدسة

الثالثة : أن هذه الحرب تجمع عواطف المسلمين في العالم على حبه وولائه بصفته
منفذ الحرمين ومعيد مناسك الحج

(٢) جاء في كتاب تاريخ العرب المستشرق ل . أ سيدو ترجمة عادل زعبي
ص ٥١٨ قوله ولما كانت سنة ١٨٣٢ م وكانت العلائق بالباب العالي مقطوعة
حاول تركي اسم تركجه بلداز ، يعني لا يعرف التركية ، أن يثير قبائل العرب
فطرد من الحجاز وفر إلى صميم اليمن باحثا عن ملجأ له في المخا .

وذكر الرافعي في كتاب د عصر محمد علي ، أن تركي بلماز هذا تحصل من بعد
الفتنة التي أحدثها هو وزميل له اسمه زنار أغا على فرمان من الباب العالي بقره على
ولاية الحجاز نكابة في محمد علي . وإن حملة مصرية بقيادة أحمد يكن باشا والى الحجاز
من طرفه قوامها ٤٠٠٠ جندي سارت من ينبع واحتلت جدة فانهزم تركي بلداز إلى
السواحل ولم يقو على الاستيلاء على القنفذه وإخراج حامية محمد علي منها فاستمر منهزما
إلى الجديدة إلى أن استقر في المخا ولم يقو لإمام صنعاء على رده فعهد محمد علي إلى أحمد باشا
يكن والى الحجاز بمطاردته ففي عام ١٨٣٣ سار إليه في خمسة عشر ألف مقاتل وكان
شيخ العسير مواليا للجيش المصري فحاصر المخا حتى فتحها عنوة وهرب تركي بلداز إلى
بعض السفن البريطانية وبذلك انتهت الفتنة ولكن شيخ العسير نهب المخا منها مدمرا
فبارت تجارة الهند عدة سنوات ص ٢٧٧ و ٢٧٨ نقلا عن مانجان - ج ٣ - ٦٤

إلى الأمير علي بن مجثل ويستند في حركاته وأعماله إليه واتفق معه على ذلك وأعاناه على غايته في أبو عريش .

وبعد أن احتل الأمير علي أبو عريش صلحا بنى فيها معقلا للحامية سماه « دار النصر » وعقد اتفاقية أخرى مع تركي بن الماز ومن معه من الإرثود « الألبان » بأن يغيروا على سواحل اليمن الأقصى وما جاوره من المدن وعاهدوهم على الإسلام . كما يقول مؤرخنا - وعاهدوه ثم قتل راجعا أي السراة ، بعمله هذا صاد عصفورين بحجر واحد ، أبعد هؤلاء المغييرين عما يرجع إليه امره من القرى والندساكر ، ودفعهم كمهدين لما يتوهم من التوسع والفتح في الجهات اليمنية .

سار هؤلاء الإرثود يعيشون في سواحل اليمن بالنهب والإفساد وتم لهم فتح الحديدية والمخا وزبيد وما حولهما من القرى ولسكنهم بعد أن استقر بهم المقام نقضوا العهد وتمرّدوا على الأمير علي بن مجثل وانخرقوا عما أجراه معهم من إتفاق وكثر فسادهم مما دعى الأمير عليا أن ينبري لقتالهم ورفع يدهم عما احتلوه من بلاد فغزاهم كما يقول مؤرخنا بجحود لا قبل لهم بها وأخرجهم منها وهم صاغرون .

أما الحديدية فقد جنح من كان بها منهم للصالح سريعا وأما المخا فلم يستول الأمير عليها إلا بعد ملاحمة وقتال عنيف وكذلك كان الحال في زبيد .

بعد أن أتم الأمير علي عملياته الحربية أقام محمد بن مفرح نائبا عنه في الحديدية وتلك الجملات وترك معه حامية نحو أربعائة من رجالات عسير وعاد راجعا إلى السراة . وفي أثناء رجوعه طرقه مرض ثقل عليه وأعجزه عن الركوب ومواصلة السير فصنع له تابوت حمل فيه إلى أن وصل إلى مقره بعسير وبعد شهر من وصوله وافته منيته فمات في ١٢ شوال سنة ١٢٤٩ .

يقول مؤرخنا كان الأمير علي محسنا في إمارته قضى فيها سبع سنوات

كلها خيرات وبركات وكان الناس حين مات لم يصابوا بمثل مصيبتته في موته من شدة ما نالهم من الجزع والحزن عليه .

عهد الولاية أو امارة عايض بن مرعي

لم تكن الإمارة في عسير في ذلك العهد تعرف شيئاً من تقاليد توارث السيادة ، بل كانت حقاً تسند إلى القوى الشجاع من أهلها كما سبق القول . إلا أنه في هذه المرة جد مع ذلك شيء آخر هو عهد الولاية والوصاية بالإمارة ، يقول مؤرخنا إن الأمير علياً رحمه الله قبل موته أوصى أن يكون الأمر بعده للأسد الضرغام عايض بن مرعي ، فبايعه الناس واجتمعوا على طاعته ، وكان ذلك نهاية عام ١٢٤٩ .

والأمير عايض هذا هو جد أسرة آل عايض وإمارته لم تخرج عن كونها إمارة مغيدية فانه من آل يزيد الراجعين في بني مغيد^(١) .

كان أول ما واجه الأمير عايض من المشاكل بعد أن تأمر - انتفاض الشريف علي بن حيدر صاحب أبو عريش ، فتجهز إليه غازياً وحصل بينهما قتال في أيام عيد النحر في ساحة أبو عريش رجع منه الأمير عايض دون أن يحصل على الغاية من رده إلى الطاعة مع أن حامية عسير كانت لا تزال تعتصم بمعقل دار النصر الذي أنشأه الأمير علي بن مجثل غير أنها بعد أن

(١) وهم الريحاني في تاريخ نجد الحديث صفحة ٢٦٩ فيما ذكره عن الأمير عايض بأن إمارته كانت على عهد سعود الكبير ، فسعود الكبير توفي عام ١٢٢٩ والأمير عايض لم يتأمر إلا في عام ١٢٤٩ أي بعد عشرين عاماً من وفاته ، كما وهم صاحب كتاب قلب جزيرة العرب بجعل الأمير عايض من عشيرة آل أبو سراح مع أنه لا يتصل بآل أبو سراح إلا في مغيد وآل أبو سراح كان منهم الوزراء لآل عايض ويعرفون قديماً بآل زيدان ، ولكنه صحح ذلك في كتابه في بلاد عسير صفحة ١٠١ .

كف الأمير عايض عن القتال لم ترف بقائها فائدة ، فصالح الشريف على بن حيدر وخرجت من أبو عريش . ويقول مؤرخنا إن ذلك حصل غدراً وخيانة من رئيس الحامية المدعو « مغرم » ، الأمر قام في نفسه وأمنية لم تتحقق له .

اشتد ساعد الأمير على بن حيدر وقوى عزمه فانقض على حامية عسير في صييا من الأشراف الحوازم وأخرجهم منها ، ورتب فيها حامية من طرفه من بعض الترك (١) .

الزحف التركي على عسير

قال مؤرخنا : وفي شهر صفر سنة ١٢٥٠ توجه الترك إلى بلاد عسير بعساكر قوية ومعهم قوة على رأسها الشريف محمد بن عون ومعه دوسرى وكان مجيئه عن طريق بيشة ، فلما وصلوا إلى بلاد شهران خرج إليهم الأمير عايض بقبائل عسير وحصل بينهما القتال في وادى عتود (٢) وسرعان ما لحقت الهزيمة بقبائل عسير وتراجع الأمير عايض إلى السقا (٣) واحتل الجيش التركي أبها ونخيم دوسرى في طيب غير أن بقاء هذا الاحتلال لم يطل ، فقد أعاد الأمير عايض الكرة بالقتال وكان النصر حليفه فأخلى الأتراك أبها وتراجعوا عنها وخرج دوسرى من طيب .

(١) لعل بعض هؤلاء الترك هم من الألبان الذين انداحوا على السواحل اليمنية على شاكلة ما حكيناه عن تركى بن الماز مع الأمير على بن مجثل ص ٣٧ .

(٢) عتود - واد شرقي أبها بينها وبين قرية خميس مشيط وهو قسم من وادى عتود الغربى المنحدر إلى درب بنى شعبة ، فهو واد ذو طرفين طرف ينحدر شرقا وطرف ينحدر غربا . كما سبق القول .

(٣) السقا ويقول لها العسيريون أم سقا - قرية جنوب السودا وعلى مسافة ثلاث ساعات من أبها وثلاث ساعات من السودا أيضا .

لمكن تقهر الأتراك لم يكن نهائياً بل انسحب بعضهم إلى باحة تنومة من بلاد بني شهر^(١) ورابط فيها وانسحب بعضهم إلى تهامة واستقر في ثغر القنفذة^(٢).

ولم تقتصر الأعمال الحربية التي قام بها الترك على عسير السراة وحدها ، بل إن حملة أخرى سيرت على تهامة اليمن والحديدة اضطرت الأمير محمد بن مفرح نائب الأمير عايض أن يصالحهم على إخلاء الحديدة وما جاورها على أن يخرج بما في يده من مال وسلاح .

قلنا إن الأتراك لم يكن تقهرهم نهائياً ، فإنهم بعد أن استقروا في ثغر القنفذة وباحة تنومة وتم لهم طرد حامية عسير من الحديدة — أخذوا يعدون العدة للكرة على عسير ، ففي نهاية عام ١٢٥٠ زحفوا على عسير زحفاً عاماً من عدة جهات . ويقول مؤرخنا^(٣) : « زحف الترك من كل حذب وصوب وتفرقت بهم السبل في زحفهم هذا تفاخراً وتكاثراً فمنهم من

(١) بنو شهر قبيلة عظيمة سبق القول عنها ، وباحة تنومة رقعة فسيحة في منازلهم انظر صفحة ١٠٨

(٢) ثغر القنفذة على البحر الأحمر يبعد عن مكة بثمانية مراحل ، وقد كان الحد الفاصل لنفوذ الأشراف أشراف مكة من « الساحل » .

(٣) بما ذكره مؤرخنا في مذكراته من حوادث هذا العام أنه حصل قحط عظيم حتى هلكت المواشي ولقي الناس منه شدة عظيمة لا سيما البادية لولا أن لطف الله بالناس وجلب إلى عسير الأرز ، وإليه نسب الناس تلك السنة فقالوا سنة الرز ولم يكونوا من قبل يألفون أكله حتى إن بعضهم كان يخاف أن يأكله ، ولا يحب فإن نفس المرء تعاف ما لم تكن تعرف ولم يكن بأرض قومها وأيضا في العشر الأواخر من شهر جمادى من هذا العام ظهر نجم ذو ذنب أبيض طويل ظهر من جهة المشرق بدأ أولا من جهة مغرب بنات نعش الكبرى ثم في كل ليلة يطلع القهقري إلى أن طلع أخيراً من جهة اليمن (الجنوب) مما يلي مغرب الشمس في الشتاء ودام ظهوره ٢٥ ليلة .

أخذ الطريق إلى بلاد شهران^(١) ومنهم من جاء عن طريق الخمسة^(٢) ومنهم من حط درب بني شعبة ، أما الشريف محمد بن عون فأخذ طريق الحجاز إلى أن وصل السقا^(٣) وأما دوسرى وإبراهيم باشا فجاءا من طريق الساحل حتى حطوا بالشعبين^(٤) . لم يصل الشريف محمد بن عون السقا ولم يصل دوسرى وإبراهيم باشا الشعبين إلا بعد حروب يطول شرحها .

منها أن الترك أحرقوا قنا^(٥) وانهبوا دون شفقة أو رحمة ، وأعانهم على ذلك بنو ثوعة^(٦) وأهل ختارش^(٧) واتخذوهم أولياء من دون المؤمنين ، ومنها أن قبائل ألمع وأهل رجال لما تيقنوا وصول الترك إلى محاليل^(٨) بعد حرقهم قنا خندقوا أسفل وادى حلى ورابطوا عنده وعليه تعاهدوا فما إن أتاهم العدو حتى شردوا وأخافوا ما عاهدوا الله عليه ، إن كانت بقية الوقائع التي جرت على نسق ما قصه مؤرخنا فهي هزائم سترها لا حروب يطول شرحها .

انتهى عام ١٢٥٠ ودخل عام ١٢٥١ والحرب قائمة بين عسير وبين الأتراك يناوش كل منهما الآخر في حصونه ومعاقله . وفي مستهل صفر

(١) شرقى أبها .

(٢) الخمسة ساحل على مقربة من نجر القحمة وحط بمعنى عسكر كما سبق القول .

(٣) قرية أم - سقا سبق تعريفها .

(٤) الشعبين قرية من وقرى ألمع انظر الرحلة ص ٢٧

(٥) قنا اسم قرية باسم الوادى جميعه جنوبا عن محاليل وأسفل عنها .

(٦) بنو ثوعة قبيلة تسكن جنوب محاليل في وادى حلى انظر الرحلة ص ١٠٠

(٧) أهل ختارش سكانه وختارش اسم مكان في أول وادى حلى محاليل الشعبين

(٨) محاليل قرية انظر الرحلة ص ١٠٠

بعث الأمير عايض بسرية إلى من بالسقا من الحامية التركية من جهة جر العريزة (١) أنقخت فيها قتلا وأسراً وكانت أعمال تلك السرية أول انتصار لعسير بعد التخاذل . فانه بعد ذلك بأيام أغار بعض قبائل ألمع على منازل ربيعة رفيدة (٢) وهم يومئذ عون للعدو وفتكوا فيهم وفي الحامية التي لديهم من الترك ففلاحق فئة من الترك بالمغيرين من قبائل ألمع إلى وادي كسان (٣) وإلى جهة القويد (٤) ولكن دون أن ينالوا منهم شيئاً ، بل تراجعوا بلا طائل ونشطت قبائل عسير بعد ذلك بالإغارات المتكررة على مراكز الترك ومقر حامياتهم مما أدى إلى انسحاب الجيش التركي وتراجعته إلى خارج حدود قبيلة عسير بل وما بعدها .

فقد قال مؤرخنا : إن هزائمهم (يعني الترك) ما زالت تتوالى ، فيوم الخميس هربوا من الشعبين ويوم الجمعة هربوا من السراة ومن محابيل ولم يأت يوم الاثنين إلا وقد غنمت جميع مطارحهم (٥) واستولى عليها العسيريون إلا مركز تنومة (٦) فإن حاميته ظلت به إلى شهر ربيع الآخر ثم خرجت منه صلحاً .

(١) مكان ويقال له اليوم العريزة على مقربة من السقا فيما بينها وبين قرية السودا .

(٢) ربيعة رفيدة إحدى قبائل عسير الأربع وفيهم كانت الإمارة على عهد السعوديين الأولين انظر الرحلة ص ٥٠ .

(٣) وادي كسان يمتد بقدر ومرحلة وفي صدره مما يلي عقبة رز تقوم قرية رجال انظر الرحلة ص ٦٩ .

(٤) القويد اسم مكان من منازل قبيلة ألمع .

(٥) مطارحهم يعني بها معسكراتهم .

(٦) تنومة باحة في بلاد بني شهر انظر الرحلة ص ١٠٨ .

تراجع الجيش التركي وأسبابه

ويظهر لي أن تراجع الجيش التركي أو جيش محمد علي وانسحابه هذا يرجعان إلى أسباب تعود إلى السياسة العليا في إدارته ، فقد جاء في كتاب قلب جزيرة العرب نقلاً عن «هو غارث» أن خلافاً نشب بين الشريف محمد بن عون وبين أحمد باشا مندوب محمد علي باشا بسبب رغبة الشريف في بسط نفوذه على بعض القبائل في عسير وأن محمد علي أمره بالتوجه إلى مصر مع الباشا فقدمها عام ١٢٥٢ وظلت مكة مدة بدون شريف (١) .

استقرار وتوسع

وبسبب هذا الخلاف فُرت الحملات على عسير نحو ثلاث سنوات من عام ١٢٥١ إلى عام ١٢٥٤ ، فتفرغ الأمير عايض إلى بعض الإصلاحات الداخلية فحفر بئراً في ساحة الناظر ، محلة مناظر إحدى محال قرية أبها الآن ، وعمر فيها أرضاً زراعية فائقة .

واستنفر طائفة من أهل السراة ومن تهامة ليتفقهوا في الدين بعد أن قرر لهم عطاءاً يعينهم على طلب العلم ، فمكثوا في المدرسة الحفظية بقرية رجال مقر العلماء الحفظية نحو ثلاثة أشهر .

وفي عام ١٢٥٢ غزا ببشة النخل (٢) وصلاح أمره بها وأقام فيها نحو شهر ثم عاد ، وفي أواخر العام بعث الأمير عايض سرية على رأسها ابن معدي

(١) قلب جزيرة العرب صفحة ٣١٤ .

(٢) ببشة النخل — قسم من وادي ببشة يبتدىء على ما جاء في كتاب (بلاد عسير) من مكان يسمى واعر فاقبله يطلق عليه ببشة بن سالم من أعلاه ووادى شهران وبين هتبل من أسفله ومن رغب زيادة في التفصيل فليرجع إليه في صفحة ٥٤ .

إلى درب بنى شعبة ليحرسوه من «يام»^(١)، فانها انحدرت مغيرة على المخلاف السليماني وأحدثت فيه فتنة عظيمة ونهبت منه ما لا يحصى من الأموال لكن الله انتقم منهم «كما يقول مؤرخنا» لأنهم بعد أن نهبوا من أطراف المخلاف ما نهبوا عسكروا في ساحل^(٢) صيدا فسلط الله عليهم الترك وأعداهم فجهموا عليهم في أيام عيد النحر وأمعنوا فيهم قتلا، وشفى الله صدور قوم مؤمنين، والله في إيقاد العداوة بينهما حكمة بالغة.

الجيش يتدخل

وفي عام ١٢٥٣ غزا الأمير عايض «غامدا»^(٣)، و«زهران»^(٤)، وأدخلهما في طاعته فانار ذلك حفيظة أحمد باشا مندوب محمد علي باشا في الحجاز وخشى استفحال هذه الفزوات وامتدادها، فجهز جيشا وسار به عن طريق السراة فاسترجع بلاد غامد وزهران وطرده منها حامية عسير.

أثارت هذه الأعمال الأمير عايض وآنس في نفسه القوة والقدرة على قتال جيش أحمد باشا وإبعاده عن غامد وزهران، فأخذ يجمع الجنود ويجهز القبائل إلى أن بلغ جيشه على ما قدره مؤرخنا، عشرين ألفا، وسار به لملاقاة الجيش المحتل.

(١) يام — يطلق على عدة قبائل تسكن وادي نهران وما حوله انظر كتاب في بلاد عسير فإن فيه تفصيلا ص ١٧٦.

(٢) ساحل صيدا شمالي جيزان وعلى مقربة منها يسكنه قبيلة الجعافرة.

(٣) غامد — قبيلة من سكان جبال السراة تبعد عن الطائف بست مراحل حضرها من أنور قبائل السراة، يكثر بينهم من يحسن القراءة والكتابة وفيهم نشاط للكسب والعمل.

(٤) زهران — قبيلة من سكان جبال السراة يخدم من الجنوب غامد.

هزيمة منكرة

وفي يوم السبت ١٧ صفر سنة ١٢٥٤ التقى الجيشان في باحة رغدان^(١) من بلاد غامد ، وما إن بدأ القتال بينهما بقدر رمية أورميتين — كما يقول مؤرخنا — حتى تداعت رايات المسلمين — يعنى قبائل عسير — وانهمزوا شر هزيمة وهذا يشعر على ما اعتقده مؤرخنا رحمه الله بأنها كانت عقوبة لهم لمخالفتهم ما يدعون أنه الحق .

وقد تمزق الجيش العسيري في هذه الموقعة شر تمزق ووقع كثير من رجاله في الأسر ، فكان من أسر من قبائل ألمع وحدهم حوالى خمسمائة رجل . وبما ضاعف النكبة على الجيش العسيري أن قبائل تلك الجهات نقضوا العهود وتواثبوا على الفارين والمنهزمين من العسيريين يمعنون فيهم قتلا وسلبا حتى أنهم تركوا بعضهم عراة بادی السومة ليس لهم ما يسترهم إلا الحشائش ونحوها .

ذهبت مثلاً

كانت هذه الكارثة شديدة الوطأة على عسير ولا يزال أثر ألمها يتاورثه منهم الخلف عن السلف ، فإنهم حتى الآن إذا أراد الواحد منهم أن يدعو على الآخر بسوء قال له : جزاك الله ما جزى المؤمنين في بلاد غامد . ويظهر لى أن حملة أحمد باشا هذه وإن أنكبت بعسير هذه النكابة الشديدة إلا أنها كانت منه لدرء الخطر عن الحجاز وما إليه فقط وإيقاف العسيريين عند حدهم ، وأنه لم يكن مستطيعا التوسع في الأعمال الحربية واسترداد ما وصلت إليه حكومته من سابق النفوذ بعسير .

لأن مخدومه ومصدر أمداده محمد على باشا وإلى مصر كان إذ ذاك في

(١) الباحة المكان المتسع ورغدان اسم مكان في بلاد غامد .

المقيم المقعد من انقلاب الحال ، فقد بدأت أعماله الحربية في سوريا وفلسطين في الاندحار ، وأخذ يختفي ما كان يتألق له من أمل في إنشاء امبراطورية عربية ، فقد ظهرت حكومة انكلترا الحكومة العثمانية على كبح جماحه نظراً لما كان لها من مطامع في إقليم مصر .

وآزر الإنكلز الحكومة العثمانية إلى أن انتهى الحال بقصر سيادة محمد على وسلطته على القطر المصري فقط ، على أن يكون ذلك وراثياً في أبنائه وانتزع منه جميع ما امتدت إليه يده من الممالك العثمانية على ما هو مبسوط في تاريخ تلك الحوادث .

وفوق ذلك فإن أحمد باشا هذا كان على اختلاف مع الشريف محمد بن عون أمير مكة ، منشؤه بلاد عسير ورغبة الشريف في التخصيص ببسط يده عليها كما سبق القول ، ومصائب قوم عند قوم فوائد .

انتهى عام ١٢٥٥ ولم يقع في عسير — كما يقول مؤرخنا — ما يستحق الذكر سوى حصول قتال بين الترك وأهل بارق^(١) وأن الأمير عايض غزا الجهرة^(٢) وألحق بأهل الحقو^(٣) معركة عظيمة هائلة فقد نهبت أموالهم وقتل كثيراً من رجالهم ونسائهم ، لأنهم في زعمه أووا أهل الجهرة فآلته يحكم بينهم وبينه يوم القيامة .

(١) يقول صاحب كتاب الرحلة النمانية ص ٤٣ : ووادي بارق المذكور من أعظم الأودية اتساعاً خصب التربة خيراته كثيرة يزرع فيه السمسّم والذرة والشعير والدخن والتيلة ولأهله اعتناء تام باستخراج زيت السمسّم وإرساله للخارج بكثرة وقرى وادي بارق تبلغ خمسين قرية كلها مبنية بالحجر المنحوت الجميل والدور فيها من طابقين إلى ثلاثة ولم تكن تظن أن لهذه الديار اعتناء بالأبنية بهذا الشكل .

(٢) قبيلة من قبائل شرقي وادي ييش .

(٣) الحقو اسم مكان في وادي ييش جنوبي صيدا وعلى بعد مرحلة منها ولعله قديماً يعرف بحقّاء أو حقّاء على ما جاء في معجم ما استعجم للبكري ج ٢/٥٩٠ .

أما عام ١٢٥٦ فقد غزا فيه الأمير محمد بن مفرح النين^(١) نائباً عن الأمير عايض بعد الاتفاق مع الشريف الحسين بن علي أمير أبو عريش لإخراج الترك منه .

ويقول المؤرخ إن العناية الربانية حققت هذه الحملة فخرج الترك من سائر المراكز بغير قتال ولا حصار وتوجهوا للشام^(٢) .

وفيها اتفق الأمير الحسين بن علي مع الأمير عايض على تسيير حملة بألف من الجنود إلى الخا^(٣) لاحتلالها ، وفيها أيضاً غزا ابن مفرح بلاد بني عمرو^(٤) في السراة وانتهبها ثم صالحهم ، وبما ذكره مؤرخنا من حوادث هذه السنة انسحاب أحمد باشا مندوب محمد علي من الحجاز بما معه من الجنود ورجوعه إلى مصر في شهر شعبان ورجوع الشريف محمد بن عون من مصر إلى الحجاز قبل ذلك في شهر رجب وحصول هدنة بينه وبين الأمير عايض إلى ما شاء الله من الوقت ، وكان من مقتضى هذه الهدنة إطلاق سراح من كان في جيوش الحجاز من قبائل عسير وألح من أسروا في موقعة رغدان المار ذكرها . وفي هذا العام أيضاً حج ابن مفرح بالكثير من حجاج عسير وتهامة النين .

في هذه السنة تنفس الخناق عن عسير بما قضت به الظروف على الدولة العثمانية ومحمد علي باشا ومواليها أمير مكة الشريف محمد بن عون ، وانفسخ المجال للأمير عايض فترة غير قصيرة فانه إلى عام ١٢٦٩ لم تبد أية محاولة من الترك

(١) النين يقصد منه هنا ما كان بعد حدود المخلاف السليمان .

(٢) الشام مطلقاً الجهة الشمالية .

(٣) الخا مدينة ساحلية من مدن تهامة النين على مقربة من الحديدة وجنوباً عنها .

(٤) بنو عمرو من قبائل جبل السراة (الحجاز) يحدهم شرقاً وجنوباً بشرق بنو شهر ، وغرباً وجنوباً بغرب قبيلة كعب وشمالاً بالقرن .

لاسترداد نفوذهم في عسير مما مكن الأمير عايض أن يوطد إمارته وأن يوسع نطاق سلطانه على كثير من القبائل البعيدة عن ديار عسير .

فقد غزا في عام ١٢٥٧^(١) المقاطرة^(٢) ونزل إلى أبو عريش في دبدبة عظيمة من الجند واجتمع بالشریف الحسين بن علي أمير أبو عريش لتأكيد ما بينهما من العهود والمواثيق .

وفي نزوله هذا كثر على قبائل عيس^(٣) ونهب من أموالهم ما لا يحصى كثرة ، وفي عام ١٢٥٨^(٤) جهز بالاشتراك مع صاحب أبو عريش جيشا غزا به بني الحرث^(٥) فدخلوا في الطاعة والجماعة ، وفيها أيضا غزا صدر وادي ييش حتى بلغ جبل القهر^(٦) مما يلي جلة الموت^(٧) .

وفيها تعرض المدعو محسن بن عباس لبلاد وادعة^(٨) فبعث إليه الأمير عايض جماعة من المقاتلة على رأسهم بن ضبعان وانتهى الأمر بالصلح وجاء

(١) مما ذكره مؤرخنا من حوادث هذا العام حصول زلزال عظيم في بلاد قبائل ألمع وما والاها بما لم يسمع قبله مثله .

(٢) المقاطرة قبيلة جنوب وادي ييش .

(٣) عيس بعض سكان وادي مور .

(٤) مما ذكره مؤرخنا من حوادث هذا العام أن المياه في بلاد ألمع غارت وحصل للناس من ذلك شدة عظيمة سيما في بلاد صلب وبنى جوة .

(٥) بني الحارث قبيلة تنازلها جبال قريبة من ضيا .

(٦) القهر جبل في غاية المنعة وعر المسالك في الجنوب الشرقي من صدر وادي ييش .

(٧) جلة الموت اسم مكان في صدر وادي ييش مما يلي جبل القهر .

(٨) وادعة قبائل تسكن وادي الظهران — ظهران اليمن — جنوب شرقي أيها

عرفاء وادعة وقدموا طاعتهم ثم عقبهم في عام ١٢٥٩ ° مجيء محسن نفسه بنحو مائة من قبيلتي سنحان وهمدان^(١) وعاهدوا الأمير على إقامة التوحيد ومعاودة أهل الشرك والتبديد ، كما يقول مؤرخنا ، ولم يطل أجل الهدنة التي تمت بين الأمير عايض وبين الشريف محمد بن عون عام ١٢٥٦ فقد جهز الأمير عايض في أوائل عام ١٢٦٠ جيشا غزا به بيشة ثم توجه إلى بلاد غامد وما يليها من قبائل شمران^(٢) وبلقرن فأدوا الطاعة ودخلوا في الجماعة وهم صاغرون كما يقول مؤرخنا .

وقد كانت في ذلك الفرصة الثامنة لعسير للانتقام من قبائل هذه الجهات بما لقي العسريون منهم في موقعة رغدان مع جيش أحمد باشا كما سبق القول . لأن أمير مكة الشريف محمد بن عون الذي يعنيه أمر هذه الجهات كان ضعيف الحول ولم يكن على وفاق مع والي الحكومة العثمانية الذي خلف مندوب محمد علي باشا بعد انسحابه من الحجاز .

ومضى عام ١٢٦١ وعام ١٢٦٢ ° والحالة في عسير في استقرار وطمأنينة

(٥) بما ذكره مؤرخنا من حوادث عام ١٢٥٩ ظهور عمود أحمر في السماء جهة اليمن في شهر محرم ثم لم يزل يمتد ويتزايد طولاً وعرضاً ثم أخذ يتناقص إلى أن اضمحل في شهر صفر .

(١) سنحان وهمدان قبيلتان من قبائل اليمن في الجنوب الشرقي عن أمها .
(٢) شمران قبيلة تسكن السراة وتهامة ، يحدهم شرقاً شمران وغرباً وشمالاً غامد وجنوباً بلقرن ، وبلقرن قبيلة تسكن السراة وتهامة أيضاً يحدها شرقاً وادي بيشة وشمالاً شمران وجنوباً بنو عمرو وغرباً تمتد منازلهم إلى قوز بلعير على مقربة من القنفذة ويوم عنها على الدابة .

(٥) بما ذكره مؤرخنا وحوادث هذا العام مرور العلامة الكبير والولي الصوفي الشهير الزاهد الشريف إسماعيل بن حسين من بلاد عسيرة قصد إخراج القرنيحة من عدن وذكر صاحب تاريخ اليمن أن المذكور من أشرف مكة وقد كان الإنكليز باتفاق مع الحكومة العثمانية احتلوا عدن ، وبما ذكره مؤرخنا أن الشريف المذكور قتل غيلة ، عام ١٢٦٤ في أرض الحجرية بتدبير من القرنيحة ولم تتحقق أمنيته .

ولم يقع فيهما من الحوادث شيء سوى قتال وقع بين أمير أبو عريش الشريف الحسين الموالى للأمير عسير وبين المدعو على حميدة من موالى إمام صنعاء ، كانت الغلبة فيه لعلى حميدة وتمكن من نهب مخيم الشريف الحسين بعد قتل ذريع وقع في عسكره .

أما عام ١٢٦٣ فقد غزا فيه الأمير عايض « باقم »^(١) غزوة عظيمة جاء بعدها ابن مقيت على رأس قبائله مذعنا بالطاعة .

وفيها أحيا الأمير عايض مزارع « مسلية » التى أنشأها الأمير طامى بن شعيب بوادى ييش وكانت السنة سنة خصب ورخاء فقد بلغ سعر الفرة عشرة أفرق بريال^(٢) .

وفى عام ١٢٦٤ غزا الأمير الين حتى وصل صيبا ثم كر على آل الحارث فأخذ من أموالهم أكثرها .

ومن حوادث هذا العام خروج إمام صنعاء محمد بن يحيى المتوكل بجيش عظيم لقتال الشريف الحسين بن على بن حيدر أمير أبو عريش والتتقاء الجيشين بقرية القطيع ووقوع قتال بينهما شديد انتهى بتمزق جيش الشريف الحسين وإلقاء القبض عليه وحبسه فى قرية القطيع ثم فراره من الحبس واختلال أمر الإمام محمد بن يحيى وتراجعته إلى صنعاء^(٣) .

(١) باقم يطلق على قرية تبعد عن وادى الظهران — ظهران الين — بست ساعات بالدابة وهى الآن تتبع إمام صنعاء وتسمى قبائلها بنو جماعة .

(٢) الفرق ويقال لنوع منه العجرة ، وعاء من الخصر على شكل الأكياس الجيش وهو عادة يسع ثلاثين كيلة مكية وقد يزيد والريال هو الريال الفرنسى الذى سبق تعريفه فى الرحلة ويساوى خمسة عشر قرشا مصريا .

(٣) قول مؤرخنا هذا وهو المعاصر المواطن يؤيد ما نقله صاحب قلب جزيرة العرب فيما ذكره بصفحة ٣٥٣ و ٥٤ نقلا عن الشيخ عبد الواسع اليماني فى كتابه تاريخ الين ، وينق ما ذكرته وزارة الخارجية البريطانية وزعمه « هو غارث » فى تاريخه بأن الترك بتحريض من الشريف محمد بن عون جردوا حملة أنزلت الحديد فى عام ١٢٦٥ تمكنت من فتح تهامة ودخول « أبو عريش » .

وفي عام ١٢٦٥ اجتمع محمد بن مفرح نائباً عن الأمير عايض بالشريف عبد الله بن محمد بن عون نائباً عن أبيه في بيشة واصطلحا على تحديد الحدود بينهما .

وفي عام ١٢٦٦ غزا الأمير عايض آل حدره^(١) وأخذ أموالهم .

وفي عام ١٢٦٧ نقض الأمير عايض ما جرى بين نائبه محمد بن مفرح وبين الشريف عبد الله بن محمد بن عون من تحديد الحدود بينهما وأغار على بيشة وقفل منها إلى بلاد بَلْقَرَن سِراف وتهامة فصالحوه على ما يريد ولم يقع حرب ولا قتال بينهما ، وفيها غزا وادى تثليث^(٢) .

وفي عام ١٢٦٨ بعث سرية إلى غامد وزهران رجعت ظافرة منصوره .

ومن حوادث هذا العام تولى الشريف عبد المطلب بن غالب إمارة مكة وحججه بالناس ، وفي عام ١٢٦٩ توجهت رتبة^(٣) تحت إمرة يحيى بن مرعي أخو الأمير عايض إلى غامد بدلا من الرتبة السابقة التي كانت بها تحت إمارة ابنه محمد بن عايض ، وفي هذه السنة أيضا بعث الأمير عايض وقدأ إلى الشريف عبد المطلب ومعه الهدايا من الخيل وغيرها .

(١) آل حدره قبيلة تمتد منازلها غرباً من درب بني شعبة إلى قريب من ساحل

البحر .

(٢) تثليث واد عظيم ينحدر شرقاً من جبال السراة من منازل قبيلة فحطان وتنصب فيه أدوية كثيرة ذكرها صاحب كتاب في بلاد عسير وقال إنها ثلاثة عشر وادياً ، وهو في اتحداره يتجه إلى الشمال الشرقي وينتهي في وادي الدواسر عند مكان يقال له المحتمية ويقال أن عمرو بن معدى كرب كان يملك بعضه أركله وفي بعض قرأه نخيل ويغلب في سكانه البدو الرحل . وهو معروف قديماً بهذا الاسم جعله ياقوت الجدي الفاضل لما يسمى حجازاً من سلسلة جبال السراة فقال في ج ٣ ص ٢١٩ ويحدها د أي جبال الحجاز ، من بلاد مذحج تثليث وما دونها .

(٣) رتبة — بمعنى حامية من الجند .

قلنا إن الشريف محمد بن عون لم يكن على وفاق مع الوالى التركى وقد أدى الخلاف إلى أن تعزل الحكومة العثمانية الشريف محمد بن عون وتبعده إلى استانبول وتولى مكانه الشريف عبد المطلب ، وحتى الشريف عبد المطلب لم يصف الحال بينه وبين المندوبين الأتراك بسبب لائحة الإصلاح التى أرادت الحكومة العثمانية تنفيذها فى ولاياتها وكان من مقتضاها منع الاسترقاق مما أدى إلى تمرد الشريف عبد المطلب وحصول فتنة فى الحجاز هرب المذكور على إثرها ولجأ إلى الآستانة ، فأعادت الحكومة الشريف محمد بن عون أميراً للحجاز ولكنه عاد محدود السلطة والنفوذ ولم تطل مدة إمارته الثانية فقد توفى فى عام ١٢٧٤ ، وتولى بعده الإمارة ابنه عبد الله .

الأوبئة فى عسير

إلى ما ذكرته من حوادث عام ١٢٦٩ كانت نهاية ما سجله مؤرخنا فى وريقاته غير أن ما ذكره فى حوادث هذا العام وقوع وباء فى عسير عم سائر قرى السراة وأن أثره امتد إلى عام ١٢٧٣ وأنه اشتد فى هذا العام حتى لم يترك فى بعض الأوطان دياراً ولا نافخ نار ، وأنه فلك بكثير من أعيان أهل الحل والعقد فى عسير حتى إن الأمير عايض نفسه أصيب به وكان سبب وفاته^(١)

(١) بدأ حصول الأوبئة فى الحجاز وما جاورها من مناطق وأقاليم من عام ١٢٣٤ وتكرر فى عدة سنوات حتى إن مؤرخنا ذكر فى حوادث عام ١٢٤٦ أن وباء حصل فى الحرم أدى إلى أن يقطع الحجاج مناسكهم ويعودوا ، وهذا طبيعى فإنه كان نتيجة لما استمر من القتال وأثر ما دهم البلاد من خليط الجنود الذين أتى بهم محمد على باشا لما لم يخل حتى من بعض الفرنجة . وكان من جملة ما جلبوه معهم كثير من الأمراض الاجتماعية التى لم تكن معروفة فى الجزيرة ن قبل ، وذلك من كبريات سينات محمد على فى الجزيرة إن عميق أثرها لا يزال فاشياً بين كثير من القبائل كما تدل على ذلك التقارير التى يكتبها الأطباء الباحثون فى العهد الحاضر فإن الحكومة تبذل عظيم الجهد فى مقاومتها بما تبسره من أطباء متجولون بين القبائل والقرى للمعالجة والبحث .

فعلى ما ذكره مؤرخنا يكون الأمير عايض قد قضى في إمارة عسير العامة حوالى أربعة وعشرين سنة من عام ١٢٥٠ إلى عام ١٢٧٣ تيسر له في أثناءها الولاية على كثير من القبائل والقرى المجاورة لعسير والنائية عنها وضمها لسلطانه .

لأنه منذ أن انتزعت ولاية الحجاز وما يتبعها من محمد على باشا وأعيدت إلى حظيرة الحكومة العثمانية في عام ١٢٥٥ إلى أن توفي الأمير عايض في عام ١٢٧٣ لم تقم الحكومة العثمانية المشار إليها بأى عمل حربي جدى لاسترداد نفوذها في عسير ولم يكن أمراء الحجاز على وفاق مع ولاته من الأتراك كما سبق الإشارة إلى ذلك في محله . مما هيا الأمير عايض الإيعان في غزو الأماكن القاصية عن عسير وتثبيت نفوذ إمارته في قبيلتي غامد وزهران وغيرهما مما جرى ذكر حوادثه في محله ووقته .

ويقول مؤرخنا إن الأمير عايض بن مرعى كان على قسط وافر من راحة العقل وسجاجة الخلق وكان محسناً محباً للعلماء ومقدراً لهم فقد ذكر في حوادث عام ١٢٥٩ أن العلامة الشيخ زين العابدين الحفظي كتب إلى الأمير المشار إليه أن ينزل إلى تهامة لمواجهة ، فامتثل ذلك ونزل إلى أول وادى ناه من بلاد بني زيد^(١) واجتمع بالشيخ المشار إليه فبذل له كما يقول مؤرخنا (وصايا ونصائح ومسائل هي لثبات الدين والمملك من أعظم الوسائل) فتلقاها منه بالرضا والقبول .

الولاية بالارث وإمارة محمد بن عايض

فهو بمزاياه هذه وبطول مدة إمارته وظروفها قد وطدت لابنه من بعده أركان الدولة ومظاهر الصولة وأوسع له نطاق الإمارة فقد توفي وسليمان

(١) بنو زيد إحدى قبائل ألمع .

إمارته تمتد شرقا إلى بيشة النخل وشمالا إلى غامد وزهران وغربا إلى الخلاف السلياني وجنوبا بشرق إلى وادي ثلث وما جاوره من القبائل والقرى وتولى ابنه محمد بن عايض الإمارة وهي على ما وصفت من الشوكة والقوة والمنعة والاتساع ، وكانت إمارته أول إمارة بالأرث في عسير .

قضى الأمير محمد بن عايض حوالي أربعة عشر عاما كانت الحكومة العثمانية في أثنائها لا تزال مشغولة بلم الشعث ورتق ما أفسدته الحروب والفتن التي جرتها ثورة محمد علي باشا وإلى مصر ، فقد مضت مدة ولاية السلطان عبد المجيد وقسم من ولاية السلطان عبد العزيز ولم تقم الحكومة العثمانية في الجزيرة العربية وبالأخص في الجهة الجنوبية منها بأعمال حربية جديدة تذكر .

ومن المؤسف أني لم أجد في المذكرات التي عثرت عليها ذكر آ لما جرى من الحوادث في عصر الأمير محمد بن عايض خلا ما عثرت عليه من قصيدة للعلامة عبد الخالق الحفطى يمدح فيها محمد بن عايض ويهنته بتملك « أبو عريش » وهروب صاحبه الشريف الحسين بن محمد يوم السبت ٢٥ جمادى سنة ١٢٨٠ . كما وجدت ورقة بخط أحد المعاصرين له من الحفاظية ذكر فيها حادث زحف القائد محمد رديف باشا الذي كانت على يده نهاية إمارة آل عايض وخاتمة حياة الأمير محمد بن عايض .

والشائع على الألسنة مما يتناقله الخلف عن السلف من سكان هذه الجهة أن فتوحات الأمير محمد من الجهة الجنوبية وصلت إلى المخاو الحديدة وزبيد وما جاورها وأن عصره كان عصر توسع وعز لعسير .

غير أن نفوذه في تلك الجهات لم يطل بدليل ما جاء في كتابة مؤرخنا لحادث زحف القائد محمد رديف باشا فانه قال :

غزو الحديدة - المأساة الحربية

« في مدخول عشر من شوال سنة ١٢٨٨ غزا الأمير محمد بن عايض

الحديدة لأجل أمور بلغت عنها من صادق وكاذب وربما استنفره أهل تلك المحلات وعولوا عليه في إزالة ما فيها من المنكرات وإخراج من فيها من الفجار ، واستطرد في سرد الحادثة وما أعقبها بما خلاصته :

أن الأمير محمد أجمع القبائل من عسير وسار بهم يقصد غزو الحديدة والاستيلاء عليها وأنه حصل من تلك القبائل والعشائر على من مروا عليهم من أهل القرى والدساكر في طريقهم إلى الحديدة من النهب والسلب والتعرض بالأذى ما يحل عن الحصر .

فلما وصلوا إلى الحديدة نشبت الحرب بينهم وبين الترك في يوم الخميس ١٣ رمضان سنة ١٢٨٨ ووقع بين الفريقين قتال شديد هلك فيه جم غفير من عسيرة من الترك ومن أهل الحديدة وانتهى بهزيمة المسلمين (يعني العسيرة) ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، فاني يتصورون وقد عاثوا في الأرض فساداً وتعرضوا للآمنين من أهل القرى بالنهب والنسب ولم يردعهم رجوعهم بالخبية والبوار فانهم لما وصلوا قرية الزيدية (١) دهموا أهلها وهم قارون آمنون ونهبوا أموالهم وكشفوا كما يقول مؤرخنا العورات وسبوا الذريات واتهكوا النساء الفاطميات حتى لم يبقوا لأهل الزيدية ما يطعمون به أطفالهم أو يستقرون به سوءاتهم بل كان كثير من النساء يوارين سوءاتهن بالتراب وصار الأثاث والتراث والكتب الموقوفة واللباس والسلاح والأموال الظاهرة والباطنة نهباً بأيدي عسير وغيرهم من عساكر الأمير ، فيألفها من مصيبة ما أعظمها ورزية ما أجمعها وحوقل مؤرخنا وقال « اللهم انا نبرأ إليك بما صنعوا ونعوذ بك من عواقب ما فعلوا فأنت تعلم أن عيوننا من ذلك ذارفة وقلوبنا من سطوتك خائفة » .

(١) الزيدية قرية على ساحل البحر غربي وادي مور وتبعد ثلاثة مراحل عن أبو عريش .

الجيش التركي يزحف على عسير بقيادة محمد رديف باشا

ويقول مؤرخنا رجع الأمير محمد بن عايض ومن معه إلى عسير وقد فعلوا ما فعلوا من الإفساد والمناكير وكان وصولهم في الخامس من شوال سنة ١٢٨٨ فلم يلبثوا إلا قليلا حتى توالى الأخبار بخروج عسكر هائل وجيش جرار يبلغ عشرين ألفا جهزه السلطان عبد العزيز خان وجعل على رأسه محمد رديف باشا ،

وهذا من غير شك صدى لما فعله العسيريون في تهامة الذين من المثالب وأزلوه بأهل تلك الجهة من المصائب .

وصل رديف باشا ثغر القنفذة بمن معه من جنود وكتب للأمير محمد بن عايض وللبعض رؤساء عسير يدعوهم للطاعة والإذعان فأبوا ورفضوا طلبه . ويقول مؤرخنا « إن الأمير محمد بن عايض بعد وصول طالب رديف باشا إليه جمع كبار المسلمين وتعاقدوا وتعاهدوا على حرب هذه الفئة الباغية » .

تيقن رديف باشا عزم العسيريين على المقاومة والحرب فزحف بجيشه واحتل حلي بن يعقوب ^(١) وهو أول حدود إمارة محمد بن عايض من هذه الجهة ثم سار زاحفاً حتى وصل محاليل فاحتلها بعد أن هرب أهلها .

دخول الجيش التركي محاليل

كان دخول الجيش التركي محاليل يوم عيد الأضحى فلما بلغ الأمير محمد وصوله إلى محاليل خرج بمن معه من قبائل عسير وأهل المشرق - يعني من كان تحت ولايته من قبائل شهران وقحطان - وخيم في باحة شععار وأخذ يبني

(١) حلي بن يعقوب واد نهايته على الساحل عند رأس خليج محي من رياح الشمال والشرق عند قرية خشوش، والوادي يمتد داخلا إلى منازل قبائل المبح وما يصنف فيه من الأودية هناك وادي العوص ووادي تبة .

المعاقل والحصون ويقيم ما استطاع من وسائل الدفاع ويستعد للملاقاة والقتال متوقفاً أن الجيش التركي سيقصد السراة من تلك الجهة عن طريق عقبة شعارو وادى تية فهو أيسر طريق للسراة من تلك الجهة لا سيما لجيش عظيم .

مفاجأة رجال ألمع وهزيمتهم

كما أن قبائل ألمع وهى موالية للامير محمد بن عايض خرجت على ما يقول مؤرخنا - فرض عين - يعنى بذلك جميع من يستطيع منهم القتال إلى الاشتراك في الحرب وصد عادية الترك عن البلاد وعسكروا في أول وادى حلى مما يلي منازلهم في مكان يسمى الأحابيش ودارت المخابرة بين مقدمهم على بن محيى الزيدى وبين من في السراة من الرؤساء على عزم مبادأة الجيش التركى بالقتال إلا أن كلمتهم لم تجتمع على ذلك مما جعل مؤرخنا يقول : فكانوا يهيمون بالهجوم على الترك ولا يتمون وصارت المحاسدة والمخادلة بينهم ومن ذلك التاريخ عرف من له أدنى عقل بعد ما شاهده من الاختلاف وعدم الائتلاف ألا يكون لهم عاقبة رشد .

وقبل أن تتفق الكلمة بين رجالات عسير على أمر يمضونه لم تشعر قبائل ألمع المجتمعة في الأحابيش كما سبق القول في سحر إحدى الليالى إلا بصياح النذير ، أن الترك قد أقبلوا لا يردهم راد ، فأجمعوا أمرهم وتهاووا للقتال وبعد وقت غير طويل كان الجيش التركى على مرأى العين منهم كأنه الجراد المنتشر كما يقول مؤرخنا تدوى طبولهم وتنق مزاميرهم مقبلين يقصدون رجال ألمع وما أن أصاب معسكر قبائل ألمع من مدافع الجيش الزاحف قدر رمية أو رميتين حتى تفرق جمعهم وهربوا هروب رجل واحد إلى عقبة والج^(١) ومن هناك تفرقوا إلى ما خلفهم من جبال قبيلة شحب^(٢) واحتل الجيش التركى

(١) عقبة والج من منازل قبائل ألمع .

(٢) شحب إحدى قبائل ألمع أنظر الرحلة ص ٩٤

الأحاييش وظل بها إلى المساء ثم انتقل إلى قرية الملح^(١) وبات فيها .
أصاب قبائل ألمع هذا الفشل والخذلان والحال كما يقول مؤرخنا أنه لم
يقتل منهم ذلك اليوم سوى نفر واحد من آل موهوب .

أصبح الصبح فترجع عزم قبائل ألمع إلا القليل من دخلهم الوهن
 واجتمعوا في ذروة جبل قوه^(٢) المشرف على أول وادى حلى ومنزل الترك
 عنه بالملحة يقصدون مناوشة الترك ومراماتهم بالبندق فلهجهم الترك كما يقول
 مؤرخنا بالناسور، ووجهوا منهم «طابورا» قصد جبل قوه من تلك الجهة وبعد
 تبادل طلقات الرصاص بينهم وبين من في قوه بقدر ساعة هرب جميع من كان
 بجبل قوه من رجال ألمع من المقاتلة وتمكنت جنود الترك المهاجمة من
 الوصول إلى الذروة فاستأمن منهم أهل القرى التي عليها فأمنوهم ورجعوا إلى
 مقرهم بالملحة .

هرب رجال ألمع وتفرقوا كل إلى منزله خائفا على أهله وماله ونفسه
 إلا شذمة منهم نحو ثلاثمائة رجل ظلت مع المتقدم على بن محيي أقام بعضهم
 في الشرفة والبعض الآخر بالشقة ، أما الجيش التركي فإنه سار دون أن يلقى
 مقاومة من أحد حتى وصل وادى العوص ومنه رقى عقبة الصماء وخيم في
 سطح جبل تهال^(٣)

خدعة وهزيمة

جرى كل ذلك والامير محمد بن عايض مقيم في باحة شعار هو ومن
 معه يبنون الحصون والحاجر ويرقبون طلوع الترك من تلك الجهة

(١) الملحقة قرية في أعالي وادى حلى وهي غير الملاحه التي في السراة من قرى
 بني مالك وغير قرية الملاحه التي بين بيش وصيبا

(٢) جبل قوه يشرف من شماله على وادى حلى ومن جنوبه على وادى
 كسان وقرية رجال .

(٣) تهال جبل من مازل قبائل علكم إحدى قبائل عسيرا أنظر الرحلة ص ٦٣

« ولما بلغه وصول الترك إلى سطح تهليل أسقط في يده ووقع في عظيم الارتباك والاضطراب ، وحات الأفكار وغلبت الأقدار كما يقول مؤرخنا ولم يسعه إلا المبادرة هو ومن معه يقصد الترك حيث كانوا . جاء الأمير بمن معه إلى مقر الترك ونشب القتال بينهما واستمر سجلا ينال من الترك يوما وينالون منه آخر ، مدة من الوقت اضطرب بعدها أن يتراجع إلى قرية السقا فلحق به الجيش التركي ودارت بين الفريقين رحى الحرب نحو خمسة أيام كانت أصوات مدافع الترك وبنادقهم على حد تعبير مؤرخنا تدوى كأنها الرعود والصواعق ، وانتهى القتال باندحار العسيريين واحتلال الجيش التركي للسقا واستيلائهم عليها .

خرج الأمير محمد من السقا هاربا إلى جهة الحفير^(١) والترك في أثره يتعقبونه واستعرت الحرب بينهم أياما بين غالب ومغلوب ، وأخيرا رأى الأمير محمد أن لا طاقة له بالمنازلة فاجأ إلى قرية ريده^(٢) وتحصن فيها بمن صابر ورابط معه من الرؤساء والمقاتلة .

الحصن الأخير

كانت ريده حصينة بموقعها الطبيعي لا سيما بما يلي السراة والجهة الزاحف منها الجيش التركي وبما فيها من الحصون والمعازل المشحونة بمختلف أنواع الأسلحة والذخائر فقد قال مؤرخنا : « وليس أحد يظن أن تغلب من قلة أو

(١) قرية غربي السقا .

(٢) ريده من أجل قرى عسير وهي في صفاح الجبال الغربية بما يلي السقا يزرع في واديه الموز لوفرة المياه فيه وعقبة الوادي المطلة على ريده غابة خضراء لا ترى حجارها من كثرة ما عليها من الشجر وتكاثفه وفيها بعض شلالات من المياه تتدفق إلى الوادي على الدوام وقد قال بعض الأصدقاء ممن تيسر له الوصول إليها إن ظلام الليل يبدو في القرية والعقبة أبكر مما يبدو في غيرها من القرى مباينة منه لما على العقبة وفي القرية من أشجار متكاثفة متشابكة قائمة الخضرة .

يدخل أحد حصونها ، ولا يلوح في الأذهان أن يظفر عدو بفتحها .

لجأ الأمير محمد إلى ريدة ورتب حصونها برجال اختارهم من كل قبيلة جعل لكل واحد منهم شهريا خمسة ريات وأخذ عليهم وعلى من معه من الرؤساء العهود والمواثيق على المناصحة والمصاهرة .

كان محمد رديف باشا قد استمال بعض رؤساء القبائل منهم لاحق بن أحمد الزيدان فانه ركن إلى الترك وأقام معهم في السقا فأخذ بواسطته يرأس الأمير محمدا ويدعوه للتسليم والإذعان ويبدل له الأمان والسلامة بما يحشى ، وكاد الأمير يركن إلى ما دعا إليه إلا أن بعض من معه من الرؤساء أشار عليه أن يبعث أولا بأخيه سعيد فبعث به بعد أن تعهد لاحق المذكور بالسلامة له من كل أذى أو مكروه .

خرج سعيد لملاقاة الباشا والمفاوضة معه وما أن وصل الخيم حتى أمر الباشا بالقبض عليه وحبسه مثقلا بالحديد غير مبال بما بذله من العهد والضيان وعاد إلى مهاجمة ريدة وضربها بالمدافع بكل شدة وقوة .

دام ذلك منه بضعة أيام دون أن يحصل على فائدة أو ينال من في ريدة منه أي ضرر ، فلما أعياه الأمر ورأى ألا فائدة من الاستمرار في إطلاق المدافع أفرز كما يقول مؤرخنا ثلاثة طواير من جنوده المعسكرة في ثغر القنفذة ركبوا منها البحر إلى أن خرجوا من الشقيق يرأسهم أحمد مختار باشا ويدلهم على الطريق رجل من أهل حلبي بن يعقوب يدعى عمر بن عبد الله إلى أن وصل ريدة مما يلي الغرب ، وبوصولهم استؤنف القتال ومهاجمة ريدة جيش أحمد مختار من الغرب وجيش محمد رديف باشا من الشرق ، دام القتال نحو خمسة أيام بكل شدة وقوة أرعبت قلوب من في ريدة من الناس والمقاتلة وبدأ الفشل يتسرب إلى قلوبهم ، وأول من خان الأمير أقاربه « والآقارب عقارب » كما يقول مؤرخنا رحمه الله ، فخرج منهم من كان في حصن شهران ثم خرج آل مقرح من حصنهم وطلبوا الأمان فأمشوا ، واضطرب من ذلك

من كان في حصن الأمير محمد نفسه وتزعزعت قواهم وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ، ولم يفد فيهم تشجيع الأمير ولا استنهاضهم وتذكيرهم بالعهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم بل نفروا كما يقول المؤرخ : غير مستمعين لكلامه ولا ملتفتين لملامه مع أنه لم يعلم أن انساناً واحداً قتل منهم .
حاول المخذلون في حصن الأمير أن يهربوا ولكن أتى لهم ذلك وقد أحاط الترك بريده من سائر جهاتها ولم يعد لهم منها مخلص ، فانضموا إلى من سبقهم بطلب الأمان من أهل الحصون الأخرى وتأمنوا وانحازوا إلى الترك .

نهاية سيئة - غدر واستسلام

نظر الأمير فلم ير معه في الحصن غير عبيده وخاصته وحدهم ولم يكن بد من الاستسلام فطلب من أحمد مختار ذلك وعرضه عليه بشروط منها أن يكون آمناً على نفسه وأهله فأجابه إلى ذلك وسلم الأمير نفسه ، ودخلوا معه الحصن فلما تمكنوا من كل ما أرادوا نقضوا العهود التي أمضوها وقبضوا على جميع من استأمن منهم في الأول والآخر ، ونزعوا سلاحهم وأوثقوهم كتافاً وأخرجوهم إلى سجن ريذة في أسوأ حال ونزل محمد رديف باشا من السقا إلى ريذة وكان دخوله إليها في اليوم الذي دخلها فيه أحمد مختار باشا ، وما أن وقعت عينه على الأمير محمد جالساً بجوار أحمد مختار حتى أمر بالقبض عليه وحبسه دون التفات أو مبالاة بما قطعه أحمد مختار للأمير من العهد والميثاق ، وحبس معه نحو خمسة وثلاثين من رجالات عسرو رؤسائهم عدد مؤرخنا منهم اثني عشر وسباهم .

ويقول مؤرخنا :

ولما كان بين المغرب والعشاء أخرجهم من الحبس وقتلهم جميعاً وخان الله ورسوله .

كان استسلام الأمير محمد بن عايض في شهر صفر سنة ١٢٨٩ وكانت نتيجة الاستسلام ما ذكره مؤرخنا من قتله ومن معه غدراً (١) .

عهد جديد - الحكم التركي في عسير

ظل الترك يحكمون عسير ويتصرفون فيها من ذلك التاريخ إلى سنة ١٣٣٧ أي حوالي أربعين سنة ولكن حكمهم لم يكن حكماً صحيحاً بمعنى الكلمة فإن سلطتهم لم تكن تتجاوز في أغلب الأوقات فوهات بنادقهم وظلال ما يحتلونه من حصون ومعاقل، وكان نفوذ الحكومة قوة وضعفاً يتمشى في أغلب الأحيان تبعاً لمزايا المتصرف الشخصية ، والأمن العام والطمأنينة يكادان يكونان مفقودين . فعابر السبيل لا يسير إلا مسلحاً وقرافل التجارة لا تمشي إلا محروسة بأهلها ، وكثيراً ما تعرض العيار من عسير للجند في معاقلهم يتخطفونهم طمعاً فيما في أيديهم من سلاح، ولم يتمكن ولا تنهم إلى ما قبل متصرفية محي الدين باشا في عام ١٣٣١ من اجراء أى عمل اصلاحى أو عمرانى إلا القليل مما تدعو إليه ضرورة الجند أو القتال .

(١) ما ذكره مؤرخنا وهو المواطن المعاصر يتعارض وما نقله صاحب كتاب قلب جزيرة العرب في ص ٢٥٥ نقلاً عن تاريخ اليمن ص ١٠٦ بأن زحف رديف باشا كان عام ١٢٨٥ ولم يذكر مؤرخنا أيضاً شيئاً مما قاله من توسط الشريف محمد ابن عون أمير مكة واستصداره فرماناً بالأمان من السلطان عبد العزيز بالعفو عن الأمير محمد بن عايض لم يعبأ به رديف باشا ولم ينفذه .

وفي الرواية بعض اضطراب ينافيه الواقع لأن محمد بن عون كان إذ ذاك من سكان الأرماس ، فقد كانت وفاته في عام ١٢٧٤ وحادث قتل محمد بن عايض وحصار ريذة كان على رواية مؤرخنا في عام ١٢٨٩ ، وقد وهم صاحب قلب جزيرة العرب فيما قاله إن حصار الأمير محمد بن عايض كان في أها ، والحقيقة ما ذكرناه وريذة تبعد عن أها بقدر نصف مرحلة كما سبق القول ، وهى في الصفاخ الغربية لجبل عسير ، أما أها فهي في مايلي الشرق منه

فلما تولى محي الدين بشا أخذ في إنشاء بعض المؤسسات فأقام في أبها داراً للفرقة العسكرية ومقراً للحكومة وأسس إدارة للبلدية وبنى لها مكاناً خاصاً، وأنشئت مدرسة أولية لتعليم أبناء الموظفين الإداريين الأتراك كما بنى مكتبة للجند أطلق عليها «طاش قشلة» أى المكتبة الحجر، وأنشأ حول هذه المؤسسات وفي جوارها حدائق ومنزهات نصب فيها فوارات بالماء «فاسقيات» وأحواضاً له وغرس سوق أبها بالأشجار الباسقة، ومد المعاول والحصون إلى منازل قبائل ألمع، وبنى بقرية الشعبين داراً للحكومة وغير ذلك مما جعل لها صفة الوجود ومظهره، ولكن أعماله هذه جاءت كما يقولون في الزمن الأخير فكانت كاشتغال الذبالة عندما تريد أن تلفظ أنفاسها الأخيرة.

محاصرة السيد الادريسي لأبها

من أهم الحوادث التي جرت في عسير السراة على عهد الترك محاصرة السيد محمد الادريسي المتغلب على تهامه لأبها مقر المتصرف، فإنه بعد أن اشتد ساعده وانتشر نفوذه في تهامه عسير - المخلاف السليمانى - وتمكن من طرد الحامية التركية التي كانت في جيزان، أخذ يولب القبائل التي تسكن غربي جبل عسير ويستملهم باللين أحياناً وبالقوة أحياناً حتى تمت له الغلبة عليهم وأصبح نافذ الكلمة فيهم، فكلف عامله عليهم السيد مصطفى بمحاصرة أبها وإخراج من بها من الحامية التركية، وكان ذلك في شهر ذى القعدة سنة ١٣٢٨.

نجدة الشريف الحسين

وظلت أبها محاصرة نحو عشرة أشهر وكان المتصرف بها حينئذ سليمان شفيق كالى باشا .. فانتهر الشريف مكة وأميرها في ذلك العهد الشريف الحسين بن علي هذا الحادث وعرض على الباب العالي - الحكومة العثمانية - أن يتوجه لفك حصار أبها ومعاقبة من بها من الحامية فوافقه الحكومة على ما طلب وأذنته بالمسير، وقد كان المشار اليه يهدف في هذا العرض لغايتين،

أولاهما أن يظهر أمام قبائل تلك الجهة بمظهر الزعامة والقوة ويشيع ذكره بينهم، والثاني أن تكون له هذه المعاونة والمعاونة رده أوزل في لدى الحكومة التركية تبعد عنه شبهة ما كان يدور حوله من إشاعات ومقاصد فيما كان ينويه ويطمح إليه .
سار الشريف الحسين من مكة عن طريق الساحل بحملة من المقاومة من عدة قبائل يصحبهم عدد وافر من الجند النظامي ، وكان موفقاً فيما قصده ، فقد أزال الحصار عن أبيها وتراجعت جنود الأدرسي عنها بعد أن مس من فيها الضنى والجوع مما كادوا معه أن يهلكوا .

ومن مساعي الشريف الحسين في سيره هذا أن وفق بين المتصرف سليمان شفيق وبين حسن بن محمد بن عايض أمير عسير السابق ، وكان ممن ما لا و إلا الأدرسي وشاركه في حصار أبيها واستصدر له أمراً من الباب العالي بأن يكون معاوناً للمتصرف المشار إليه وتعين له مرتب شهري يتقاضاه من الدولة في مقابل وظيفته هذه .

أنهى الشريف الحسين ما جاء لأجله ولم يعد من حيث أتى ، بل إتماماً للغاية التي يكنها رجع إلى الحجاز عن الطريق الشرقى ماراً ببلاد شهران وبيشة وتربة حتى وصل الطائف (١) .

الحكومة العثمانية تتداعى

لم تكن الحكومة العثمانية في أخريات أيامها على حال يحمد به الناس . فإنه بعد أن أعلن الدستور وخلق السلطان عبد الحميد منيت في داخلتها ، باختلاف الأحزاب وتنازعهم السلطة ، ودفع جنود الدولة إلى قتال بعضهم البعض مما زاد قواها المادية والمعنوية وهناً على وهن ، وأمسى معه كل فرد من أولى النفوذ في الحزب المنتخب على الحكم له السلطان المطلق مما صدق معه قول من قال :

(١) وقد سجل مسير الشريف الحسين هذا وذكر حوادثه المرحوم الشريف شرف بن عبد المحسن البركاني في كتاب سماه الرحلة الحجازية ، وقد اقتبسنا منه بعض مادداً إليه السياق .

كان عبد الحميد بالامس فرداً فغدا اليوم ألف عبد الحميد
ونشأ مع هذه الفوضى جموح في النظريات والمبادئ. وميل عن منهج
الصواب في إدارة دفة الحكم في مملكة كالمملكة العثمانية مؤلفة من شتى
العناصر والأديان والقوميات ، وكان من آثار هذه الفوضى توتر في العلاقات
الودية والروابط المعنوية التي كانت قائمة بين عناصر هذه الدولة وطموح إلى
التخلص من نير الهيئات الحاكمة والعنصر المتسلط ، لم يعدم من دول
الاستعمار وحكومات الغرب من يغذيه ويدكي ناره وسعيره .

فلم تسكد تخلص الحكومة المشار إليها من محنة اعتداء حكومة إيطاليا على
ولاية طرابلس الغرب ، وانزعاجها منها ^(١) حتى تمزقت دويلات شبه
جزيرة البلقان ، فأعلنت عليها الحرب التي انتهت بهزيمة الحكومة التركية وانزعاج
البقية الباقية التي كانت لها في شبه الجزيرة من الولايات والنفوذ وأصبح من
فيها من المسلمين عرضة للتحيف والاضطهاد ^(٢) .

وقبل أن يحف دم القتلى من جنودها في تلك المعركة التي لم يكن يتوقع
أحد أن تخرج منها مهزومة فوجيء العالم بإعلان الحرب العظمى الأولى في
سنة ١٣٣٢ هـ الموافق سنة ١٩١٤ م وقضت ظروف الحال عليها أن تشترك

(١) كان اعتداء إيطاليا على طرابلس عام ١٣٢٨ هـ الموافق عام ١٩١١ م .

(٢) كان إعلان دويلات البلقان الحرب على الحكومة العثمانية عام ١٣٣٠ هـ
الموافق ١٩١٢ وأندكر أن أحد وزراء الانكليز قال في مبدأ الحرب أن جزيرة البلقان
لا تحتمل تغير الوضع الحاضر أو ما في معنى ذلك يعني بهذا أنه لو انتصرت الحكومة
العثمانية فلا قيمة لا لتصارها وسيظل ما كان على ما كان ، فلما تغلبت دويلات البلقان
عليها واستولت على ما كان تحت حكمها من بعض المدن قال ذلك المتحدث نفسه
ليس من العدل أن يحرم المنتصر من ثمرة انتصاره ، وهذا هو منطق الغرب
ودوله مع المسلمين إلى اليوم

والمرحوم أحمد شوقي قصيدة عصماء يرثي فيها المسلمين من سكان البلقان ويندب
ما حصل لهم مظلما :

يا أخت أندلس عليك سلام هورت الخلافة فيك والإسلام

فبها مع الألمان، وشاء الله أن تخرج منها مخذولة، فقد ثار عليها الشريف الحسين ابن علي أمير مكة، وانضم إلى معسكر الانكليز وحلفائهم، وكانت ثورته ومعاونته الانكليز من أقوى العوامل التي أكسبتهم الحرب في الشرق الأدنى والاطوسط، واشترط الانكليز وحلفاؤهم فيما عقدوه مع الحكومة العثمانية من صلح أن تتخلى عن سائر البلاد العربية وأن تدعها لأهلها.

كان متصرف عسير في ذلك الوقت محي الدين باشا الذي سبقت الإشارة إليه وإلى ما أوجده في عسير من المنشآت العمرانية، وكان في ظروف عصيبة جعلته في ارتباك شديد يحسب كل صيحة عليه هم العدو مما أفقده بعض ما كان قد كسبه من امتنان أهل البلاد وارتياحهم إليه.

الحامية التركية في عسير تستسلم

لأنه بعد أن ثار الشريف الحسين في الحجاز وانقطعت الصلة بين عسير ومقر السلطنة ملأ سجون عسير بمن شك فيهم وارتاب في سريرتهم وسامت الحالة المالية، فامتدت يده إلى أموال من تطلوهم من التجار، فقد ذكر لي بعض أهل درجال، أن ما استنزفه محي الدين من أيه بلغ ستة آلاف جنيه ذهباً يحمل هو الآن سنداتها حبراً على ورق، وأنه أخذ من غير أيه مثل ذلك وأقل وأكثر.

وفي شهر ربيع من سنة ١٣٣٧ تبلى محي الدين باشا الأوامر السلطانية باخلاء عسير عن طريق الانكليز وعن يد السيد محمد الأدرسي ورسله داخل مظروف كبير مختم بالشمع من سائر أطرافه كما وصفه لي محدثي، وكان الباشا إذ ذاك مريضاً أو متوعلك المزاج، فهبط من السراة إلى الشقيق على الساحل محمولا في محفة على أكتاف الرجال أحيانا وعلى ظهر الجمال أحيانا.

وصل الباشا الشقيق، وبمعيته أفراد الجالية التركية من الموظفين الإداريين الذين كانوا في عسير ومعه سائر القوة النظامية العسكرية وعددهم

لم يتجاوز الثلاثة آلاف كما قال محدثي ، هبطوا إلى الشقيق بما تهيأ لهم حمله من خفيف السلاح والعتاد الحربى وتركوا ثقيله ومعظمه فى عسير تفعل به ما تشاء .

ومن المعلوم بالضرورة لما سبق ذكره أن الذى سيتلقى حامية عسير التركية على الساحل لنقلهم من البلاد بواخر انجليزية ، وأن المندوبين الذين سيشرّفون على عمليات تسليم البلاد لأهلها مندوبون انكليز ، كما أنه من المعلوم أيضاً أن الذى سيرث ما مع الجيش التركى من العتاد والسلاح هو السيد محمد الادريسى بمقتضى ما بينهم وبينه من معاهدة ، فإن السيد كان أول من أجاب الداعى من أمراء الجزيرة فى أثناء قيام الحرب العظمى الأولى وهديد المساعدة وعقد مع الانكليز فى سنة ١٩١٥ م معاهدة حلف وصدافة .

اطماع وآمال

لم يكن ما تسلمه السيد من الحامية التركية المغادرة بالنسبة إليه الشئ القليل ، فطافت فى رأسه الآمال والأمانى وضم منطقة السراة إلى دولته وحكمه أو على الأقل تفوذه وموالاته وهو أمل قديم من من حاول تحقيقه فى عهد الأتراك فلم يوفق .

وهى رغبة بعد أن كانت شهوة أصبحت ضرورة يتحتم تحقيقها لما أصبح عليه وضعه الجغرافى بعد التطور الجديد فى الجزيرة ، فقد أمست مملكته بين شقى مقراض ، فعن يمينه الدولة الإمامية المتوكلية ذات العلاقات العريضة والنفوذ القوى فى إقليم تهامة عسير فى العهود السابقة ، وعن شماله قامت الحكومة العليا الهاشمية الناشئة بما لها من مطامع وآمال فى أن تكون حدودها من عدن جنوباً إلى جبال طوروس شمالاً ، فإذا لم تكن السراة به محكومة أوله موالية يحصى بها ظهره على الأقل ، فإن العاقبة ستكون عليه جد وخيمة ولا سيما أن الانكليز فى المعاهدة التى عقدها معه سنة ١٩١٥ وتجددت سنة ١٩١٧ واعترفوا له فيها بالسيادة من حدود القنفذة شمالاً إلى اللحية جنوباً لا تنص إلا على

حمايته ، وحماية هذه الحدود من تعدد خارجي يحصل من غير أهل الجزيرة أما ما يأتيه من الداخل فأمره فيه موكول إلى الله .

آل عائض يتحررون

كان السيد يفكر فيما ذكرت ويعمل الرأي والحيلة لتحقيقه وكان آل عائض ورؤساء عسير يعقدون الاجتماعات ويتداولون الرأي والمشورة فيما يصنعونه بعد أن أخابت البلاد من الأتراك وضعفت منعها فلم يكونوا في وضع يختلف عن وضع السيد بل أشد ، لأنه منذ أواخر عهد محي الدين باشا قد هبت من ناحية المشرق هبوب تعاليم الإصلاح بيناء الهيجر ووصلت إلى قبائل عحطان وأطراف شهران المصاقيب لعسير وتسرب نفوذ آل سعود إلى بيشة النخل وما حولها ..

وبعد مداولات وأخذ ورد في الرأي والمشورة تقرر بينهم أن يسافر محمد بن عبد الرحمن بن عائض إلى الشريف الحسين بن علي بمكة ويعقد معه اتفاقية تجعل اعتماد إمارتهم على سلطانه وشوخته

عسير تحت الحماية الإدريسية - اتفاقية صديا أباها

في أثناء تداول رجالات عسير للرأي والمشورة كانت مكاتبات السيد محمد الإدريسي ورسله للمفاوضة غادية راثمة ..

فقد جاء لأبا السيد نجم الدين ثم لحق به الشريف حمود والسيد محي بن عرار وأقاموا بها أياماً ، وعسير تطاول وتدافع بالقي هي أحسن ريثما يقر قرارها على أمر تجزم به .

سافر محمد بن عبد الرحمن إلى مكة وانفرد الحسن بن محمد بن عائض بتدبير الشئون في عسير ريثما ينتهي محمد بن عبد الرحمن مما ذهب لأجله . والحسن هذا وإن كان لا يزال فتيا ويكبره في السن محمد بن عبد الرحمن إلا

أنه وهو سليل الأمير السابق من آل عايض وهو الذي كان يحمل لقب معاون الباشا المتصرف في عهد الترك كما سبق القول ، فإنه المرموق بالامارة من عسير ، ويظهر لي أنه لم يكن قوى الطموح ، وكان ميالا إلى الدعة وحب السلامة وشعوره بالتابعة في عهد الترك لا يزال على حدته .

فتحت تأثير الوفد المقيم عنده من أهل تهامة والباح السيد الإدريسي وغيبة محمد بن عبد الرحمن رأى الحسن وبعض مشايخ عسير أن ينزلوا إلى صديا حسب طلب السيد محمد ويتفاوضوا معه في الأمر مباشرة دون انتظار ما يأتي به محمد ابن عبد الرحمن من مكة .

نزل الحسن ومعه بعض المشايخ من قبائل عسير وصحبهم من كان لديهم موفدا من السيد الإدريسي إلى صديا وما إن اجتمعوا به وفأوضحهم فيما عرضه عليهم من الارتباط به والتابعة له حتى تأثروا بأسلوبه وبيانه ووافقوه الحسن على ما يريد ، وأعان السيد على انجاز المهمة بسرعة طقس تهامة الحار وما فيها من شدة الومد^(١) الذي لا طاقة لأهل السراة باحتماله طويلا ، والقول بأن السيد الإدريسي بعد أن وافقه الحسن على ما يريد خصص له مرتباً شهرياً قدره خمسمائة وألف ريال فرنسي حجير من حجير كما يقول أهل هذه الجمات

يقظة وتححر

ثم الاتفاق ورجع الحسن بن علي بن محمد بن عايض إلى السراة أميرا يصحبه إبراهيم الشوكاني ، مندوباً سامياً من الدولة الادريسية في المقاطعة السروية وظل هذا الحال إلى نهاية سنة ١٣٣٧ سافر في أثناءه المندوب المشار اليه وترك أخاه يحيى وابنه القاسم نائبين عنه ، واذ ذاك كان قد رجع من مكة محمد بن عبد الرحمن وARM الأنف بما استنشقه من « كالات حسيات تعطفات صاحب الجلالة الهاشمية بها » على حد تعبيرات أمين الرياض كما قد خف عن الحسن ورجالات عسير الذين صحبوه في مفاوضته للسيد

(١) الومد شدة الحر مع سكون الريح .

الإدريسى أثر ومد تهامة وتلاشى سحر بيان السيد ، وبطل أثر ما وشجعهم به من العزائم والتخائم بما شمه حسن من نسيم السراة البارد ومنبهات ما مارسه من التصرف والسلطة

فلما أن طلب السيد محمد الإدريسى بمقتضى حق الحماية والولاية وما سبق من الاتفاق أن يبعث إليه الحسن بما تركه الجيش التركي من سلاح وذخيرة وما استقل حملة من مدافع عند انسحابه أو على الأقل أن يبعث إليه بالثلثين ويترك لديه الثلث لم يرق ذلك لرجالات عسير ، فأرسل الحسن من طرفه وفدا من ثمانية مندوبين فيهم عمه عايض وابن عمه ناصر وبعض رؤساء القبيلة عليهم يثنون السيد عن رغبته في الاستحواذ على ما تركه الجيش التركي من سلاح وعناد ولكن الوفد لم يوفق ، فعاد عايض وعاد معه عبد الله بن حسن وظل الباقيون من الوفد عند السيد ، وتلفت حسن ومن معه فلم يجدوا ما كانوا يجدونه حولهم على عهد الترك من جند شاكي السلاح يوجب الرضا والقبول بل وجدوا مندوبا لا يملك من الحول والقوة شيئا فأجمع رأي الكل على التمرد وخلع حسن ما لبسه من رداء الطاعة للسيد الإدريسى ورفضوا طابعه للسلاح واستقلوا ، فتوترت العلاقات بين الطرفين واحتجز السيد من بقي عنده من وفد المفاوضة ، وقطع ما كان يرد إلى السراة من الثغور والسواحل التي تحت إمرته من ميرة وتجارة ولسكنها كانت وسيلة ضعيفة ، فالحاجة تفتق الحيلة وثر القنفذة الهاشمي مفتوح لعسير عن طريق محال تجلب منه ما تريد ، فلم ير السيد بدا من استعمال القوة وإعلان الحرب بالسلاح ، فجمع ما لديه من المقبالة وكانوا خليطا بعضهم من مرتزقة الصومال وبعضهم من أهل تهامة ، وشاركهم قسم من قبائل المع ، فان علاقتهم بالسيد كانت حسنة وأثر دعوته قائم لديهم من عهد الترك .

معركة التحرير

سار الجيش الإدريسى من جهة بلاد المع وقريتي رجال والشعبيين عن

طريق وادى العوص وعقبة الصماء ، وعلم العسيرون بذلك فخرجوا للملاقاة وقتاله ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين فى سطح جبل تهال وانتهت المعركة بانزاع جيش السيد محمد الإدريسي وتراجعه .

ولم تكن عسير لتقتصر فى دفاعها على السيف وخده بل وجدت فى صفوف هذا الجيش المختلط منافذ لقبول البراطيل فلم تتأخر ، وكان للذهب والفضة دورهما وجميل أثرهما فى هزيمة الجيش وتراجعه .

فشلت الحملة الحربية كما فشلت المفاوضات وأسقط فى يد السيد وتبين له أن الصوماليين مرتزقة وغرباء عن البلاد ومسالكة وأهل تهامة لا تقوى طويلا جلودهم المفلوحة بحرها على احتمال قر السراة وبردها ، وقبائل ألمع وإن كانوا شديدي البأس ويحبون السيد إلا أنهم من أرومة قبائل عسير وهم لأبوصرة السلطانى المرنكش^(١) أكثر حبا وانجذابا .

الادريسي يستعدى آل سعود

أعمل السيد فكره كثيرا ، وأخيرا ألهمته المقادير بما كان تمهيدا وتوطيدا لما تجلى فى النهاية ، وهدهته لأن يلجأ إلى قلب الجزيرة وأسدها الرابض هناك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فقام على صلات حسنة معه ومراسلات وتواد .

عبأ السيد ما يلزم لمثل ذلك وكتب رسائل المودة والأشواق ولم تخل فى تضاعيفها من ذكر مسألة عسير السراة وما كان من أهلها واتصالهم بأشد الأعداء والساعى لأن يكون زعيم الجزيرة الأكبر وما لديهم من سلاح وذخائر خلفها الجيش التركى .

ولم يكن آل سعود فى غفلة عن ذلك أو أنهم نسوا سابق العلاقة بعسير ولكنهم مشغولون بمعالجة ما هو أكثر أهمية ، فالحسين ملك مكة لا يزال يرعد ويبرق ، وابن الرشيد العدو التقليدى والمنافس المشاكل لا زال قائما لا تؤمن غوائله .

(١) يسمون الريال الفرنسى فى عسير هكذا .

أما وقد خذل الله جيش الشريف الحسين ملك مكة في واقعة تربة ذلك
الخذلان المشين وورث السعوديون جميع ما كان معه من عتاد وسلاح جاء به
من المدينة المنورة عما تركه الجيش التركي المنسحب منها واشتغل آل الرشيد
بفتنة وادي السرحان والجوف وقعها وجاءت رسل السيد الإدريسي تبذل
الموالة والصداقة والمخالفة فقد حان الوقت وطاب للاتصال بالعسيرين ،
وسرعان ما تحولت القوة المخناطيسية لاجتذاب عسير من السيد محمد الإدريسي
في الغرب إلى آل سعود في الشرق فكانت المكاتبة والتواد وتذكير عسير
بسابق العهد وما كان بين الأجداد من صلوات وروابط .

ولكن كل ذلك لم يؤثر ولم يجد ، لأن مغريات صاحب الجلالة الهاشمية
بمكة قد نفخت أوداج آل عايض وأملتها غرورا وازداد انتعاشهم بما أوتوه
من نصر على جيش السيد الإدريسي فظنوا كل سمراء ثمرة وأبوا على ابن سعود
ما أراه ورفضوا ما عرضه عليهم من صداقة ، كل هذه الحوادث جرت في
غضون سنة ١٣٣٧ و ١٣٣٨ .

عسير تستنجد بعبد العزيز آل سعود

ولم يعدم ذو الغاية وسيلة ، فقد جاء إلى الرياض من رؤساء العشائر
والقبائل من يشكو سوء إدارة آل عايض وعسفهم ويطلب التوسط لرفع
مظالمهم فتوسط عظمة السلطان عبد العزيز بن سعود ورفض حسن بن عايض
الوساطة ولم يكن بد من إنصاف المظلوم ونصرة المستجير ، فتجهز في أواسط
سنة ١٣٣٨ جيش من الرياض بقيادة الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي
يقصد عسير .

نجدة آل سعود لعسير

وصل ابن مساعد بجيشه إلى بيشة وكتب إلى عسير يدعوهم للاتفاق
والدخول في الطاعة فلم يستجيبوا إلى ما طلبه وكان جوابهم أن بعثوا مع

الرسول مشطاً من الرصاص ومعناه الرقص والاستعداد للقتال كما قاله محدثي .
زحف ابن مساعد بجيشه إلى الخضراء من بلاد شهران وكانت الدعوة
الإصلاحية الأخيرة قد تسربت إليهم من أواخر عهد الترك وعلم العسيريون
بذلك فجمعوا الجموع وحشدوا المقاتلة ، وقبل أن يصل ابن مساعد في زحفه
إلى قرب أبيها بادرت فرقة من الجيش العسيري على رأسها محمد بن عبد الرحمن
ابن عايض إلى وادي حجلة ورابطت هناك ، وبعد يومين من وصول القوة
إلى حجلة بدت طلائع الجيش الزاحف ولعلع الرصاص من الجانبين ودارت
معركة عنيفة انتهت بهزيمة القوة العسيرية وتراجعها إلى أبيها .

لم يجرؤ الجيش النجدى على ملاحقة المنهزمين والتقرب من أبيها لما توهمه
فيها من القوة والمنعة ، على أن رؤساء عسير من آل عايض بعد اندحار جيشهم
في حجلة دب الهلع في قلوبهم وتطرق اليهم الفشل فح أأخذهم في تحصين أبيها
وإعداد وسائل الدفاع عنها صاروا ينقلون منها أمتعتهم وما يعز عليهم من أهل
ومال إلى الجبال الخارجة عن نطاقها بما أوجب الضر في قلوب سكان أبيها
ومن بها من المقاتلة .

احتلال أبيها

وصل إلى علم الجيش النجدى الزاحف حقيقة الواقع في أبيها وما عليه
أهلها فزحف بقصد الاستيلاء عليها وتم له ذلك ولم تفد في صده عنها مدافع
حصن ذرة التي كانت تطلق منه جزافاً .

دخل جيش التوحيد واخوان من طاع الله أبيها عنوة وأعانهم على أعمالهم
بها من انضم إليهم من القبائل المتاخمة من رواد المغانم والكسب وقتل في ذلك
اليوم الكثير من الأبرياء والمستضعفين من سكان أبيها ، ودماؤهم كما قال محدثي
أعلق بأعناق آل عايض منها بأعناق الجيش الفاتح فقد كانوا متعورهم ما أرادوه
من الخروج والبعث عنها .

استولى ابن مساعد على أبيها وهرب آل عايض إلى ملجئهم بحرملة ، وكان

السيد الإدريسي في إبان توتر العلاقات بينه وبين عسير قد استبقى قسما من وفد المفاوضة كالسبق القول ، فلما تطورت الحوادث إلى ما انتهت إليه وتبدلت الرسائل والرسل بينه وبين ابن مساعد بعد فتحه أبها بحث إليه بمن كان عنده من رجال الوفد العسيري إلا ناصر بن عبد الرحمن بن عايض فإنه ظل في صيدا بناء على حادث قتل وقع منه لأحد جنود السيد الإدريسي .

استسلام آل عايض - إكرام ونصيحة

فلم ير حسن ومن معه من آل عايض فائدة في اعتصامهم بحرملة بعد أن لحقهم من الفشل والهزيمة ما لحقهم فتقدم لابن مساعد مستسلما وقبل ابن مساعد منه ذلك ، وطلب عظمة السلطان عبد العزيز بن سعود بحجى حسن وابن عمه محمد ابن عبد الرحمن إلى الرياض فسافرا إليها وأكرمهما عظمته وأحسن وفادتهما ووصلهما بالجواز والهبات وقال لهما :

« ما تخيلنا أبداً عنكم يا أهل عايض ، وعندما سألتك الشريف عبد الله ابن عون أن يهاجمكم وينكل بكم أرسل الشريف يستنجد عني الإمام عبد الله فأجابني - ابن عايض رجل منا فكيف نساعدك عليه ،

العهد السعودي الزاهر في عسير

ثم عرض إمارة عسير على حسن بالشروط التي تقيد بها أسلافه فاعتذر عن قبولها وبعد أن أقاما في الرياض نحو شهر سمح لهما بالعودة إلى أبها فعادا إليها وانزويا في قريتهم حرملة ، وفي أثناء ذلك جاء صالح بن عبد الواحد من طرف الامام عبد العزيز بن سعود وأتى بناصر بن عبد الرحمن من صيدا إلى أبها ، وكان السيد محمد الإدريسي قد استبقاه بدعوى حادث القتل الذي وقع منه كما سبق القول .

انقلاب وثورة

لم يبق ابن مساعد وجيشه طويلا في أبها بل رحل عنها وأقيم شويش

الضويحي أميراً ومعه حامية من بعض الإخوان ، شكوا أهالي أبيها من بعض تصرفاتهم فأبدل عظمة السلطان عبد العزيز الشويش بعبد الله بن سويلم وتكررت شكوى أهالي أبيها فأبدله بفهد العقيلي .

دامت الحامية النجدية وأميرها بضعة أشهر في طمأنينة وسلام إلا أن أسباب الشكوى لم تنقطع بتعديل الأمراء ، فقد كان بعض الجند من متعصبة الإخوان ينالون أهالي أبيها بالاحتقار والإهانة ، بما ضاقوا معه ذرعاً واستهانوا بأمر الحامية فثاروا عليها وحصروها في القصر الذي هي فيه ، ثم ذهب بعض رجالات عسير إلى الحسن في حرمة وما زالوا لديه حتى وافقهم على المجيء إلى أبيها ومشاركتهم فيما فعلوه .

جاء الحسن أبيها ولكنه كان خائفاً من وخامة العاقبة ، وكان الجند المحاصر من الحامية قد سئم الحصار وضاق به فعرض أميرهم العقيلي على الحسن الصلح بأن يرفع عنهم الحصار ويتركوا له أبيها على شرط أن يدعهم يخرجون بسلاحهم ، فوافقهم على ذلك وأن يأخذوا ما أرادوا على شريطة أن لا يبقوا حتى ولا في حدود عسير ، ولا يتعرضوا لأحد من قبائلها بغزو ولا قتال ، فوافقوه على ما اشترط ، وبارحوا أبيها ولكنه لم يفوا بما تعهدوا به ، بل ظلوا في شهران وهي موالية لهم على مقربة من أبيها وأخذ أميرهم العقيلي يجمع الجوع من موال آل سعود في الجهة التي هو بها ويتعرض لقبائل عسير بالغزو والإغارة في الوقت بعد الوقت .

وفي إحدى الوقائع التي كانت تجري بينهم استطاع العسيريون القبض على العقيلي وأسرته وحرق قرية خميس مشيط والإمعان في بلاد شهران بالغزو والنهب .

كان وقوع هذه الحوادث في إبان اشتغال الرياض وانهماك من بها في شأن آل الرشيد والقضاء عليهم ، ولكن بعد أن عاد الأمير سعود بن عبد العزيز من عملية حائل يسحب معه عبد الله المنتخب أميرها المستسلم واطمئنانهم بعض الشيء . بما وقع بين آل الرشيد من الخلاف والتطاحن سحقت الفرصة

لرد عسير إلى الطاعة، فجهز عظمة السلطان عبد العزيز جيشاً عرمرماً جعل على رأسه ابنه الأمير فيصل وميره على عسير .

فيصل بن عبد العزيز السعود يفتح عسير

جاء جيش الفيصل واحتل أبها دون كبير عناء ولجأ آل عايض إلى حرمة للمرة الثانية ، ولكنهم لم يستطيعوا البقاء فيها طويلاً فقد لاحقهم الجيش الزاحف واضطروا أن يهربوا منها ويلجأوا إلى مكة يستنجدون صاحب الجلالة الهاشمية ويستمدون عونه ونصره .

ولم يتأخر جلالة عن المساعدة والانتصار فجهز قوة نظامية على رأسها حمدي بك ومعه جيش من أخلاط القبائل أميرهم الشريف عبد الله الفعر .

سارت الحملة الهاشمية وسار معها الحسن بن عايض ومن معه من رجالات عسير يقصدون تخلص أبها وإنقاذها ، جاءت قوة الشريف أو قوة الشعير كما سماها العسيريون فيها بعد وأخذت طريقها إلى السراة من جهة منازل قبيلة بللحمر عن طريق الساحل وتمكنت من الوصول إلى قرب أبها وأخذت تطلق المدافع على من بأبها من الحامية النجدية .

لأن الأمير فيصل بعد احتلاله أبها وطرده آل عايض من حرمة لم يقيم بها طويلاً بل أقام فيها بن عفيصان أميراً ومعه قذر وأفر من الحامية ثم رحل .

ظلت المناوشات بين القوة الشريفة العسيرية وبين الحامية مدة مات في أثناءها ابن عفيصان وخلفه بن جيفان ، ثم جاء بعدها عبد العزيز بن إبراهيم أميراً على أبها .

نهاية إمارة آل عايض

كان بن إبراهيم حازماً قوى الشكيمة شديد البطش في القتال مع شئ من الدهاء وحسن التصرف مما أدى إلى تفشل الحملة الهاشمية وتراجعها القهقري إلى جهة

محايل والقنفذة وتخلص حسن بن عايض ومن معه من أبناء عمه من الارتباط بها وجاء إلى حرملة عن طريق محايل وقرية رجال . وطلب أن يصله الأمير عبد العزيز إلى مقره بحرملة لتأكيد صدق الوعود ففعل الأمير وجاء إلى حرملة وبذل ما اطمأن إليه الحسن وصحبه إلى أبها ، ولما كان العاقل لا يلدغ من جحر مرتين رأى الأمير عبد العزيز إبعاد الحسن عن أبها ، فأبعده ومعه بعض أبناء عمه مخفوريين إلى الرياض ، وعفا عنه عظمة السلطان مرة ثانية وأجزل له ولبن معه العطايا والمنح ، وعاش الحسن ردىاً من الزمن في الرياض موفوراً له الإكرام والرعاية ، وسيبعث منها يوم يقوم الناس كافة للجزاء والحساب .

عاش السيد محمد الإدريسي إلى أن شهد مصرع عسير فقد كانت وفاته عام ١٣٤١ وقام بالأمر بعده ابنه على كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند الكلام عن مدينة صبيا في قسم الرحلة إلا أن خاتمة الإدارة عام ١٣٥٢ .

كانت هي خاتمة آل عايض عام ١٣٤٢ ، وهم الآن محجوزون بمكة موفور لهم العطاء والمخصصات الشهرية ، ولم يكن ما جرى غير منتظر ، فإن الثور الأغر أكل يوم أكل الثور الأبيض .

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده تصيده الضرغام فيما تصيدا وهذه النتائج إن كانت من سوء حظ أمراء هذين المنطقتين فإنها من حسن طالع العرب وبقية السكان من أهلها ، فقد عادت أنقاض أمارتها دعائم في بناء الوحدة المنشودة التي أصبحت الأمة العربية في أمس الحاجة إليها بعد أن سئم أهل الجزيرة الحياة وفي كل مدينة من مدنها أمير المؤمنين ومنبر .

وصار الواحد المنفرد في هذه الجهات يسير من ساحل البحر الأحمر في الغرب إلى حواشي الربع الخالي في الشرق آمناً مطمئناً لا يخشى غير عوادي السباع المفترسة بعد أن كانت الجماعة في القرية لا يخرجون للسمر عند بعضهم إلا مسلحين كما أخبرني بذلك بعض أهلها .

على أن حالة الحرب في البلاد لم تنته بعد ، وهي حرب أرجو الله وأسأله أن لا تنتهى وأن يزداد سعيها ، فقد أخذت الحكومة السعودية الحاضرة بعد أن توطدت أقدامها تنشئ المدارس في أمهات القرى من الاقليمين تهامة وسراة ، وهل المدارس الا حصون ؟ وهل كل تلبذ فيها يحمل كتابا غير جندي يحمل سلاحا لمحاربة الجهل وقتله ؟ الجهل هذا العدو اللدود الضارب بأطنابه والباسط جناحيه لا على عسير وحدها بل على أغلب أقسام الجزيرة ، والجهل هو الجرثومة لصنوبه الفقر والمرض يخلان حيث كان ، أن بلاد عسير كما سبق القول زمردة في طرف سلسلة جبال الحجاز الجنوبية ، وأهلها على أرض من الذهب ، ولكنهم لا يدركون ذلك ولا يشعرون به .

فسدد الله خطي الحكومة القائمة الآن ويسر لها المزيد مما هي بسبيله من نشر العلوم والمعارف ، حتى لا تكون بلدة ولا قرية إلا وفيها مدرسة تعلم الناس ما يجب لهم وعليهم ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون .

غادرت جيزان وما إليها مما كان معروفا في سالف العهد بالمخلاف السليماني والأمير عليه الأمير خالد بن فهد الشديري ، وبارحت أبها عاصمة عسير وما إليها والأمير فيها تركي بن فهد الشديري ، والأمن يسود سائر مدنها وقراها والطمانينة والاستقرار يشملانها .

وأخيرا وقبل أن أضع القلم أقدم جدولا باسماء أمراء عسير السراة منذ قامت فيه الإمارة من أهله إلى أن انتهت ، مبينا المدة التي قضاها كل واحد منهم في الإمارة .

الأمراء من آل المتحمي من قبيلة ربيعة رفيدة

- | | |
|---|-------------------------|
| ١- محمد بن عامر أبو نقطه تولى من عام ١٢١٥ هـ إلى عام ١٢١٨ هـ
مات متأثراً بعلّة الجدري | تحت الحماية
السعودية |
| ٢- عبد الوهاب بن عامر تولى من عام ١٢١٩ هـ إلى عام ١٢٢٤ هـ
مات قتيلاً في موقعة حربية مع الشريف حمود . | |
| ٣- طامي بن شعيب من عام ١٢٢٥ هـ إلى عام ١٢٣٠ هـ قبض عليه
جيش محمد علي وسبق إلى مصر ثم قتل . | |
| ٤- محمد بن أحمد المتحمي من عام ١٢٣١ هـ إلى عام ١٢٣٣ هـ قبض عليه
وهو مريض وقتل : على رواية ابن بشر في تاريخ نجد . | |

الأمراء من بني مغيد - آل عايض

- | | | |
|-------------------------------|---|---------|
| ١- سعيد بن مُسايط | من عام ١٢٣٩ هـ إلى عام ١٢٤٢ هـ توفي | مستقلون |
| ٢- علي بن مجثل | ١٢٤٢ هـ ١٢٤٩ هـ | |
| ٣- عايض بن مرعي المغيدي | ١٢٤٩ هـ ١٢٧٣ هـ | |
| ٤- محمد بن عايض المغيدي | ١٢٧٣ هـ ١٢٨٨ هـ قتل بعد الاستسلام
في ريدته | |
| ٥- حسن بن علي بن محمد بن عايض | ١٣٣٧ هـ ١٣٤١ هـ توفي بالرياض | |

بيان

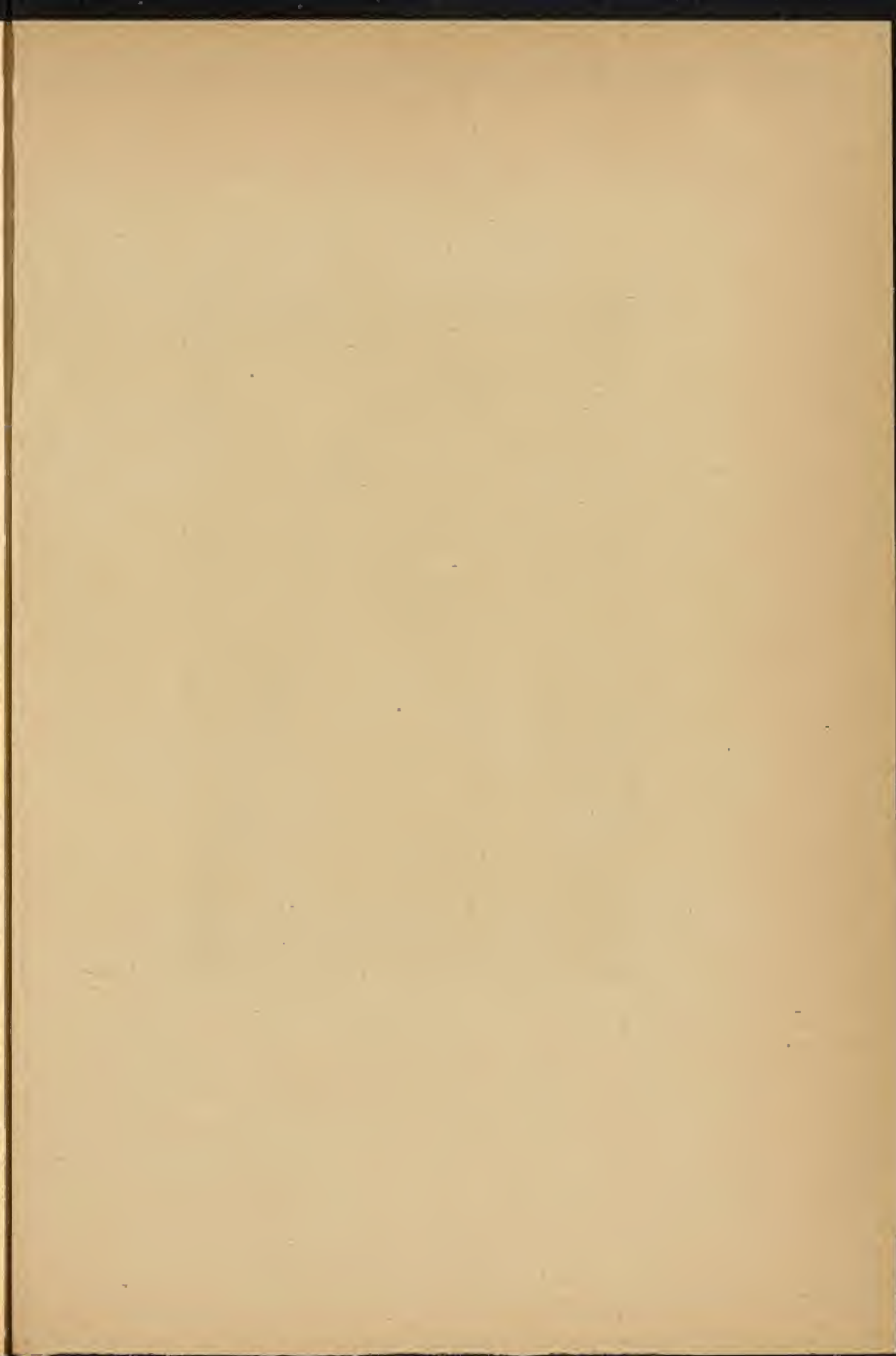
في الفترة من عام ١٢٣٣ هـ إلى عام ١٢٣٩ هـ كانت عسير تحت احتلال جيش محمد علي باشا ومن والاه من أمراء مكة خلا بضعة أشهر في غضون عام ١٢٣٣ هـ فإنها كانت فيها تحت إمرة الشريف حمود أبي مسهار أمير أبو عريش كما سبق القول .

أما الفترة من عام ١٢٨٩ هـ إلى عام ١٣٣٧ هـ فكانت عسير من الممالك العثمانية يحكمها متصرف من طرفهم على حسب ترتيباتهم في ممالكهم .

ومن عام ١٣٤١ هـ إلى وقتنا الحاضر أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية والحمد لله أولاً وآخراً .



المؤلف



مراجع الكتاب

الكتب العربية

- ١ — نفع العود في سيرة الشريف حمود مخطوط
- ٢ — كتاب البلدان لليعقوبي المتوفى عام ٢٨٧ هـ طبع العراق
- ٣ — معجم البلدان لياقوت د مصر
- ٤ — ما استعجم للبكري د د
- ٥ — صحيح الاخبار فيما جاء ببلاد العرب من الآثار للشيخ محمد بن يلهد طبع مصر
- ٦ — سبائك الذهب في انساب العرب للسويدي د د
- ٧ — عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر د د
- ٨ — تاريخ نجد الحديث للريحاني طبع بيروت
- ٩ — ملوك العرب للريحاني د د
- ١٠ — تاريخ نجد للآلوسي طبع بغداد
- ١١ — د اليمن للشيخ عبد الواسع اليماني د مصر
- ١٢ — جزيرة العرب في القرن العشرين للشيخ حافظ وهبه د د
- ١٣ — قلب جزيرة العرب لقواد حمزة د د
- ١٤ — في بلاد عسير د د
- ١٥ — الرحلة اليمانية للشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي د د
- ١٦ — عصر محمد علي لعبد الرحمن الرافعي د د
- ١٧ — صفة جزيرة العرب للهمداني د ليدن
- ١٨ — الأكليل الجزء العاشر د مصر

- ١٩ — مهد العرب للدكتور عبد الوهاب عزام (سلسلة أقرأ) طبع مصر
» » معجم الأدباء لياقوت
» » أمراء البيان لكردي علي
٢٢ — التحفة البهائية في تاريخ البحرين للشيخ محمد خليفة البهائي
» » القاموس المحيط للغرور آبادي
٢٤ — تقرير البعثة الأمريكية الزراعية عن المملكة العربية السعودية
» » (سنة ١٩٤٣ م)
» » تاريخ العرب لسيدو ترجمة عادل زعير

الكتب الافرنجية

١ — بالإنجليزية

D. G. HOGARTH : Arabia

H. ST. J. B. PHILBY : Arabiou Higlands

٢ — بالألمانية

B. MORITZ : Arabien

عشرات واخطاء مطبعية

ص	سطر	خطأ	صواب
(١)		مضطربا	مضطربا به
٥	٢٣	ويتربع	يتربع
٩	٢	بضع	بضعة
١٤	٢١	الجهة التي لعمد فهي خالية	الجهة التي لعمد خالية
١٥	١٥	خمسة مراحل	خمس مراحل
١٥	١٩	نأى	نأى
٢١	٩	عبد الملك	عبد المالك
٢١	٢١	لتصيررف	لتصريف
٢٢	٣	سطحة	سطح
٢٨	١	لأسفل	الأسفل
٣١	٢١	سنيه	سنييه
٣٤	٣	السبه	السبته
٣٤	١٣	تشهير	أشهار
٤٠	٢	الخمس عشرة	الخمس عشرة
٤٨	١٦	فينا	فتيا
٥١	٢١	شنوامة	شنووه
٥٤	١	بللحمر	بالأحمر
٥٥	٢٠	بالى	بال
٥٦	١	الممتد	الممتدة
٦١	٥	بللحمر	بالأحمر
٦١	٩	وادی	واد
٦٦	١	ويحمل	وتحمل
٦٦	٢٠	الشرو والشرو	الشرو

الصواب	الخطأ	سطر	ص
الحفظيه	الحفظه	٩	٧٥
مئزر	مئزر	١٠	٧٦
يتزرن	يتزر	١٧	٧٦
تخرقات	مخرق	٧	٧٧
وهن كثيرات	وهم كثير	٥	٧٨
رؤوسهن	رؤسهن	١١	٨١
يسیرون	ويسیرون	٢٢	٨٤
وفی	وفی	٣	٩٦
حتى أشجار الشوك أمست	حتى اتجار الشوك فقدا مست	٢	٩٨
الخمس والثلاثين	الخسة والثلاثين	٦	١٠١
أربع وعشرين	أربعة وعشرين	٦	١٠١
أربعا وعشرين	أربعة وعشرين	٣	١٠٦
لما لم يالفوه	لما لم يالفوا	١٢	١١٥
المتكسبه	المتكسبه	١١	١١٦
ريالان	ريالين	٩	١١٧
جلدا	جلد	٢٠	١١٩
الطريق	والطريق	١٢	١٢٠
بنو شعبه	بنو شعبيه	٢١	١٢١
ينخرطون	ينخرطون	١١	١٢٣
يملاؤن	يملؤن	١٣	١٢٣
عدا	عدى	١١	١٢٥
وأراض	وأرض	٧	١٢٧
صيا	صبا	٧	١٣٠
ضرغام	طرغام	٨	١٤٣

ص	سطر	الخطأ	الصواب
١٣٧	٣	وابن عمه	وعمه
١٤٨	١٧	التجائه	والتجائه
١٥٠	٥	مرور الاسى	مرور يد الاسى
١٥٥	٢٢	لعروسة	بعروسة
١٥٥	١٠	لأقليم	الأقليم
١٥٩	٢	من التعتينه	المعادن
١٥٩	٢	عدى	عدا
١٨٠	١	جل	جبل

ولا يخلو الكتاب من غير ماذكر فالمرجوا اقبالها

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
تصدير	(١)
على طريقة أهالي عسير	(ب)
دوافع وبواعث	١
الاستعداد للرحلة	٤
في الطائف	٦
في تربة	٨
حادث تاريخي	١٠
إلى وادي رنية	١٤
قرية الروشن	١٦
وادي ييشه	١٧
إلى الدرب : درب الخنيس	١٩
خنيس مشيط	٢١
وادي شهران و قبيلة شهران	٢٣
في أبها	٢٤
مدينة أبها	٢٥
سكان أبها	٢٩
نساء أبها أو حديث الزواج	٢٩
رد وتعليق	٣٤
لباس الرجال	٣٥
الغاب عسير	٣٦
اللهجة في عسير	٣٨

الموضوع	الصفحة
جوا أبها ومناخها	٣٩
أودية أبها	٤٠
قبر ذى القرنين	٤٤
مزارع أبها وحدائقها	٤٥
أبها مركز النشاط الحكومى	٤٩
قبائل عسير	٥٠
ملاحظة وتعقيب	٥١
أهل الكهف أو موقى الكهوف	٥٦
أبها مركز مواصلات هامة	٦١
فى طريقنا إلى رجال	٦١
قرية السوداء	٦٢
جبل تهلل — روضة ومفان	٦٣
وادى العوض	٦٦
قرية الشعبين	٦٧
الوصول إلى رجال	٦٩
قرية رجال	٦٩
بيوت قرية رجال	٧٠
السوق فى قرية رجال	٧٤
سكان رجال	٧٥
تقاليد وعادات	٧٥
ألبسة الرجال والنساء	٧٦
لغة قبائل المع ولهجاتهم	٨٠
حفلة زفاف	٨١

الموضوع	الصحيفة
حفلة ختان	٨٤
المائدة الألمعية	٨٧
مقبرة رجال وحفلات المآتم	٩٠
رجال في رجال	٩١
قرى قبيلة ألمع	٩٢
متوجات قبيلة ألمع	٩٢
قبائل ألمع	٩٣
جلسة محاكمة	٩٤
التحية الألمعية	٩٥
إلى الوادي الخصيب	٩٥
أمنية وأمل	٩٦
العطلة المدرسية — إلى مكة	٩٧
روضة بن غنام	٩٧
العودة إلى رجال	٩٨
حاجة في نفس يعقوب	٩٩
رحلة الشتاء — إلى محایل	٩٩
في محایل	١٠٠
رحلة الربيع — إلى النماص	١٠٣
الرفيق قبل الطريق	١٠٤
وادي عبل	١٠٥
قبيلة بالأحمر	١٠٦
ذو العشيرة	١٠٦
إلى منازل بالأحمر	١٠٦

الموضوع	الصفحة
جمال الطبيعة	١٠٧
بلاد بني شهر	١٠٨
الخصاص	١٠٩
حدود بني شهر	١١٢
رجال الحجر	١١٣
الحضارة تغزو	١١٣
في طريق العودة إلى رجال	١١٣
تقاليد وعادات	١١٣
استصغناهم كرها	١١٤
نظرة عامة	١١٥
الإقبال على التعليم في رجال	١١٦
حاجة القرية إلى طبيب	١١٧
العطلة الصيفية والرجوع إلى مكة	١١٨
مهمة جديدة - رحلة إلى تهامة	١١٨
في الطريق إلى الساحل	١١٨
درب بني شعبة	١٢٠
موضع الدرب	١٢٠
من هم بنو شعبة	١٢١
بنو شعبة اليوم	١٢٢
قرى بني شعبة	١٢٢
الزراعة والمزارع في الدرب	١٢٢
مساكن الدرب	١٢٤
عادات وتقاليد في تهامة	١٢٥

الموضوع	الصفحة
بيش أو أم الخشب	١٢٧
النعمة الصغرى والنعمة الكبرى	١٢٨
المساكن والسكان في أم الخشب	١٢٩
في الطريق إلى صيا	١٢٩
في صيا	١٣١
حارات صيا ومساكنها	١٣٢
السوق في صيا	١٣٤
اللباس	١٣٤
أهالي صيا	١٣٥
اللهجة	١٣٥
الطعام وأوانيّه	١٣٦
مناخ صيا	١٣٦
وادي صيا وقراه	١٣٧
الحاصلات الزراعية	١٣٧
عملية استخلاص القطران النباتي	١٣٨
إمارة الإدارة - نجم يتألق	١٣٩
أفول واضمحلال	١٤٥
الحماية السعودية	١٤٨
إلى أبو عريش	١٤٩
بين الغابة والمزارع - فتنة وجمال	١٤٩
مدينة أبو عريش	١٥٠
الموز ينبت من قرون البقر	١٥٢

الموضوع	الصحيفة
السوق في أبو عريش	١٥٣
الى جيزان	١٥٤
في جيزان	١٥٤
مدينة جيزان	١٥٦
سوق جيزان	١٥٧
ماء الشرب في جيزان	١٥٨
معدن الملح في جيزان	١٥٨
مصطلحات وعادات وتقاليدها	١٥٩
البرتقال الجيزاني	١٥٩
مجلس القات	١٦٠
جزيرة فرسان	١٦١
مناخ جيزان	١٦٤
في العودة إلى رجال	١٦٥
ضللنا الطريق	١٦٦
روضة على ضفاف جدول	١٦٧
عسير في التاريخ	١٧٥
آل سعود في عسير	١٧٧
الدبلوماسية السعودية	١٧٨
إمارة محمد أبو نقطة	١٧٨
إمارة عبد الوهاب بن عامر	١٧٩
إمارة طامي بن شعيب	١٨٠
مصر في عسير	١٨٢

الموضوع	الصفحة
نهاية سيئة	١٨٤
إمارة محمد بن أحمد	١٨٤
الشريف حمود يهتبل الفرصة	١٨٦
حملة سنان أغا	١٨٨
سياسة اللامركزية	١٩٤
سيرة الشريف حمود المعروف بأبو مشمار	١٩٥
صلح واستسلام	١٩٨
محاولة انتفاض فاشلة	١٩٩
الفرصة السانحة	٢٠٠
خبيثة أمل أو مجهود ضائع	٢٠٢
حقق يثور	٢٠٣
الالتجاء إلى الدرعية	٢٠٣
نتيجة المحاكاة	٢٠٤
الإمام سعود يستجيب لعبد الوهاب	٢٠٤
بدء المعركة (قتل عبد الوهاب واحتلال صيدا)	٢٠٦
بعد إمارة طامي بن شعيب	٢٠٧
هزيمة الشريف حمود وهربه إلى أبو عريش	٢٠٧
حكومة صنعاء تحاول إعادة نفوذها	٢٠٩
أثر الدعوة الوهابية	٢١٠
عود على بدء	٢١٣
امارة سعيد بن مسلط	٢١٥

الموضوع	الصفحة
امارة على بن مجثل	٢١٦
العساكر الالبانية في أبو عريش والحديدة	٢١٨
عهد الولاية أو امارة عايض بن مرعي	٢٢١
الزحف التركي على عسير	٢٢٢
تراجع الجيش التركي وأسبابه	٢٢٦
استقرار وتوسع	٢٢٦
الجيش يتدخل	٢٢٧
هزيمة منكرة	٢٢٨
ذهبت مثلاً	٢٢٨
الأوبئة في عسير	٢٣٥
الولاية بالإرث وامارة محمد بن عايض	٢٣٦
غزو الحديدة	٢٣٧
الجيش التركي يزحف على عسير	٢٣٩
دخول الجيش العثماني محابيل	٢٣٩
مفاجأة رجال ألمع وهزيمتهم	٢٤٠
خدعة وهزيمة	٢٤١
الحصن الأخير	٢٤٢
نهاية سيئة	٢٤٤
عهد جديد	٢٤٥
محاصرة الإدريسي لابها	٢٤٦
نجدة الشريف الحسين	٢٤٦
الحكومة العثمانية تتداعى	٢٤٧

الموضوع	الصحيفة
الحامية التركية في عسير تستسلم	٢٤٩
أطماع وآمال	٢٥٠
آل عائض يتحررون	٢٥١
عسير تحت الحماية	٢٥١
يقظة وتحرر	٢٥٢
معركة التحرير	٢٥٣
الادريسي يستعدي آل سعود	٢٥٤
عسير تستنجد بعبد العزيز آل سعود	٢٥٥
نجدة آل سعود لعسير	٢٥٥
احتلال أها	٢٥٦
استسلام آل عائض	٢٥٧
العهد السعودي الزاهر في عسير	٢٥٧
انقلاب وثورة	٢٥٧
فيصل يفتح عسير	٢٥٩
نهاية امارة آل عائض	٢٥٩
الأمراء من آل المتحني وبنو مغيد	٢٦٢
بيان	٢٦٢
مراجع الكتاب	٢٦٣
جدول تصحيح الأغلط	٢٦٥

ملحوظة : في نهاية الفهارس خريطة تقريبية بأسماء القرى والأماكن التي
جرى ارتيادها

فهرست أعلام الأشخاص

١٤٨ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٣
الإدریسی ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و
٢٥٥ و ٢٥٧
آل الرشید ٢٥٥
اسکندر المقدونی ٤٤
الأشراف ١٢٢
الأصمعی ٥٢ و ١٧٥
الأقغانی — جمال الدین ٢١٢
آل الیاس ١٢٢
الآلوسی ٢١١ و ٢١٦
الآلمان ١ و ٣ و ١٤٤ و ٢٤٩
انکلین ١ و ٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و
٢٤٩ و ٢٥١
أمین الریحانی ٢١٢ و ٢٥٢

(ب)

برکات ١٧٦
البیسی ٢٣
ابن بشر ١٨٠ و ١٨٩ و ١٩٠ و
١٩٣ و ٢٦٣
البکری ١٣ و ٩١ و ١١٢
بیرس ١٧٦
بلقیس ٣

(١)

ابراہیم الحفظی الزمزی ١٩٠
ابراہیم زین العابدین الحفظی ٩١ و ٢٣٦
ابراہیم اسلام ٩٧
ابراہیم باشا ١٨ و ١٨٩ و ١٩٠
الأتراك ٥٠ و ٥١ و ٥٤ و ١٠١ و
١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و
١٤٤ و ٢٢٣ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و
٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و
٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥٢
أحمد السنوسی ١٤٧
أحمد بن عیسی ٥٥
أحمد الإدریسی ١٣٩ و ١٤٠
أحمد الهمدانی ٨
أحمد الخواجی ١٤٢
أحمد بن حمود ١٩٣
أحمد الفلقی ١٩٥
أحمد بن حسین ١٩٥
أحمد یکن باشا ٢١٣ و ٢١٥ و
٢١٩ و ٢٢٦ و ٢٢٨ و ٢٢٩
أحمد مختار باشا ٢٤٣ و ٢٤٤
أحمد شوقی ٢٤٨
الأدارة ١٣٤ و ١٣٩ و ١٤٧ و

(ت)

التتار ١٧٥

الأمير تركي السديري ٢٤ و ٣٨

الترك ١ و ١١ و ٢٤ و ٤٦ و ٤٧ و

٤٩ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٨٥ و

١٠٥ و ٢٥٤ و ٢٥٦

توتشيل ٢٢

(ج)

جمعة ١٧٧

جمال الدين القاسمي ٢١١

الجهني ١٣٠

(ح)

حافظ وهبة ٢١١

آل حب ١٢١

الحبش ١٦١

آل حشان ١٢١

الحجاج ٥

حسن البهكلي ٦٩

الحسن بن خالد ١٨٣ و ١٨٦ و

١٨٧ و ١٩٩ و ٢٠١ و ٢٠٤

حسن شطا ٤٨

الحسن الإدريسي ١٤٥ و ١٤٦ و

١٤٧ و ١٤٨ و ١٦٣ و ٢٥٢

الملك الحسين بن علي ١ و ٥٤ و ١٤٤ و

٢١٣ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٤٦ و

٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥١ و ٢٥٤ و ٢٥٥

حسني باشا ١٨٥ و ١٨٦

الحسين بن محمد ٢٣٧

الحسن الحسكي ١٨٧

الحسن بن عطيف ١٨٧

حسن البهكلي ٢٠٩

الحسن بن علي بن عايض ٢٥٢ و ٢٥٣

٢٥٥ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠

٢٦٢ و

الحكم بن سعد ١٦١

الحسن بن عايض ٢٥٩

حمدي بك ٢٥٩

حمود الحازمي ١٤٥

حمود أبو مسبار ٥٤ و ٦٩ و ١٢١ و

١٥١ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و

١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و

١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٣ و

١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و

١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٣ و

٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢٠٧

حمد الشيوعر ١٤٨ و ٢٥١ و ٢٦٢

(خ)

الأمير خالد بن فهد ٢٦١

آل سعود ١٠ و ٥٥ و ٩١ و ١٧٧ و

١٩٤ و ٢١١ و ٢٥١ و ٢٥٤ و

٢٥٥ و ٢٥٨

الإمام سعود ١٨٠ و ١٩٤ و ٢٠٠ و

٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و

الأمير سعود ٢٢١ و ٢٥٨

ابن سعود ٢١٣ و ٢٥٥

سعيد بن مسلط ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٦٢

سعيد ٢٤٣

سلامان ١٠٧ و ١١٣

السلطان سليم العثماني ١٧٦

التليمانية هـ

سليمان شفيق ١ و ٢٤٦ و ٢٤٧

سليمان بن طرف الحكيم ٥٥

سليمان بن علي بن داود ٥٥

السمهري ١٥

السيد مصطفى ٢٤٦

سنان أغا ١٨٨ و ١٨٩

السنود هـ

السويدي ٢٣ و ٥٢ و ٩٣

سيدو ٢١٩

(ش)

شرف بن عبد المحسن ٢٤٧

شكري ٥٠

(١٩)

خالد بن لؤي ١١

الأمير خالد السديري ١٥٦

خليل أغا ١٩٣

آل خيرات ٥٥

(د)

دهمس بن وهاس ٥٦

(ر)

آل الرشيد ٢٥٨

الرافعي ٢١٩

ربيع بن زيد ١٧٧

رشدی ملحق ٦٢

الرهاوية ١٢٢

الريحاني ١٦١ و ١٦٤ و ٢١٠ و ٢٢١

(ز)

زاهر ١٧٨

أبو زياد ١٥

زينب بنت يوسف هـ

زين العابدين الحفظي ٩١ و ٢٣٦

(س)

آل سرحان ٦٠

سعد هـ

السعودية ١ و ١١ و ٥٤ و ١٤٨ و

١٦٣ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٨٥

ابن شميل ١١٩

الشنقرى ١٠٧

شويش الضويحي ٢٥٨

(ص)

صالح بانظمة ٢٤ و ٢٥

صالح بن عبد الواحد ١٤٨ و ٢٥٧

صالح قراز ٦٧

صالح الفلقى ٢٠٢

الصبيخة ١٢٢

الصديانية ١٢٢

صديق خان ٢١١

الصعب بن عبد الله ٤٥

(ط)

طامي بن شعيب ١٨٠ و ١٨١ و

١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و

١٩٣ و ٢٠٧ و ٢٦٢

طوسون بن محمد على ١٨٢

أبو الطيب غانم ٥٦

(ع)

الأمير عايض ٥٤ و ٢٢١ و ٢٢٢ و

٢٢٥ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و ٢٣٦

٢٥٣ و ٢٦٢

آل عايض ١ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و

٢٢١ و ٢٢٧ و ٢٥١ و ٢٥٢ و

٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٩ و

و ٢٦٠ و ٢٦٢

عبد الله بن عباس ٤٥

جلالة الملك عبد العزيز آل سعود

٥٠ و ١١٧ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٦٩

و ١٧٠ و ٢١٢ و ٢٥٥ و ٢٥٧

٢٥٨ و ٢٥٩

عبد العزيز بن أبو ملحمة ٢١

عبد العزيز أبراهيم ٢٥٩ و ٢٦٠

عبد الملك الطرابلسي ٢١ و ٢٤

و ٢٥ و ٦١ و ٦٧ و ٩٦

عبد العليم الأتاسي ٧

عبد الله بن الحسين ١١ و ١٢

عبد الوهاب أبو ملحمة ٢١ و ٢٣

عبد الله الفعر ٢٥٩

عبد الوهاب بن عامر ١٧٧ و ١٨٠ و

١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و

٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٦ و

٢٠٧ و ٢٦٦

عبد الوهاب عزام ٥١ و ١٧٠

١٩٦

الشريف عبد الله الحازمي ٦٩

عبد الواسع اليماني ٨٣

عبد الله بن عايض ١٠٦

عبد الله الدباغ ١٢٢ و ١٢٣ و

١٥٤

علي الإدريسي ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،

١٤٧ ، ٢٦٠

علي - أمير المؤمنين ٤٥

علي بن حسن ٥١

علي بن سليمان ٥٥

علي بن عيسى ٥٦

أبو عمر وبن العلا ٥٢

علي بن عبد الرحمن ٢٠٥

علي بن مجثل ١٨٦ ، ٢١٦ ، ٢١٧

٢٢٠ ، ٢٦٢

علي بن حيدر ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ،

١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٢٢

علي بن يحيى ٢٤٠ ، ٢٤١

عمر بن عبد الله ٢٤٣

عيسى فهم ٤ ، ٣٩ ، ١١٨ ، ١٧٠ ، ١٥٧

٢٦٥

العقبلي ٢٥٨

(غ)

الغامدي ١٤

غالب بن مساعد ١٧٩ ، ٢٠٣

٢٠٦

آل غنية ١٠٠

غيلان بن سمس

السلطان عبد المجيد ٢٣٧

السلطان عبد الحميد ٢٤٧

عبد الله بن عون ٢٥٧

عبد الله ٢٥٧

الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ١٧٧ ،

١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،

١٩٧ ، ٢٠٠

عبد الله بن حسن ٢٥٣

عبد الله بن سعود ١٨٩

عبد الخالق الحفظي ٢٣٧

السلطان عبد العزيز خان ٥٥ و ٢٢٧

٢٣٩ و ٢٤٥

عبد العزيز بن عبد الرحمن ٢٥٤

عبد الرحمن الحفظي ٢١٨

عبد الواسع التيماني ٢٣٣

أبو عبيدة ٢٣

عبد العزيز بن مساعد بن جلوي ٢٥٥ ،

٢٥٦ ، ٢٥٧

الأمير عبد الله المتعب ٢٥٨

عبد الله بن سويلم ٢٥٨

عثمان المضايفي ١٨٠ ، ٢٠٦

٢٠٧

ابن عفيصان ٢٥٩

عرار بن شار ١٩٦ ، ١٩٧

المثوكل على الله ١٢١

محيي بن عرار ٢٥١

آل مفرح ٢٤٣

محمد بن بلهيد ١٣ و ١١٢

محيي الدين باشا ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،

٢٥١

محمد بن عبد الرحمن بن عايض ٢٥١

ابن مجمل ٥٤

محمد شطا ٢ ، ٢٦٧

مجير الدين الأسعردى ٤٧

محسن بن عباس ٢٣١

محب الدين الخطيب ٤٤

محمد بن مفرح ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤

محمد بن يحيى ٢٣٣

محمد رديف ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ،

٢٤٥

محمد بن عون ١٩٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤

٢٢٤ ، ٢٤٥

محمد بن أحمد ١٨٤ ، ٢٠٤

محمد بن أحمد المتحمى ١٨٤ ، ١٨٥ ،

١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٩ ،

٢٦٢

(ف)

فؤاد حمزة ١٢ ، ٩١

فؤاد أبو غزالة ٢١

فابع بن ابراهيم ٩٢

فهد العقيلي ٢٥٨

فليبي ٢٢ ، ٢٩ ، ٦٢ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ،

١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٩

فهد بن زعير ١٤٨

الملك فيصل ٢١٣

الامير فيصل بن عبد العزيز ٢٥٩

فيصل بن سعود ١٨٢

الشيخ فيصل المبارك ٦٧

(ق)

القاسم ٢٥٢

(ك)

ابن الكلبي ١٦١

الكلفود ٢١٨

الكواكبي ٢١١

(ل)

لاحق بن أحمد ٢٤٣

(م)

مانجان ٢١٩

آل المتحمى ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ،

٢٦٢

المتنبي ٣٦

محمد بن هادي ١٢٦	محمد الإدريسي ١٣٩، ٥٥، ٥٤، ١
محمد يحيى ١٤٥	١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤
محمد بن عامر ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩	١٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠،
محمد المرتضى ١٤٨	٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٠
محمد خليفة ١٦٢، ١٦٣	محمد البير ٦٧
محمد كرد علي ١٦٩	محمد الحربي ١١٨، ٤
محمد بن سعود ١٧٦، ١٩٤	محمد بن عبد الوهاب ٩١، ١٢١،
يحيى الدين باشا ٢٤	١٧٧، ٢١١، ٢١٦
محمد بن عبد الرحمن ٢٥٧	محمد الغربي ١٤٥
ابن بخالد ١٠١	محمد بن زيد ٩٤
محمد بن عبد الرحمن ٢٥١، ١٥٢،	محمد عبده ٢١١
١٥٦	محمد راغب ١٤٣
مدني زكري ١٣١	محمد بن علي ٢٠٨
مداوي بن محمد ١٩٠	محمد حيدر ١٤٥
ابن مشيط ٢١	محمد بن عايض ٢٦، ٢٣٦، ٢٣٧،
مصطفى صادق الرافعي ٣١، ١١٦	٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣،
السيد مصطفى ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨	٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٢
المعري ٤	محمد علي ٥٤، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢،
ابن مقبل ١١٩	١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨،
مقرن بن مرخان ١٧٦	١٨٩، ١٩٣، ٢٠٨، ٢١٢،
منصور بن ناصر ١٨٠، ١٨٧،	٢٣٦، ٢٣٧، ٢٦٢
١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٦،	محمد بن قاسم ١٢٨
١٩٧، ١٩٨، ١٠٤، ١٠٦،	محمد النيري ٥
	محمد الهلالي ٩٢
	محمد بن قتيبة ١٢١

الهمداني ٤٤ ، ٥١ ، ١٠٨ ، ١١٢ ،

١٧٥ ، ١٢٩

الهميسع بن عمرو ٤٤

الهنود ٧٥

(ي)

ياقوت ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ،

٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ١١٩ ، ١٣١ ،

١٦١ ، ١٧٥

يحيى ٢٥٢

يحيى زكري ١٤٥

الإمام يحيى ١٤٤ ، ٢١٣

يحيى بن سليمان ٥٥

يحيى بن محسن ١٨٣

يحيى بن حيدر ٢٠٥

اليقوي ١٢٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦

المهدي ١٢١

مورitz ١٤

موسى بن جثعم ٩١

(ن)

الناشرى ٥٥

ناصر ٢٥٣

ناصر بن عبد الرحمن بن عايض :

٢٥٧

نجم الدين ٢٥١

النجديون ١٢

آل نخلة ١٢٢

نصر ١١٩

آل النعمة ١٢٩

(ه)

بنو هاشم ١٥

فهرست أسماء القبائل

(١)	(ت)
بنو الأحمر أو بالأحرى ١٠٦ و ١٠٧	تغلب ١٢١ و ١٦١
١٠٩ و ١١٢ و ١١٣ و ٢٠٩	(ث)
أثنة ١١٣	ثقيف ٥ و ٥٢ و ١٧٥
الأزد ١٠ و ٢٠ و ٥١ و ٥٢ و ٩٣	بنو ثوعة ١٠٠
١٢٩ و ١٥٧	(ج)
أزد ثنوية ٥٢	الجعافرة ١٤٠ و ١٤١ و ١٩٥
بنو أسامة ٢٠	جهينة ١٢٩
بنو الأسمر ١٠٦ و ١٠٨ و ١٠٩	بنو جونة ٩٤
قبيلة أكلب ١٧ و ١٢١	(ح)
قبيلة ألمع ٦١ و ٦٤ و ٦٧ و ٦٨	ابن الحارث ١٠
٨٠ و ٨١ و ٨٧ و ٨٨ و ٩١	آل حذرة ١٢٢
٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ١١٣	الحملة ١١٢
١١٩ و ١٢٢ و ١٦٥ و ١٧٨	حمير ١٢١ و ١٦٢
١٧٩ و ٢٠٣ و ٢٣٦ و ٢٣٩	(خ)
٢٤٠ و ٢٤٦ و ٢٥٣ و ٢٥٤	خثعم ١٨ و ٢٣ و ١٢١
(ب)	(ر)
البقوم ١٠ و ٥٣	ربيعة ٣٥ و ١٢١
باقم ١٠	ربيعة اليمن ٢٥ و ١٢١
بجيلة ٥١ و ٥٢	ربيعة رفيدة ٥٠ و ١٧٧ و ٢٦٢
بنو بكر ٩٣	ربيعة المقاطر ١١٢
بلحرث ١٨	
بلقرن ١٩	

الرواجح ١٠

(ز)

قبيلة الزرائق ١٤٦

قبيلة زهران ١١١ و ١٨١ و ٢٣٦ و

٢٣٧

قبيلة بنوزيد ٦٨ و ٩٣ و ٢٣٦

(س)

سبيع ١٠ و ١٤

بنو سعد ٢

بنو سلول ١٥ و ١٩

سنتحان ٢٣٢

سواءة ١٥

(ش)

شحب ٦٧ و ٩٤

بنو شعبة ٥٦ و ١٢١ و ١٢٢

شتران ١٩

بنو شهر ٦٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و

١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١٧٨

شهران ١٧ و ٥٢ و ٥٥ و ٥٦ و ١١٣

و ١٢١ و ٢٤٧ و ٢٥١

(ص)

بنو صلب ٩٣

الصواعقه ٦٧ و ٦٦

الصهاليل ٢١٨

(ض)

الضباب ١٥

(ظ)

بنو ظالم ٧٥ و ٩٣

(ع)

عتيبة ١٠

عسير ٢ و ٤ و ٨ و ١٠ و ١١ و

١٢ و ١٤ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ و

٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و

٢٦ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٢ و

٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٨ و ٣٩ و

٤٤ و ٤٧ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و

٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و

٦٠ و ٦٢ و ٦٣ و ٧٥ و ٨٠ و

٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٦ و ١٠٤ و

١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١١ و

١١٣ و ١١٥ و ١٤٤ و ١٤٥ و

١٦٨ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٣ و

١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و

١٨٠ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و

١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٩ و ١٩٠ و

١٩٣ و ١٩٤ و ٢٠٠ و ٢٠٣ و

٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١٣ و ٢١٦ و

ملحوظة : اعتبرنا عسير في قسم القبائل على الموضع المتعارف بين أهل البلاد

(ك)

الكلبة ١٠

كنانة ١٢٩، ١٦١

(م)

بنو مالك ١٥٠، ٦٠، ١٠٤

بنو مجيد ١٦١

المرازيق ١٠

مذحج ١٧٥

بنو مزقياء ٩٣

بنو مسعود ٩٤

بنو مشهور ١٠٩

بنو معاوية ١٩٠، ٥

بنو مغيد ٢٩، ٥٠، ٦٠، ٢٦٢

بنو المهمل ٩٢

الموركة ١٠

بنو موسى أو آل موسى ١٠١، ١١٢

١٥٧ و

(ن)

ناصره ٢ و ٧٦

ناهر ٢٣

نزار ١٢١

(هـ)

هذيل ٥٢ و ٨٤

بنو هلال ١٠ و ١٣ و ١٥

همدان ٢٣٢

٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٢٦ و

٢٢٨ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و

٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤٢ و

٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٨ و

٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و

٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و

٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و

٢٦٢

عز ٢٥، ٢٦، ٥١، ١٧٥

عدوان ٥٢ و ١٧٥ و ٢٠٥

عقيل ١٥

علم ٥٠ و ٦٢ و ٢٤١

بنو عمر ١٠ و ١١٢

(غ)

غامد ١٤ و ١١١ و ٢٢٦

(ف)

الفواصل

فهم ٥٢ و ١٧٥

(ق)

قحطان ١٧ و ٥٥ و ١٢١ و

٢٥٠ و ٢٣٩ و ٢٥١

قريش ١٥ و ١٢٩

بنو قريظة ٣٥

بنو قطبة ٩٣، ٩٤

قيس أو بنو قيس ٩٤، ١٢١

فهرست القرى والبلاد

ألمانيا ١٤٤	(١)
الأملح ١٥	أبها ١ ، ٢ ، ٤ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٨
جزيرة أمته ١٤٧	٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨
أناضول ٢	٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤
اندلس ١٦٩	٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠
إيطاليا ٢ ، ١٤٤ ، ٢٤٧	٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨
(ب)	٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠
البحر ١٣٧	٦١ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٥
باغته ٥٦	٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠
باحة شعار ٢٣٩ ، ٢٤١	١١٧ ، ١٤٤ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١١٥
بئر بن سرار ٩٨	١٧٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٩
بئر علي ١٢٧	٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٠
البقلة ٩٢ ، ١١٩ ، ١٦٥ ، ١٦٧	الأحاييش ٢٤٠ ، ٢٤١
البحرين ١٦٢	الأخيشية ١٣١ ، ١٣٧
البدلة ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٤	أدنة ٨٥
البرتغال ٦٩	ارتريا ١٤٤ ، ١٦١
بربر ٢٠٧	آسيا ١٥٢
البحر الأحمر ٢٦٠	استانبول ١ ، ٢ ، ١٤٢ ، ١٤٣
البلقان ١ ، ٢٤٨	١٨٤ ، ١٩٠
بمباي ١٦٣ ، ١٦٤	إفريقيا ١٥٢ ، ١٦٩
البنا ٩٩	إمارة الإدارة ١٣٩
بيت الفقيه ٢٠١	

(ث)

بلاد بنى ثوعة ١٠٠

(ج)

جازان ٥٦

الجبيل ١٥٧

الجبيل ١١٩

جدة ٥

جرش ١٧ ، ٢٠ ، ٢٥

الجرفه ٩٢ ، ٩٩

جزيرة العرب ١٠ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٨

٤٤ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٢

٦ ، ١٠ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٢١

١٣١ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦

٢١١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠

٢٦١

الجعرة ١١٩

الجنينة ١٧

الجوفا ١١٩

جيزان ٢ ، ٦١ ، ٦٨ ، ١١٨ ، ١٢٩

١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤

١٦٥ ، ٢٦١

يشة ١٨ ، ٢٢ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦١

١٢١ ، ١٨٢ ، ٢٥٥

يشة عبطان ١٧

يشة النخل ١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٥١

(ت)

تربة ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٤ ، ١٨٢

٢٤٧ ، ٢٥٥

تركستان ٦٥

تركيا ٢٩

تمنية ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

نمران ١٦

تندحة ٢٠ ، ٩٧

تنومة ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٥

تهامة ١ ، ٢ ، ١٤ ، ٢٦ ، ٣٣ ، ٥٢

٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٦

٧٨ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١٠٧ ، ١١١

١١٢ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٣

١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩

١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٥ ، ١٧٨

١٨٣ ، ١٩٣ ، ٢٢٦ ، ٢٤٦

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤

تهامة الحجاز ٥٤

تهامة اليمن ٥٤ ، ٢٣٩

تهامة عسير ٥٤

(ح)

الحامة ١٥٧

حائل ٢٥٨

الحبشة ٦٩ ، ١٦١

الحجاز ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ،

١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٥١ ،

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٧٥ ،

٧٦ ، ٧٧ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٢٩ ،

١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ،

١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،

٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦١

الحديدة ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،

١٤٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ،

٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ،

قرية الحديدة ١٧٥

حرمة ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،

٢٦٠

الحفاتر ١٤٣

الحفير ٢٤٢

الحسنة ١١٩ ، ١٨٧

حوتين ١٢٧

(خ)

خبت البقر ١٢٧ ، ١٦٥ ،

الخرمة ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

خضرة ١٤٩

قرية ابن خريب ١٠٧

الخرادلة ١٥٤

الخصاوية ١٥٤

أم الخشب ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٥ ،

١٨٠

الخشابية ١٥٤

خميس ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

٩٧ ، ١١٣

خميس مشيط ٢١ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٦١ ،

٢٥٨

خميس شهران ٢١ ، ٢٤ ،

خير ٢٠ ، ٩٧

(د)

الندارة ٤١

الدبر ١٢٧

الدرب أو درب بني شعبة ٦١ ،

١٢٢ ، ٩٢ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،

١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،

١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٢٧

ريدة ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥،

٢٦٢

(ز)

زيد ٢٠١، ٢٣٧

الزيارة ١٢٢

قرية آل زخران ١٠٨

ماء زمزم ٧٣

الزيمه ٥

الزبدية ١٤٦، ٢٣٨

(س)

سامطة ١٤٦

الساحل ١٥٧

السييل ٥

سجستان ٧

السحر ١٠٠

السداد ١٢٢

السقا ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤

السلامة ١٣٠، ١٥٤

السودا ٦١، ٦٢

السودان ١٤٠

سوريا ٢، ٨٥

سوق الربوع ٩٩

(ش)

الشام ٢٩

الدرعية ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠،

١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠،

٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧،

الدهناء ١٨٣

(ذ)

ذبوب

(ر)

الربع الخالي

رجال ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣،

٧٤، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٥، ٩٠،

٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٨،

٩٩، ١١٠، ١١٣، ١١٥، ١١٦،

١١٧، ١٧٨، ١٨٥، ١٨٧، ٢١٣،

٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦٠،

رزام ١٠٤

رغدان ٢٢٨

رغوة ١٧

روسيا ٦٥

رملان ١٢٢ و ١٢٧

الروشن ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٣،

٥٢، ٩٨، ١١٤،

روضة ابن غنام ٩٧

الرياض ١١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠،

الرهوة ١١٩، ١٦٥،

١٩٦ و ١٩٨ و ٢٠٠ و ٢٠٤ و

٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٨ و ٢٢٧ و

٢٤١ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٧ و

٢٦٠

صحر ٩٢

صعدة ٢٠٨

صلبية ١٣٧

صنعا ٥٢ و ٥٣ و ٥٥ و ١٢٩ و

١٤٦ و ١٤٨ و ١٥٠ و ١٧٥ و

١٧٨ و ١٩٤ و ١٩٦ و ١٩٧ و

١٩٩ و ٢٠١ و ٢٠٩

صومال ١٠٠ و ٢٠٢ و ٢٥٣

(ط)

الطائف ٢ و ٥ و ٦ و ٧ و ١٢ و

١٣ و ١٥ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٦ و

٣٦ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٧٦

٩٨ و ١٠٩ و ١٧٠ و ١٨٢ و

٢٤٧

طائف ثقيف ٦

طيب ١٧٥ و ١٨٢ و ١٨٥

طرابلس ١٤٤ و ٢٤٨

(ظ)

ظاغن ١٧

ظبية ١٤٩

الشاخر ١٣٠

شبرا ٧

شديدة ٩٣

الشرحة ٥٨ و ٦٠

الشرف ٦٠ و ٦٤ و ١٠٣

شرق الأردن ٢

الشرائع ٥

الشرق الأدنى ٦٥

الشعايب ٧٦

شعار ١٠٥

الشعبين ٦١ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و

٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٩ و ١٠٨ و

٢٢٤ و ٢٤٦ و ٢٥٣

الشقيق ١٢٢

شقيظ ٧٩

الشقيق ٢٤٣ و ٢٤٩ و ٢٥٠

(ص)

صيا ٥٤ و ٥٥ و ٦١ و ١١٨ و

١٢٣ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و

١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و

١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و

١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٥ و

١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥١ و

١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٢ و ١٦٥ و

١٨٠ و ١٨٣ و ١٨٥ و ١٩٥ و

(ع)

قرية بني عبد شجب ٩٣

عدن ١٠١ و ١٤٤ و ١٥٣ و ١٥٧ و

١٦٤ و ٢٥٠

العدايا ١٣٧

العراق ٢ و ١٢٩ و ١٦٤ و ١٦٩ و

١٧٥ و ٢٠٠

المرج ١٤٩

بلاد العرب ٧، ١٧٥

المرش ١٢٩ و ١٥٠

أبو عريش ٥٤ و ٥٥ و ١١٨ و

١٢٣ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و

١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٦ و

١٥٩ و ١٦٠ و ١٧٩ و ١٨٠ و

١٨١ و ١٨٣ و ١٩٣ و ١٩٥ و

١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٧ و

٢١٨ و ٢٢٠ و ٢٢٣ و ٢٣٧ و

٢٣٨ و ٢٦٢

عرفة ١٧٥

قرية ابن العريف ١٠٨

عثالف ٩٩

الحقبة ١٠٣

عمير ١٥٤

(غ)

ديار غامد ١٤ و ٤٨ و ٢٣٢ و

٢٣٧

غاوة ٦٢

الغرار ١٢٢

الغرسه ١٠٧

(ف)

فارس ٨ و ١٦٩

فرسان ١٤٧ و ١٦١ و ١٦٤

فرنسا ٦٨

الفضايا ٢٠٣

الفيه ١٠٤

الفتيحاه ١٧٥

فلسطين ٢

(ق)

قاعد ٤١ و ١٠٠

قائم آل زيد ١٢٢

قائم النعجة ١٢٢

القاهرة ٤٥

قرى بني مالك ٢٤١

قرية الشيخ بكري ٩١

القرى ١٣٧

القضب ١٢٢

الحالة ١٠٤	القعدة ١٥٠
أم مخرج ١٣٠	القنفذة ٦١ و ١٠١ و ١٠٥ و ١١٢
المدينة المنورة ١١ و ٣٥ و ١٨٢	١٨١ و ١٨٥ و ١٨٩ و ٢٢٣ و
مختارة ٢٠٩	٢٣٩ و ٢٤٣ و ٢٥٣ و ٢٦٠
المدارية ١١٩	القويصة ١٥٤
المرار ٩٣	قنا ٢٢٤
المسطح ١٥٧	(ك)
قرية آل مشهور ١٠٩	كویت ٢
مصر ٢ و ٧٥ و ١٤٠ و ١٤٦ و	(ل)
١٤٧ و ١٦١ و ١٦٩ و ١٧٥ و	لبنان ٢
١٨٢ و ١٨٣ و ٢٠٨	الصبية ١٧٥
مصوع ١٤٤ و ١٤٧ و ١٥٧ و ١٦١	البحية ١٤٦
المضفة ١٠٧	لبدن ٢٥
المضايا ١٩٦	(م)
مسلية ١٨٣	مخشوش ٢٣٩
المخا والحديدة ٢٣٧	المجمعة ٩٢
المعفر ١٢٧	محسان ٦٢
المغرض ١٣٧	المخلاف السليمانى ٢٣٧ و ٢٤٦ و ٢٦١ و
المطلع ١٥٧	محايل ٦١ و ٩٢ و ٩٩ و ١٠٠ و
مكسيك ١٦٤	١٠١ و ١٠٢ و ١١٤ و ١٨٥ و
مكة ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و	١٨٨ و ١٩٠ و ٢٢٤ و ٢٣٩ و
١٠ و ١٥ و ١٨ و ٢١ و ٢٣ و	٢٦٠
٥٣ و ٥٤ و ٥٦ و ٧٣ و ٧٧ و	

١٨٤ و ١٨٥ و ١٩٠ و ١٩٣ و

١٩٥ و ٢١٠ و ٢١٦ و ٢٢١ و

٢٦٢

النفي ١٢٢

الفاص ٩٩ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و

١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و

١١٣

(٥)

الهند ٢ و ١٠١ و ١٣٧ و ١٦٣ و

هبيجة ١٤٩

(و)

واعر ١٧

الواصلي ١٥٤ و ١٥٥ و

الوهط ٦

(ي)

الين ١٠ و ١٥ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٥ و

٥٦ و ٨٣ و ١٠١ و ١٣١ و

١٣٧ و ١٤٥ و ١٦١ و ١٧٥ و

١٧٨ و ١٩٤ و ١٩٩ و ٢٠١ و

٢٠٢ و ٢٢٣ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و

٢٤٥

(٢٠)

٨٤ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٩ و

١١٦ و ١١٨ و ١٢٩ و ١٣٧ و

١٤٣ و ١٤٤ و ١٥٠ و ١٥٨ و

١٧٦ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و

١٨٢ و ١٨٧ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و

٢٤٩

ملايا ١ و ١٥٢

الملحا ١٤٥

الملاحه ١٠٤ و ١٣٠ و ١٨٩ و

٢٤١

ملقا ١٥٢

ابن ملحم ١٠٦

المنظر ١١٤

المهمل ١٧

مينى ١٤٦

قرية الملح ١٧٥ و ٢٤١

المملكة العربية السعودية ٤٦ و ٥٤ و ٥٧ و

(ن)

التضير ١٣٧

تجد ٢ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٥ و ١٩ و

٢٥ و ٢٩ و ٥٣ و ٥٤ و ٧٥ و

٩٤ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٨٠ و

فهرس الوديان

٢٣٧

وادی تربة ٨ و ١٣ و ٥٣

وادی ترج ١٨

وادی تشر ١٩٦

وادی تيه ٥٦ و ٦١ و ١٣٠ و ٢٣٩

وادی تندحه ٢٠

(ث)

وادی ناه ٦٨ و ٩٣ و ٩٥ و ٢٣٦

(ج)

وادی الجوف ٢٥٥

وادی جوحان ٤١

وادی جيزان ١٥٠

(ح)

وادی حجلة ٢٥٦

وادی حرض ١٤٦

وادی حسوة ٩٣

وادی حظوة ١٠٧

وادی حلی ابن یعقوب ٥٦ و ٦٨ و

٩٩ و ١٠١ و ١٨٥ و ٢٣٩ و

٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٣

وادی الحماطة ١٠٢

(١)

وادی أبها ١٧ و ٤٠ و ٤٢

أنانة ١٧٥

(ب)

أراك ٢٣

بسل ١٨٢

وادی بقره ١١٤

وادی بیحان ١٠٧

وادی بیش ٥٥ و ٥٦ و ١٢٣ و

١٢٧ و ١٢٩ و ١٥٨ و ١٨٠ و

١٨٣ و ١٨٥ و ١٩٥ و ٢٠٦ و

٢٤١

وادی بطنة ١٨

وادی بیشه ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و

١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٥٢ و ٥٣ و

٩٨ و ٥٤

وادی بیض ١٢٧

(ت)

وادی تبالة ١٨

وادی تثلیث ٥٢ و ١٧٥ و ٢٣٤ و

وادی حمرة ١٠٤

(خ)

وادی خضراء ٢٣ و ٢٥٦

وادی آل خضرة ١٢١

وادی خلب ٢٠١

وادی خیر ٢٠

(د)

الدارة ١٧٥

وادی الدواسر ١٤ و ٥٣ و ١٢١ و

١٧٧ و ١٩٧

(ر)

وادی الرضف ١٠٤

وادی رنية ١٤ و ١٥ و ١٧

روضه بن غنام ١٤

وادی الریش ١١٢

وادی ریم ١١٩ و ١٢٠ و ١٦٦

(س)

وادی السرحان ٢٥٥

وادی سمرة ١٢٧

وادی سدوان ١٠٧

(ش)

وادی شهران ٢٠ و ٢٢ و ٢٣

(ص)

وادی صبح ١٠٦

وادی صیبا ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٧

وادی الصفراء ١٨٢

(ض)

وادی ضباغة ٤٠

وادی ضمد ١٨٣

(ظ)

وادی الظهران ٦١

(ع)

وادی عبالة ١٠٧

وادی عبل ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٩ و

١٧٥

وادی عتود ٦١ و ١٢٠ و ٢١ و

١٢٢

وادی عثر ١٢٩ و ٣١١

وادی العثبان ٤٠

وادی عقبه ضلاع ٩٢

وادی العوص ٦١ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و

وادی المسیرق ٢٣

المغوث ١٧٥

وادی ملیح ١٠٩

وادی مور ٢٠٧ و ٢٣٨

وادی میسان ٣ و ٧٦

وادی المیل ٩٦

(ن)

وادی نجران ٦١

وادی نص ١١٤

(هـ)

وادی هرجاب ١٨ و ٩٧

وادی ابن هشبل ٩٧

(و)

وادی وج ٦ و ٨

وادی وحلة ١٨١

١٠٣ و ٢٣٩ و ٢٤١ و ٢٥٤ و

(ق)

وادی قنا ٢٢٤

(ک)

وادی کرام ١٣

وادی کسان ٦٩ و ١١٩ و ١٢٠ و

١٦٦ و ١٦٧ و ٢٤١

(ف)

وادی فاطمة ١٥٨

(ل)

وادی لیه ٧

(م)

وادی المنشاة ٦

وادی محایل ١٠١

فهرست الجبال

حصن الشريف ١٥٧	(١)	الجبل الأخضر ٧
(د)		الاشعب ١٠٥
الدرجة ١٠٥		رأس (أملح) ٢٦
الدهناء ١٠٨	(ب)	جبل بالحصن
(ذ)	(ت)	رأس تيه
جبل ذرة ٤٩		تربان ١١٢
(ر)		جبل تمينة ٥٥ و ٥٦
(عقبة) رز ٦٩ و ٨٥ و ٩٩ و ١٠٣		رأس تيه ١٧٥
رکان ٥٦		جبل تهليل ٦٣ و ٦٤ و ١٠٤ و ٢٤١
رضوى ١٥٦		٢٥٤ و ٢٤٢
ريمان ١١٢	(ث)	تربان ١١٢
(س)		تهلان ١٥٦
عقبة ساقين ١١٤	(ج)	جبال قبيلة شحب ٢٤٠
السراة ١ و ٢ و ٨ و ٤٧ و ٤٨ و		الجمد ١٠٦
٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٥ و ٦١ و	(ح)	جبل حصن ١١٤
٧٦ و ٧٨ و ٨٠ و ٨٤ و ٩٢ و		حرة عسعر ١٤
١١٢ و ١١٤ و ١٢٩ و ١٣٠ و		حصن البرقية ١٥٧
١٤٥ و ١٧٠ و ١٧٥ و ١٧٨ و		
١٧٩ و ١٨١ و ١٨٥ و ١٨٦ و		
١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٣ و		

عقبة واج ٢٤٠

العقبة ٢٤٢

(ف)

فيفا ١٦١

(ق)

جبل القارية ٩٣

عقبة القامة ١١٣

القرون ٥٥

جبل قوة ٢٤١

قلعة البرج ١٥٧

قلعة الوسط ١٥٧

قلعة المطلع ١٥٧

القرية ٢٤٢

(م)

المسوح ١٠٥

(ن)

نهو ١١٢

حرة نوييف ١٤

(هـ)

جبال هروب ١٣٧

(ي)

يلملم ١٨٠

٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٦ و ٢٠٨ و

٢٢٠ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و

٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و

٢٥٤ و ٢٥٩ و ٢٦١

(ش)

جبل شصعة ١٠١

شعار ٥٦ و ٦١ و ١٠٥ و ١٨٩ و

شعاية ١٠٧

الشفاء ٦

شمسان ٩٧ و ٩٨ و ١٠٤

(ص)

عقبة الصماء ٦١ و ٦٤ و ٧٦ و ٢٤١

٢٥٤

(ض)

الضحي ١٠٦

ضلع ٧١ و ١٢٠ و ١٨٨

(ظ)

الطود ١٧٥

طوروس ٢٥٠

(ع)

عقبة آل عامر ١٠٦



خريطة قديمة

ليسان خط السير واسماء القرى والأماكن التي جرى زيادها في أثناء الرحلة

أيضاً

المرارة بسلسلة جبال الحجاز بين نجد وبلاد

نهامه: الأمان القديمة، القصب، بيشا، الحمر



مصطلحات

- المسكن
- القرى الكبيرة
- القرى الصغيرة
- أماكن مشهورة
- خط السير والطريق
- الحدود
- الجبل المشهور
- العقبة

بلاد الحبشة

جنوب المملكة

الحجاز العربية السعودية

البحر الأحمر

جبل حضن

البحر

القطائف

السلطان

البحر

البحر

من مؤلفات

الأستاذ عبد الله عبد الجبار

الأديب الحجازي المعروف

١ - « العلم سحتوت ، وهي تمثيلية إذاعية عصرية تعالج أطرافاً من مشاكلنا الاجتماعية ، وتصور الصراع الرهيب بين عاطفة الخير وبين النفس التي ختم عليها الشح وأودى بها نزعة الظلم الاجتماعي . »

وقريباً :

٢ - قصة الأدب في الحجاز

وهو كتاب قيم يصدر في عدة أجزاء . ويصور تاريخ الأدب في الحجاز منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ويبدأ بتسجيل الفترات الغامضة المجهولة . وقد اعتمد المؤلف على كثير من المخطوطات النادرة بالإضافة إلى المراجع المطبوعة .

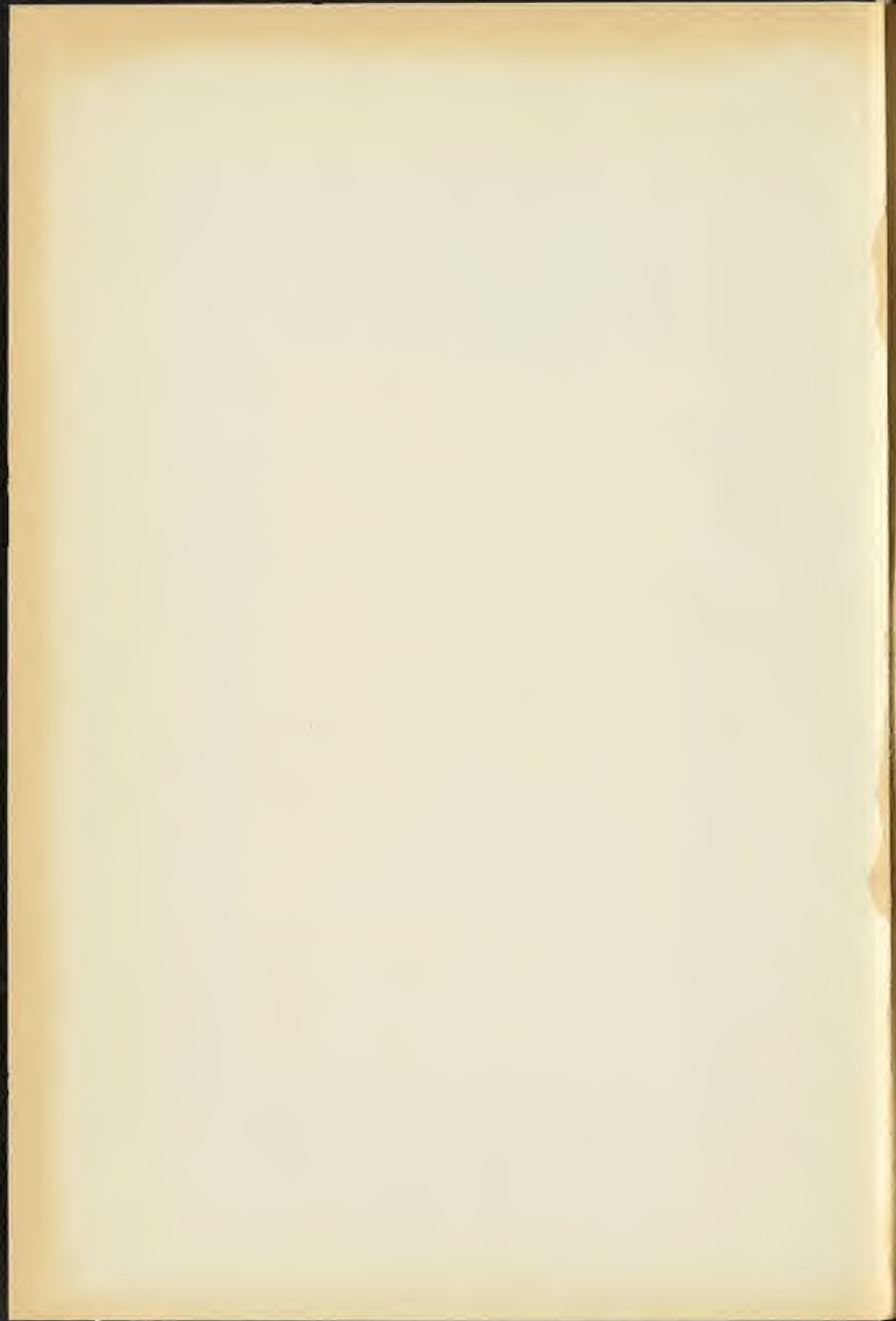
٣ - مركب النقص وأثره في الأدب

وهو بحث على طريف يمتاز بالحدة والابتكار

٤ - سائق البريد وقصص أخرى

وهي مجموعة قصصية ترتاد آفاقاً جديدة في الأدب الحجازي ... ونحن نلفت أنظار المشتغلين بالأدب وجميع القراء لتتاج الكاتب الحجازي فإن فيه الفن والسحر والفائدة .







NYU - B085T



31142 01157 9367

DS247.A65 .R3

Fl rubu'z

DS
247
.A65
.R3
c.1